القدس العتيقة
مدينة التاريخ والمقدسات



القدس العتيقة
مدينة التاريخ والمقدسات

عرفة عبده على



الهيئة العامة
لقصور الثقافة

سلسلة
هوية المكان

تصدرها
الهيئة العامة لقصور الثقافة

• القدس العتيقة
مدينة التاريخ والمقدسات
• عرفة عبده على
• الطبعة الأولى:
الهيئة العامة لقصور الثقافة
القاهرة - ٢٠٠٧ م
١٦٠ ص ٥ر١٦ × ٥ر٢٣ سم
• تصميم الغلاف: د. خالد سرور
• المراجعة اللغوية: ممدوح بدران
• رقم الإيداع: ٣٢٥٦ / ٢٠٠٧
• الترقيم الدولى: 977-437-181-X
• المراسلات:
باسم / مدير التحرير
على العنوان التالى: ١٦أ شارع
أمين سامي - القصر العيني
القاهرة - رقم بريدى ١١٥٦١
ت: ٧٩٤٧٨٩١ (داخلى: ١٨٠)

• الطباعة والتنفيذ:
شركة الأمل للطباعة والنشر
ت: ٣٩٠٤٠٩٦



تعنى بنشر الدراسات والأبحاث المعنية بخصوصية المكان وأهميته فى التاريخ المصرى والعربى.

القدس العتيقة
مدينة التاريخ والمقدسات



المحتوى

المحتوى
المحتوى



تجربتى مع هذا الكتاب

منذ إعلان قيام الدولة اليهودية عام ١٩٤٨، وقضية فلسطين على كل لسان وفى كل قلب، تتحدث عنها وسائل الإعلام - بمختلف اللغات - وتشير إلى أحداثها كل يوم، تحت المسمى الصهيونى الرامى إلى محو اسم فلسطين: "قضية الشرق الأوسط" وانساقت إليه جميع وسائل الإعلام العربى.. مثلما انساقت وراء نشر صورة "مسجد قبة الصخرة" بعنوان "الأقصى الأسير"!

وتهفو قلوب العرب إلى معرفة ما حل بهذه الأرض المقدسة من كوارث ونوائب، وأصبح المواطن العربى يتلمس المراجع والمصادر فى وصف هذه الأرض الغالية فى ماضيها وحاضرها وفى شعبها وحضارته.

ومن خلال جولاتى بين المكتبات، وجدت الكثير من الكتب والمراجع والمجلات التى تتعرض لهذا الجانب أو ذاك من تاريخ فلسطين بصفة عامة وتاريخ القدس بصفة خاصة، ولابد من الإشادة بما قام به الباحثون والكتاب الفلسطينيون ومركز الأبحاث الفلسطينية من جهود علمية لإمداد طلاب العلم فيما يتلمسونه للتعرف على ماضى فلسطين عبر مسيرة الحضارة الإنسانية.

عايشت القدس من خلال رحلاتى عبر أزمانها المختلفة ومضيت من خلال الأوراق والصور بين خططها وآثارها، وقد لاحظت تعدد الرؤى الإسلامية والمسيحية واليهودية تجاه الكتابة عن القدس، فالكتابات الإسلامية ارتكزت على جوانب من التاريخ الإسلامى للقدس، خاصة إبان الفتح الإسلامى، أو فى عصر الحروب الصليبية وتحرير صلاح الدين للمدينة المقدسة، أو تناول جوانب من تاريخها السياسى، أو ما خلفته الدول الإسلامية من آثار.. دون التعرض للآثار المسيحية المقدسة أو تناول تفاصيل الحياة اليومية الاجتماعية للشعب الفلسطينى، إلا فيما نُدر.. بينما تركزت الكتابات المسيحية على تاريخ المدينة إبان عصر السيد المسيح، ومملكة بيت المقدس الصليبية، ووصف وتاريخ المزارات المسيحية المقدسة فى القدس والناصرة وبيت لحم والحنين إلى رؤياها والتعبد فيها، خاصة الأماكن التى شهدت خطى السيد المسيح والأحداث التى واكبت رسالته.

أما الكتابات اليهودية، فقد اتسمت بـ "التوظيف السياسى" للتاريخ، فلم تجرد العلم عن الهوى ولم تنزهه عن الغرض السياسى، فجعلوا الحق باطلاً والباطل حقاً.. فالكتب الإسرائيلية ومنشورات مركز الإعلام الإسرائيلى بالقدس والتى تروج لها السفارة الإسرائيلية والمركز الأكاديمى الإسرائيلى بالقاهرة، تطفح بالحديث الكاذب عن "تاريخ إسرائيل الممتد عبر عدة آلاف من السنين"!.. وأن "القدس عاصمة أبدية موحدة لدولة إسرائيل"!.. وأنها "الجوهرة فى تاج إسرائيل"!.. وأن "التنقيبات الأثرية فى الحى اليهودى كشفت عن كنوز لا تعد ولا تحصى"!.. وأكداس هائلة من التضليل من أجل "اختلاق تاريخ" وتأصيل زائف لما يسمى بـ "الشعب الإسرائيلى" و "دولة إسرائيل"!..

ويروج لذلك من خلال دور النشر العالمية ووسائل الإعلام الغربية، حتى يغم الصواب والحق على طالبى المعرفة من أبناء اللغات الأخرى، دون مبالاة بالحقائق العلمية والتاريخية! أيضاً، لاحظت أن المصادر العربية تكاد تخلو من عنصر الصورة، بينما المصادر الأجنبية فى مختلف اللغات، كذلك الإسرائيلية، تزخر بصور عن القدس فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر وفى القرن العشرين، ثم فى عصرنا الحاضر والذى تبرز صوره الحديثة "ملامح تهويد المدينة" دون أدنى اعتبار للتراث الإنسانى الحضارى!.

أيضاً خلال جولاتى بين الكتب، اكتشفت أن هناك الكثير من كتب الرحالة وإبداعات الفنانين والمصورين الأوروبيين لم يسبق نشرها فى المكتبة العربية، وانطباعات هؤلاء الفنانين عن المدينة المقدسة: شوارع وأسواق وبيوت وآبار وعيون ومقاه وقباب ومآذن وكنائس ومشاهد من الحياة اليومية أذهلت هؤلاء الفنانين بتنوع وثراء موضوعاتها، وثبتت لحظات زمنية من تاريخ المدينة المقدسة، وقد تخيرت باقة من الصور واللوحات يتضوع شذاها بعطر الماضى الجميل للمدينة المقدسة، أضعها بكل الحب بين يدى هواة التاريخ ومحبى الفن وعشاق القدس العتيقة!

فالقدس.. مدينة السلام.. و التاريخ.. مدينة الاستمرارية الفريدة و السحر الخاص.. تجلت فيها حكمة الأنبياء، و لعبت دوراً مؤثراً فى سيرة الأديان السماوية الثلاثة، و شهدت جبالها ووهادها دعوة المسيح عليه السلام، و إليها كان " الإسراء " بخاتم الأنبياء - معجزة الإسلام الكبرى - و منها كان معراجه إلى السماء، و قال عنها العهد القديم "أرض حنطة و شعير و تين و رمان، أرض زيتون و زيت و عسل ".. و هى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين.. التقت فيها حضارات العالم، و مر بها الملوك و الإباطرة والخلفاء و السلاطين و جيوش الغزاة و الفاتحين و المحررين.. فكان قدرها أن تكون طوال تاريخها ميداناً للحروب و ساحة للصراعات الرهيبة و الآلام..

و تاريخ المدينة المقدسة : شديد التعقيد، كثير التداخل، حتى ليبدو وكأنه مخطوط قديم بات من المتعذر فك رموزه !.. فموقعها الجغرافى و الاستراتيجى و مكانتها الدينية، كل ذلك جعل معظم الأمم تتطلع للاستحواذ عليها، فحرمت من أن تكون من " المدن السعيدة " !

و تمثل مدينة القدس : معيار قوة العرب و المسلمين، فإذا ما أعدنا قراءة التاريخ، سنجدها آمنة زاهية فى ظل قوة العرب و ازدهارهم.. و نجدها " أسيرة عاجزة " فى ظل الضعف و الإنهيار الحضارى، و هى قلب قضية العرب و الإسلام، بكل أبعاد المواجهة الحضارية و الثقافية و الاقتصادية و العسكرية و السياسية مع عدونا التاريخى !

القدس.. ليست وليدة عصر من العصور.. بل هى رفيقة كل العصور، منذ اليوم الذى سجل فيه التاريخ أولى صفحاته.. إن كل حجر من أحجارها يحكى ذكريات جميلة، وأخرى حزينة.. جدران عتيقة تراكم عليها التاريخ.. آيات فى فن العمارة، تصون داخلها أمثلة رائعة للجمال.. و قدسيتها كانت ملهمة للأنبياء و الفنانين و الكتاب و الشعراء والرحالة.. و هويتها العربية منقوشة على أحجار أسوارها و بواباتها و مساجدها ومدارسها و أسبلتها وكنائسها و أديرتها و شوارعها و خططها.. على كل منها صفحة من صفحات التاريخ، وفى عصر من العصور ..تجد مكانا للقدس فى قلب كل عربى .



الفصل الأول
قدسية المكان والزمان



طبوغرافيا المدينة

القدس.. بموقعها المتميز تتحدى الجغرافيا، حيث تتوسط إقليماً جبلياً يصعب اختراقه، وطبقاً لتعبير العالم الراحل جمال حمدان : " فهو ليس عتبة، بقدر ما هو عقبة، و قد قامت مثل مكة المكرمة فى واد غير ذى زرع ".. و باتجاه المدينة المقدسة، تطالعنا رؤوس التلال فى مظهر مهيب ساحر.. تقف وسط الجبال، شامخة فى كبرياء بطول الأفق، و تلوح أمامنا صخورها البيضاء و الداكنة، و نستنشق رحيقها من حقول الزيتون و كروم العنب ..

و القدس.. من المدن العربية الشهيرة منذ أقدم عهود التاريخ، و تعددت أسماؤها على مر العصور، و يبلغ عمرها نحو ٣٥٠٠ عام، و قد أقيمت نواتها الأولى فى بقعة جبلية هى جزء من جبال القدس التى تمثل العمود الفقرى لأرض فلسطين، و تقع القدس على خط طول ٣٥ درجة و ١٣ دقيقة شرقاً و خط عرض ٣١ درجة و ٥٢ دقيقة شمالاً، و ترتفع نحو ٧٥٠م عن سطح البحر الميت، و القدس ذات موقع جغرافى مهم لأن نشأتها على هضبة القدس و الخليل و فوق القمم الجبلية التى تمثل خط تقسيم للمياه بين وادى الأردن شرقاً والبحر المتوسط غرباً جعلت من اليسير عليها أن تتصل بجميع الجهات، و هى حلقة من سلسلة تمتد من الشمال إلى الجنوب فوق القمم الجبلية للمرتفعات الفلسطينية . و ترتبط بطرق رئيسة تخترق المرتفعات من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب.. و هناك طرق عرضية تقطع هذه الطرق الرئيسة لتربط وادى الأردن بالساحل الفلسطينى، و من بينها طريق القدس – أريحا و طريق القدس – يافا . و تبتعد القدس مسافة ٢٢ كم عن البحر الميت و ٥٢ كم عن البحر المتوسط . و أطول الطرق المعبدة التى تربط بين القدس و كل من العواصم العربية المجاورة هى التالية : القدس – عمان ٨٨ كم ؛ القدس – دمشق ٢٩٠ كم ؛ القدس – بيروت ٣٨٨ كم ؛ القدس – القاهرة ٥٢٨ كم . و هناك خط للسكة الحديدية يربط القدس بيافا . و ترتبط القدس بالعالم الخارجى جواً عن طريق مطار قلندية الواقع إلى الشمال منها.

مناخ القدس:

ينتمي مناخ القدس إلى إقليم البحر المتوسط و يتأثر بالعامل الطبوغرافي و بعامل القرب من البحر المتوسط، . و يراوح معدل الحرارة الشهرى ما بين ٩ و٧ درجات فى شهر كانون الثانى و ٢٥درجة فى شهر آب . و قد بلغت أعلى درجة حرارة ٤٤× فى شهر حزيران ١٩٤١ و هبطت أدنى درجة حرارة إلى ٤,٤× فى يومى ٥ و٧ من شهر شباط ١٩٥٠ . ويتراوح المتوسط الشهرى للرطوبة النسبية فى القدس ما بين ٣٨٪ فى شهر نيسان و ٧٢٪ فى شهر كانون الثانى .

يبلغ معدل كمية الأمطار التى تهطل على القدس فى السنة ٥٥١مم يساهم شهر كانون الثانى فيها بنحو ١٥٣مم و شهر شباط بنحو ١٤٣مم، أى أن أكثر من نصف كمية الأمطار السنوية تهطل خلال هذين الشهرين، و يتركز نحو ٧٠٪ من الأمطار السنوية فى فصل الشتاء الحقيقى (كانون الأول و كانون الثانى و شباط) . و يتفاوت توزيع كمية الأمطار مكاناً و زماناً داخل مدينة القدس . فكمية الأمطار التى تهطل على الأجزاء الغربية التى تقع فى مواجهة الرياح الماطرة أكثر من تلك التى تنزل على الأجزاء الشرقية . ثم إن العامل الطبوغرافى يؤثر فى تفاوت توزيع الأمطار . فنصيب الضواحى القائمة على التلال من المطر يتفاوت حسب مستوى ارتفاع هذه التلال عن سطح البحر . و لا تهطل الأمطار على القدس صيفاً و لكنها تتوزع على بقية الفصول بصورة غير متساوية . و لا يزيد عدد الأيام المطيرة على ٦٠ يوماً فى السنة .

التجمعات البشرية و أنشطتها :

تشكل جبال القدس و سفوحها الممتدة إلى " رام الله " أكثر مناطق الجذب السكانى، بالإضافة إلى التجمعات السكانية فى " بيت لحم " و " بيت جالا " و " بيت ساحور " و تكثر القرى على المرتفعات و السفوح الغربية، و تجدر الإشارة إلى أن كثافة القرى و المدن فى هذه الجبال هى أعلى بكثير من إمكانيات الأرض الاقتصادية الطبيعية، و بالرغم من ذلك تشهد المنطقة ازدحاماً سكانياً لا مثيل له فى فلسطين إلا فى السهل الساحلى الفلسطينى الأوسط . حتى إن مدينة القدس لا تتصف بأية ميزة طبيعية تشجع على نشوء مدينة كبيرة كهذه و تطورها . ولكن القدس كانت و ما زالت السبب الذى يجذب إليها و إلى جبالها وقراها السكان من شتى الأرجاء لإعمارها و الاستيطان فيها رغم تجشمهم عناء الحصول على الأرض الصالحة للاستثمار و المياه الضرورية لا للزراعة فحسب بل و للشرب أيضاً . و التفسير المقبول لهذه الظاهرة البشرية - السكانية يتجلى فى الخلفية التاريخية - الدينية

الموغلة فى القدم لمدينة القدس، و هكذا أدت الوظيفة الدينية إلى بقاء القدس قائمة حتى يومنا هذا، بالرغم مما تعرضت له من أحداث و تدمير عدة مرات !

و قد فرضت طبيعة الأرض نمط الزراعة و أنواعها فى جبال القدس و سفوحها، حيث لا تسمح المساحات الصغيرة من الأراضى الصالحة للاستثمار بقيام زراعات واسعة كزراعة الحبوب بأنواعها، و من أهم الحاصلات التى تجود فى تربة القدس : أشجار الزيتون التى لا تكاد تخلو منها أرض قرية، بلاضافة إلى التين و الكروم.. و قد اكتسبت مدينة رام الله – البيرة شهرتها فى الاصطياف، كما ترتكز " بيت لحم " على المعطيات الدينية المقدسة .

أهمية الموقع الجغرافى للقدس :

يكتسب الموقع الجغرافى أهميته من مركزية موقع المدينة المقدسة بالنسبة إلى فلسطين و العالم، بالاضافة إلى أهميتها الدينية و السياسية، كما يجمع بين ميزة الانغلاق و ما يمنحه من حماية لها، و ميزة الانفتاح و ما يمنحه من إمكانية الاتصال بالمناطق و البلاد المجاورة.. كما أن موقع المدينة كان منطلقاً للديانة اليهودية و إشعاعاً للديانة المسيحية.. ثم أتت الديانة الإسلامية لتربط بين المدينتين المقدستين : مكة المكرمة و بيت المقدس روحياً ومادياً .

كانت نشأة النواة الأولى لمدينة القدس على تلال الضهور (الطور – تل أوفل) المطلة على قرية سلوان إلى الجنوب الشرقى من المسجد الأقصى، و قد اختير هذا الموضع الدفاعى لتوفير أسباب الحماية و الأمن لهذه المدينة الناشئة . و ساعدت مياه عين أم الدرج فى الجانب الشرقى من الضهور على توفير المياه للسكان . و يحيط وادى جهنم (قدرون) بالمدينة من الناحية الشرقية فى حين يحيط وادى الربابة (هنّوم) بها من الجهة الجنوبية ووادى الزبل من الجهة الغربية . و قد كوّنت هذه الأودية الثلاثة خطوطاً دفاعية طبيعية جعلت اقتحام القدس القديمة أمراً صعباً إلا من الجهتين الشمالية و الشمالية الغربية . وقد لاحظ جميع المؤرخين أن جميع الجيوش التى فتحت القدس قديماً و حديثاً دخلتها من الشمال .

هُجرت النواة الأولى للمدينة بمرور الزمن و حلت محلها نواة رئيسة تقوم على تلال أخرى غير تلال الضهور (الطور) مثل مرتفع بيت الزيتون (بزيتا) فى الشمال الشرقى للمدينة بين باب الساهرة و باب حطة، و مرتفع ساحة الحرم (موريا) فى الشرق، و مرتفع صهيون فى الجنوب الغربى، و هى المرتفعات التى تقع داخل السور فيما يعرف اليوم بـ

"القدس العتيقة " التى لم تعد تستوعب السكان و الامتداد العمرانى داخل السور الذى شيده السلطان " سليمان القانونى " سنة ١٥٤٢م و امتد العمران خارج سور المدينة ونشأت الأحياء الحديثة فيما يعرف بـ " القدس الجديدة ".. و القرى القديمة التابعة أصبحت ضواحى للمدينة، مثل قرى : شعفاط و بيت حنينا و سلوان و عين كارم.

جبال القدس :

تشكل جبال القدس و معها مرتفعات " رام الله " قلب فلسطين بشكل عام، و هذه الجبال الواقعة بين غور الانهدام السورى – الأفريقى شرقاً، و البحر المتوسط غرباً هى جزء من السلاسل الجبلية المكونة للجناح الغربى من جبال شرقى البحر المتوسط.. و تعود صخور هذه الجبال إلى الحقبتين الثانية و الثالثة الجيولوجيتين، و تتميز السفوح الشرقية لجبال القدس بالوعورة و الجفاف نتيجة تضافر عدة عوامل طبيعية . فالانحدارات الشديدة الناجمة عن فارق الارتفاع الكبير بين أعالى الجبال و الأجزاء الواقعة دون مستوى البحر سببت ازدياد عمل الحت الرأسى فى المجارى المائية المنتهية فى البحر الميت و غور الأردن الأدنى و كانت النتيجة تخدد السفوح الشرقية بأودية عميقة و خوانق متوغلة فى جسم الجبال من دون أن تصل إلى محورها أو تخترقه كوادى العوجة ووادى مكوك ووادى القلط ووادى مكلّك ووادى النار ووادى المشاش، و تقلل الانحدارات من إمكان تشكل التربة على هذه السفوح، و لذا كانت معظم صخورها جرداء عارية .

على جبل " موريا " شُيد الحرم القدسى الشريف.. فعلى قمته : قبة الصخرة المشرفة.. و على سفحه جنوباً يربض : المسجد الأقصى المبارك.. و فى سفحه غرباً : حائط البراق.. و جبل المشارف أو " جبل المشهد " هو الجبل الذى أقام عليه الغزاة و الفاتحون معسكراتهم، كما سُمى أيضاً " جبل الصوانة ".. و قد زحف العمران على هذه الجبال وشُيدت عليها أحياء جميلة مثل " حى المشارف " على جبل المشارف بشمال القدس.. و "حى القطمون " على جبل القطمون.. و " حى المكبر " على جبل المكبر جنوبى المدينة .

و جبل الطور.. و الذى يدعى أيضاً " جبل الزيتون " فهو إلى الشرق من القدس القديمة و يفصلها عنه " وادى قدرون " و يبلغ ارتفاعه ٨٢٥ متراً عن سطح البحر، و هذا الجبل تنتشر على قممه و سفوحه الكنائس و الأديرة، حيث كان السيد المسيح يلقى بتعاليمه إلى تلاميذه فى " اليا " بقمة الجبل.. كما تناول عشاؤه الأخير قبل القبض عليه فى كنيسة الجثمانية، و فيها ثمانى شجرات من الزيتون، يرجع تاريخها إلى عهد السيد المسيح، كان يستظل بها مع تلاميذه !

القدس العتيقة.. و القدس الجديدة !

تتألف القدس من قسمين هما : القدس القديمة، التى يحيط بها السور الكبير القديم، و هى التى تضم كل المقدسات : الصخرة المشرفة، المسجد الأقصى، كنيسة القيامة.. مما يشكل لها وضعاً فريداً لا مثيل له بين سائر المدن المقدسة فى العالم، أما القدس الجديدة، فهى الواقعة خارج السور، و تميزها حداثة العمران و الأحياء الجديدة و الشوارع المنتظمة.

شهدت القدس تحسناً عمرانياً فى عهد الرومان فبلغت مساحتها أكثر من كيلومترين مربعين، و كان الفتح العربى بداية التطور العمرانى الكبير، و يعود الفضل فى ذلك إلى الخليفة عمر بن الخطاب، ثم تابع الأمويون و العباسيون و من جاء بعدهم تطوير القدس وتحسين اوضاعها العمرانية لتناسب أهميتها الدينية . و فى العهد العثمانى أصبحت القدس مركزاً لمتصرفية .

كان المخطط الهيكلى للبلدة القديمة فى هذا العهد يتألف من محورين رئيسين متعامدين و مشيرين بأطرافهما إلى الاتجاهات الأصلية، و يبدأ أحدهما من باب الخليل غرباً إلى باب السلسلة المفتوحة على الحرم الشريف و الثانى من باب العمود و ينتهى جنوباً قرب النبى داود . و هكذا قسّم هذان المحوران البلدة القديمة إلى أربعة أحياء غير متساوية هى حى النصارى فى الشمال الغربى حول كنيسة القيامة و يكمله حى الأرمن فى الربع الجنوبى الغربى . أما الحى اليهودى فيحتل الربع الجنوبى الشرقى على حين يشغل حى المسلمين منطقة المسجد الأقصى فى الشمال الشرقى .

و بنايات القدس القديمة متلاصقة تفصل بين مجموعاتها حارات أو شوارع مرصوفة بالحجارة و مسقوفة بعقود تربط المبانى على جانبيها، و تتصف الأبنية بسماكة جدرانها المشيدة من الحجر الكلسى، و أما سقوف المنازل فمبنية من الحجر الخالص بشكل أقواس أو قباب، و قد ظلت مساحات واسعة من البلدة القديمة خالية من العمران قروناً طويلة .

بدأت المبانى تمتد خارج السور منذ أواخر القرن الماضى و أخذت المدينة تنمو فى الاتجاه الشمالى الغربى، و نحو الغرب فى اتجاه مدينة يافا، و زحف القلب التجارى للمدينة المقدسة على طول امتداد طريق يافا .

أما الطرق المخصصة للأسواق فهى متقاطعة و مفتوحة على بعضها، لتسهيل الاتصال من سوق إلى آخر، فى حين تنتهى بعض طرق الحارات السكنية إلى نهايات مسدودة لتوفر للمارة الشعور بالاستقلالية، و أسواق المدينة مصنفة حسب نوع التجارة أو الصناعة، و ذلك يتمشى مع أحدث نظم تخطيط المدن، فهناك سوق العطارين و سوق القطانين و سوق

اللحامين و الحدادين و خان الزيت و البازار و الحصر و الملابس إلى غير ذلك .

و لم يهمل المخطط للمدينة الخدمات الصحية، فاعتبرها من المكونات الرئيسة لها، حيث زودت بشبكة مجار حجرية تغطى المدينة و تنقل محتوياتها إلى خارج أسوارها .

أما مساكن المدينة فإنها تتجلى ببساطة تصميمها فى توفير المساحات الداخلية المكشوفة، و التى تعتبر من أهم مميزات العمارة الإسلامية، كما أن تأدية الوظائف، واستعمال المواد الإنشائية المحلية و التهوية الجيدة و التجانس بين الأبنية فى المدينة، كل ذلك يعتبر من الأسس المهمة فى تطبيق العمارة الإسلامية.

بعد حرب ١٩٤٨م و انفصال القدس الجديدة عن القدس القديمة، اتسعت المدينة القديمة بسرعة نحو الشمال و الشرق و امتدت الأحياء مع شرايين الطرق الرئيسة، واستاثر طريق القدس – رام الله بالأحياء الراقية (الشيخ جراح و شعفاط و بيت حنينا) على حين امتدت الأحياء الشعبية شرقاً على طريق القدس – عمان، و جنوباً على طريق القدس – بيت لحم . و أما القلب التجارى فإنه تركز فى شارعى باب العمود و صلاح الدين . و استعمل الحجر الكلسى المنحوت فى المبانى الحديثة فاكتست به الجدران من الخارج فى حين بُطنت بالإسمنت من الداخل . و أما السقوف فمن الإسمنت المسلح بالحديد . و قد ساعد هذا على اتساع مساحة المسكن و انفراج نوافذه فتحولت الأقواس عن وظيفتها كدعائم تشد البنيان و ترفع السقوف إلى مجرد زخارف تجمل البناء . و قد تعرض كثير من المبانى فى القدس القديمة للتدمير بعد عام ١٩٦٧م على يد سلطة الاحتلال الإسرائيلى .

أما القدس الجديدة فإن نموها أصبح مقصوراً على الاتجاه نحو الغرب حيث امتدت الأحياء السكنية بعماراتها الضخمة التى بنيت لاستيعاب أكبر عدد من المهاجرين الصهيونيين . و خطط للمركز التجارى أن يزحف نحو الشمال الغربى فى اتجاه حى روميما على حين خطط للدوائر الرسمية أن تكون امتداداً للحى التجارى نحو الجنوب حيث مساحات واسعة من الأرض التى تضم الجامعة العبرية و المكتبة العامة و المتحف والمؤسسات الأخرى . و هكذا ينحصر حى العمل المركزى فى القدس الجديدة بين الأحياء السكنية القديمة نسياً شرقاً و الأحياء الحديثة و الضواحى غرباً و جنوباً بغرب . و هناك حزام أخضر من الأشجار و المتنزهات و الملاعب بالضواحى من الجهة الغربية .

أعلنت سلطة الاحتلال الإسرائيلى بعد ١٩٦٧م ضم القدس العربية إلى القدس الإسرائيلية فى مدينة موحدة، و هذا الإعلان يخالف القوانين الدولية و يتحدى العالم . وفور الإعلان عن توحيد المدينة المقدسة قامت هذه السلطة بتصميم مخطط هيكلى للمدينة

الموحدة والعمل على تنفيذ مشروع القدس الكبرى .

و بموجب هذا المشروع أصبحت القدس القديمة و ما حولها من الأحياء و القرى العربية كوادى الجوز و الثورى و سلوان و الطور و العيسوية و بيت حنينا و شعفاط و قلندية و بيت صفافا و شرفات و صور باهر و أبو ديس و جبل المكبر تابعة لبلدية القدس، و تهدف (إسرائيل) من وراء هذا المشروع إلى تهويد المدينة المقدسة.. التى أقيمت بها متاحف ومسارح و أسواق عصرية، كما انتشرت بها المدارس الدينية اليهودية و الملاهى الليلية !.. وتتباين الأزياء فى شوارعها.. فتشاهد المعطف الأسود المتطرف اليهودى.. و كبابيت الرهبان و جلاليب المسلمين إلى جانب بنطلونات الجينز.. و أحدث التقاليع الغربية !!

القدس.. فى ذاكرة التاريخ

ظلت القدس عبر تاريخها الطويل : قبلة مقدسة و مصدر وحى و رمزا لطموحات أتباع الأديان السماوية الثلاثة، و تبرز أحداثها التاريخية فى تعدد أسمائها.. و أقدم اسم لها هو " أوروشاليم " بنسبتها إلى " شالم " إله السلام عند الكنعانيين، الذين شكلوا مع الأموريين فرعين من مجموعة كبيرة تحركت فى هجرة واحدة نحو غرب الأردن و سيطروا على سواحل البحر المتوسط ثم امتد نفوذهم نحو سوريا شرقاً، و تشير المصادر التاريخية إلى أنهم أتوا مباشرة من الجزيرة العربية، و أكدت " التوراة " على التقدم الحضارى الذى وصل إليه الكنعانيون، حيث شيدوا المعابد الضخمة و القصور الشاهقة و المدن العامرة وأسسوا الحكومات المحلية، و اتبعوا أساليب أرقى فى الزراعة و الصناعة.. و قد كشفت الأبحاث الأثرية عن مدن كنعانية تدل على حضارة هذا الشعب العربى .

و قد وردت باسم " روشاليموم " فى الكتابات المصرية القديمة التى يرجع تاريخها إلى القرنين التاسع عشر و الثامن عشر قبل الميلاد، و كان فراعنة مصر يحكمون فلسطين عن طريق ولاة من أهلها، بشرط دفع الجزية مع عدم التعرض لمعتقداتهم.. و من بين رسائل "تل العمارنة : ست رسائل بعث بها والى أورشليم " عبد – خيبا " إلى فرعون مصر "امنحتب الثالث " فى القرن الرابع عشر قبل الميلاد، يطلب فيها زيادة عدد أفراد الحامية المصرية، محذراً من غارات البدو " الخابيرو " أو " العابيرو ".. و استفحال خطرهم على البلاد .

وورد ذكر أورشليم فى التوراة أكثر من ٦٨٠ مرة و تلفظ بالعبرية " يروشالايم " و هى مشتقة من التسمية الكنعانية الأصلية.. كما وردت فى التوراة أسماء أخرى أطلقت على المدينة، وهى : شاليم، مدينة الله، مدينة القدس، مدينة العدل، مدينة السلام.. و " يبوس " و " مدينة اليبوسيين " .

القدس تحت حكم اليبوسيين :

نزح اليبوسيون - و هم من بطون العرب - مع القبائل الكنعانية حوالى سنة ٢٥٠٠ ق.م و احتلوا التلال المشرفة على موقع المدينة، و قد ورد اسم " يبوس " فى اللغة المصرية - الهيروغليفية - باسم " يابثى " و " يابتى " تحريفاً للاسم الكنعانى، و شيد اليبوسيون قلعة حصينة على الرابية الجنوبية الشرقية من مدينة " يبوس " الاسم الذى اطلق على أورشاليم فى عهد اليبوسيين، و سميت القلعة " حصن يبوس " أقدم بناء فى مدينة القدس، و شيدت حوله الأسوار و برج عال للسيطرة على المنطقة المحيطة و حمايتها من غارات العبرانيين.. و قد عُرف حصن يبوس فيما بعد بحصن " صهيون " و الجبل الذى أقيم عليه بـ " جبل صهيون " أو هضبة أوفل.. و قد تخير اليبوسيون هذا الموضع لتمتعه بمميزات استراتيجية، فإلى جواره شرقاً، مورد للمياه، نبع عُرف باسم " جيحون " و " نبع العذراء " بوادى قدرون، و قد شقوا نفقاً بباطن الجبل لنقل مياه النبع إلى داخل الحصن .

و بقيت المدينة بأيدى اليبوسيين خلال حكم القضاة و فى عهد الملك " شاؤول " و لم يسكنها اليهود على الإطلاق حتى استولى عليها الملك " داود " عام ١٠٠٦ ق.م.. أى أنها ظلت تحت حكم اليبوسيين نحو ثلاثمائة سنة، و يشير " يوسيفوس " المؤرخ اليهودى إلى أن يبوس " كان يسكنها اليبوسيون أصحابها، الذين تفرعوا عن الكنعانيين، و لما علموا برغبة داود الملك فى الاستيلاء على مدينتهم، أغلقوا أبوابها و شددوا الحراسة على أسوارها، فأمر داود بحصارها.. حتى استولى على الجزء الجنوبى بالقوة، و فشل فى اقتحام القلعة، فأعلن عن مكافآت للجند ووعد أول من يخترق الخنادق أسفل القلعة بأن يتولى قيادة الجيش، و استطاع " يوآب " أن يقتحمها ".. ثم خضعت المدينة للعبرانيين، بعد أن فشلوا فى الاستيلاء عليها فى عهد " يوشع " ..

و قد كشفت التنقيبات التى أجرتها الباحثة البريطانية " كاثلين كينيون " سنة ١٩٦١م فى " تلة أوفل " بالقدس عن بقايا السور الذى شيده اليبوسيون على جبل صهيون، وأبرزت قسماً من أساسات المبانى و مجرى المياه إلى الحصن من " عين جيحون " .

عاصمة مملكة داود :

لم يستطع اليهود الاستيلاء على حصن صهيون إلا فى عهد داود الذى اتخذ أورشاليم عاصمة له وأطلق على الحصن اسم " مدينة داود " . و كان أكثر سكان المدينة فى عهده من اليبوسيين و الكنعانيين و العموريين و الفلسطينيين . و قد ازدهرت المدينة فى عهد خليفته سليمان الذى شيّد الهيكل بمساعدة المعماريين الفينيقيين، كما قام بمد الأسوار

شمال قلعة داود، و تشير التوراة إلى أن سليمان قام بتشييد سور حول القدس، كما شيد قصراً على " تل أوفيل " أحاطه بأسوار قوية، و قد اكتشفت بقايا جدار جنوب شارع الملك داود عند بوابة ولسون، يرجح " مودسلى " العالم البريطانى أنها جزء من سور سليمان، وقد حكم داود و سليمان معاً ٧٣ عاماً تميزت بعدم الاستقرار و كثرة الحروب مع الفلسطينيين و الجيران العرب !

العصر الآشورى - البابلى :

كان أشهر حوادث ذلك العصر، ما قام به الملك " شلومنصر " الآشورى من سبى اليهود القاطنين فى المملكة الشمالية و على رأسهم ملكهم " يوشع " و نفيهم إلى مدينة " نينوى " بالعراق، و قام بإرسال عدة آلاف من الآشوريين للاستيطان فى شمال فلسطين .

كما قام الملك " سنحاريب " بحصار " أورشليم " عاصمة المملكة الشمالية سنة ٧١٣ ق.م ثم استرد المصريون القدس.. إلى أن حاصرها أشهر ملوك بابل " نبوخذ نصر "الثانى سنة ٥٩٣ ق.م و أسر ملكها " يهوياقيم " و كل رجاله و سباهم إلى بابل و استولى على خزائنه و مقتنيات الهيكل ثم أحرقه، و يشرح " التلمود " سبب الكارثة التى حلت باليهود " أنها نتيجة لتعاظم شر الإسرائيليين أمام الرب " !

ثم حاصر البابليون المدينة مرة أخرى سنة ٥٩٠ ق.م و أسروا ملكهم " صدقيا " الذى سبق أن عينه البابليون، و دمروا المدينة و أسوارها و سبوا الآلاف من اليهود إلى بابل.. ويقرر المؤرخون أنه عقب " السبى البابلى " انتهى الوجود اليهودى فى فلسطين نهائياً.. كما لم نجد لهم ذكرا فى كتابات المؤرخين المعاصرين لتلك العصور.. و تشير بعض المصادر إلى أن " سليمان " بكل المجد الذى أضفته عليه الأساطير اليهودية " لم يكن فى الواقع إلا ملكاً صغيراً يحكم مدينة صغيرة " !

عصر الإمبراطورية الفارسية :

بفضل براعة " الجواسيس اليهود " تغلب الفرس على البابليين، و قام القائد الفارسى "قورش " بإعادة اليهود عقب فتح المدينة سنة ٥٢٦ ق.م بعد أن قضوا فى اليبى سبعين عاماً، كما نزح إليها كثير من العرب، و أعيد بناء ما تهدم من سور المدينة، إلا أنها ظلت فى حالة يرثى لها.. و انتشر الزواج المختلط كما سادت اللغة الآرامية حتى أصبحت اللغة الرسمية، و لم تكن الأوضاع الأمنية مستقرة، و ظلت البلاد عامة تحت الحكم الفارسى إلى أن فتحها " الإسكندر " المقدونى عام ٣٣٢ ق.م . و تأرجحت السيطرة على المدينة فى عهد

خلفائه بين البطالمة و السلوقيين . و قد تأثر السكان فى هذا العهد الهلينستى بالحضارة الإغريقية، و قام الملك السلوقى أنطيوخوس الرابع حوالى سنة ١٦٥ ق.م بتدمير الهيكل وأرغم اليهود على اعتناق الوثنية اليونانية . و كانت نتيجة ذلك أن اندلعت ثورة المكابيين ونجح اليهود فى نيل الإستقلال بأورشليم تحت حكم الحاسمونيين من سنة ١٣٥ ق.م حتى سنة ٧٦ ق.م .

العصر الرومانى :

فتح القائد الرومانى الشهير " بومبى " مدينة أورشليم عام ٦٣ ق.م و كان أول ولاة المدينة هو " اسكورس " الذى ثار عليه اليهود بعد فترة، فألغى مجمعهم وهدم السور، وفى عهد يوليوس قيصر تعاقب عليها عدد من الولاة الخاضعين لروما، حتى تولاها " هيرودس الأدومى سنة ٣٧ ق.م الذى حكم لمدة ثلاثة و عشرين عاماً و فى آخر سنة من حكمه ولد السيد المسيح فى ٢٥ ديسمبر سنة ٧٤٩ لتأسيس روما، فى مدينة بيت لحم، و شيد هيرودس المسارح و الحمامات الرومانية و أقام عدة مبان على الطراز الرومانى و أعاد بناء سور المدينة، كما شيد لنفسه قصراً على جبل صهيون و أقام قلعة كانت مقراً للحكم ... و عجز أولاد هيرودس عن إدارة المدينة المقدسة بسبب الطبيعة العدوانية لليهود ... حتى أقيمت محكمة لليهود تطبق القوانين الرومانية ... و فى عهد الوالى " بيلاطس " تم صلب "المسيح " بعد أن أعلن خراب أورشليم و تشتت اليهود فى العالم كله، جزاء ما اقترفوا من سيئات فى حقه و رفضهم قبول دعوته.. و هو ما تحقق فعلاً سنة ٧٠م عندما قام القائد "تيتوس " باحتلال المدينة و حرق الهيكل و فتك باليهود، و عندما ثار اليهود بقيادة "باركوخبا " سنة ١٣٢م قام الإمبراطور " هادريان " بإخماد ثورتهم و دمر المدينة وشيد مكانها مستعمرة رومانية يحرم على اليهود دخولها، أطلق عليها " إيليا كابيتولينا " ولما اعتنق الإمبراطور " قسطنطين " المسيحية سنة ٣١٣م و اعتمدها ديانة رسمية أعاد إلى المدينة اسمها " أورشليم " حيث قامت والدته " هيلانة " سنة ٣٢٦م بزيارتها و تشييد عدة كنائس فوق المغرة و فوق القبر المقدس و الجلجثة، و باشرت بنفسها عملية البحث عن خشبة صلب المسيح .

فتح العرب للقدس :

حاصر الجيش العربى " ايلياء" بخمسة و ثلاثين ألفاً من الأجناد، بقيادة : أبو عبيدة بن الجراح و خالد بن الوليد.. اللذين لم يشاءا فتحها عنوة نظراً للمكانة السامية التى احتلتها

المدينة فى الدعوة الإسلامية، و قد ورد ذكرها فى القرآن الكريم و الأحاديث النبوية، كما كانت قبلة المسلمين الأولى، و إليها كان إسراء النبى – صلى الله عليه وسلم – و منها كان معراجه إلى السماء، و قد طلب أبو عبيدة بن الجراح من أمير المؤمنين " عمر بن الخطاب " أن يأتى إلى القدس.. حيث إن سكانها يأبون تسليمها إلا بحضوره بصفة شخصية !

ذهب عمر إلى بيت المقدس سنة ١٥هـ/٦٣٦م و أعطى الأمان لأهلها و تعهد لهم بأن تصان أرواحهم و أموالهم و كنائسهم و بأن لا يسمح لليهود بالعيش بينهم، و رفض أن يصلى فى كنيسة القيامة لئلا تتخذ صلاته سابقة لمن يأتى بعده، و ذهب إلى موقع المسجد الأقصى فأزال بيده ما كان على الصخرة من أقذار و بنى مسجداً فى الزاوية الجنوبية من ساحة الحرم، و كتب الخليفة عمر للبطريرك صفرونيوس " العهدة العمرية " المحفوظة بالبطريركية اليونانية الأرثوذكسية بالقدس، تضمنت الحفاظ على أمن المسيحيين وعقائدهم و ممتلكاتهم، و قد أشار " الطبرى " فى تاريخه إلى نص كتاب عمر، مضافاً إليه تحفظاً مهماً من البطريرك بضرورة إبعاد اليهود عن القدس و عدم السماح لهم بالبقاء فيها " بسبب أعمالهم الشريرة ضد المسيحيين " !

و قد وفد مع عمر بن الخطاب، و بعده، إلى القدس عدد كبير من الصحابة و التابعين وأخذ العنصر العربى ينمو و ينتشر بسرعة و عاد إلى المدينة طابعها العربى . و تميّز الحكم العربى الإسلامى بالتسامح الدينى، و احتفظ المسيحيون بكنائسهم و بحرية أداء شعائرهم الدينية، و كان الخليفة عمر قد أمر بإنشاء الدواوين الحكومية و أعد نظاماً للإصلاح و الإدارة فى الجوانب السياسية و الإقتصادية و العمرانية، و رتب شئون البريد والشرطة و القضاء، و أسس دار الحسبة للإشراف على المكاييل و الموازين و تنظيف الشوارع والحارات و الاهتمام بأسواق المدينة.. و شدد على رجاله أن يسيروا فى الناس بالعدل .



الفصل الثانى
التاريخ العربى للقدس

عصر الدولة الأموية :

عندما خضعت القدس لحكم الخليفة الأموى" معاوية بن سفيان " سنة ٦٤١م اختارها مكاناً لمبايعته خليفة للمسلمين، نظراً لأهميتها و مكانتها الدينية و التاريخية.. و عين لها "سلام بن قيصر " والياً، الذى أقام فى محل قصر هيرودس !.. و قد شهدت القدس فى عهد معاوية نوعاً من الازدهار، حيث قام بترميم و تجديد أسوارها، و اعتنى ببساتين الكروم و الزيتون.. و عادت القدس مقصداً للتجارة و الزيارة .

و كان أبرز إنجازات عهد الخليفة عبد الملك بن مروان (٢٥ - ٨٦ هـ/٦٤٦ - ٧٠٥ م) فيما يخص القدس، هو بناء قبة الصخرة المشرفة و المسجد الأقصى و هما من أعظم آثار الأمويين فى فلسطين . و يعد مسجد قبة الصخرة فى القدس أول مسجد بُنى فى بلاد الشام، إذ كان المسلمون يقيمون الصلاة فى مساجد بسيطة . و قد بُنى مسجد قبة الصخرة سنة ٧٢هـ/٦٩١م، و لا صحة للروايات التى تشير إلى أن الخليفة عبد الملك أراد أن يصرف الناس عن الكعبة لكى لا يتأثروا بدعايات ابن الزبير.

أما المسجد الأقصى فهو بالقرب من مسجد قبة الصخرة، و أوسع منه بكثير . و قد اهتم عبد الملك بن مروان ببناء هذين المسجدين، و صرف أموالاً كثيرة لزخرفتهما، و جلب المهندسين و المعماريين من أنحاء مختلفة للاستعانة بخبرتهم، و اهتم خلفاء بنى أمية بهما من حيث الترميم و التجديد و التزيين . و عبّد عبد الملك بن مروان الطرق الرئيسة بين الشام و القدس من أجل تسهيل سبل الزيارة لهذين المسجدين .

و لما تولى الوليد بن عبد الملك الخلافة، اهتم بالقدس، و تقبل بيعة الناس فى مسجد قبة الصخرة . و فى رواية عن ابن أبى عيلة أن الخليفة الوليد كان يعطيه قصاع الفضة ويقسّمها على فقراء بيت المقدس .

و اهتم سليمان بن عبد الملك بالقدس أيضاً، فبعد أن أتته " بيعة الأجناد " و هو فى البلقاء سنة ٩٦هـ/٧١٤م جاء بيت المقدس، فأتته الوفود بالبيعة، فلم يرد وفادة كانت أهنأ من الوفادة إليه ... فكان يجلس فى قبة فى صحن بيت المقدس مما يلى الصخرة ... ويبسط البسط، عليها النمارق و الكراسى و الوسائد، و إلى جانبه الأموال و كتّاب الدواوين، و قد همّ بالإقامة فى بيت المقدس، و اتخاذها منزلاً، و جمع الأموال و الناس

فيها، و قد كان للقدس منزلة خاصة لديه، و يُذكر أنه هو الذى شيد مدينة " الرملة " عندما كان والياً .

عصر الدولة العباسية :

واصل خلفاء الدولة العباسية اهتمامهم بمدينة القدس و الإفادة من مركزها الدينى، وقد قام بعضهم بزيارة المدينة المقدسة : فزارها المنصور مرتين سنة ١٤٠هـ/٧٥٨م و سنة ١٥٥هـ/٧٧١م، كما زارها المهدى سنة ١٦٣هـ/٧٨٠م، و المأمون سنة ٢١٥هـ عندما أمر بإضافة اسمه على فسيفساء قبة الصخرة .

و قام الخلفاء العباسيون بترميم و تجديد المسجد الأقصى عدة مرات، نتيجة الزلازل، حيث قام المنصور بتجديده بعد أن باع الرقائق الذهبية التى كانت تغشى أبوابه، ثم أعاد المهدى بناءه عقب حدوث زلزال، و عندما حدث زلزال ثالث، أمر الخليفة المأمون بتكليف أمراء الأطراف و القواد بإعادة بنائه، و أشرف على هذه العمارة قائده " عبد الله بن طاهر" سنة ٢١١هـ .

و فى العصر العباسى، وصف الرحالة " برنارد الحكيم " القدس و ما حولها فكتب : "إن المسلمين و المسيحيين يعيشون فيها فى تفاهم تام و الأمن العام مستقر " .

عصر الدولتان: الطولونية و الأخشيدية

دخلت القـــدس و فلسطين تحت حكم الدولة الطولونيـــة خـــلال السنوات ٢٦٥ - ٢٩٢هـ/٨٧٨ - ٩٠٥م، و قد شهدت القدس بعض الاضطرابات بين أصحاب الملل، وفقدت أهميتها السياسية فى ذلك العهد، و إن ظلت مقصداً لزيارة الحجاج المسيحيين .

ثم حكم الإخشيديون خلال السنوات ٣٢٧ - ٣٥٩هـ/٩٣٩ - ٩٦٩م و تناقص عدد سكان القدس، و أصبحت الرملة عاصمة لفلسطين، و فى عهد " كافور " ٩٦٠ - ٩٦٦م قام اليهود بنهب كنيسة صهيون و أحرقوا جزءاً من كنيسة القيامة مما أدى إلى سقوط قبتها.. وقد احتفظت القدس بمكانتها الدينية لدى الحكام الإخشيديين حتى أنهم أوصوا بأن يدفنوا فيها !

عصر الدولة الفاطمية :

عندما فتح الفاطميون القدس سنة ٣٥٩هـ/٩٦٩م قام الخليفة المعز لدين الله بتعيين

"أبو اليمن قزمان بن منيا " القبطى والياً على المدينة المقدسة.. و فى عهد " الحاكم بأمر الله" و بالتحديد سنة ١٠١١م انتشرت شائعة بأن القيامة ستقوم فى يوم محدد و توافد على المدينة الجموع الغفيرة من الأوربيين الذين رغبوا فى الموت بجوار " قبر المسيح ".. و مضى ذلك اليوم دون أن يحدث شىء.. فكان أن غضب الحاكم بأمر الله.. و بتحريض من اليهود قام بحملة اضطهاد ضد المسيحيين، فطرد الأجانب منهم خارج المدينة، و هدم كنيسة القيامة.. وبتدخل من والدته " ماريا " و أخته " ست الملك " تراجع الحاكم عن مواصلة حملته، و أمر بإعادة إعمار الكنائس و رد أملاك الأديرة.. و قد أحسن معاملة المسيحيين هو و الخلفاء الفاطميون من بعده، و قد شهد عهد الخليفة الظاهر عقد صلح مع القيصر البيزنطى " رومانوس الثالث " تم بمقتضاه ترميم عدد من الكنائس، و لم يكد ينتهى من ترميم كنيسة القيامة حتى أصابها زلزال عام ١٠٣٤م فانهارت، و ظلت كذلك حتى تبرع القيصر " مونوماخوس " بإعادة بنائها، و كان الزلزال قد أصاب أيضاً قبة الصخرة حيث أمر الخليفة الظاهر بترميمها.. وكان الخليفة الحاكم قد شيد داراً للعلم لنشر الدعوة الفاطمية و " بيمارستان " كان العلاج فيه مجاناً، و انتشرت بعض الصناعات اليدوية التى كان لها أسواق خاصة.. و قد أشار " ناصر خسرو " عام ١٠٤٧م إلى ازدهار الحياة الدينية الإسلامية و المسيحية فى القدس .

مملكة بيت المقدس اللاتينية : (القدس تحت الاحتلال الصليبى)

تجدر، بداية، الإشارة إلى شهادة المؤرخ الكبير " جيبون " عن المعاملة الطيبة التى شملت المسيحيين خلال الحكم العربى منذ فتح مدينة القدس حتى استيلاء الصليبيين عليها، كما أكد على عدالة العرب و توفيقهم فى حسم الخلافات بين المسيحيين بشأن الأماكن المقدسة .

و قد توج " الفرنجة " فتوحاتهم فى بلاد الشام باحتلال القدس فى يوم الجمعة ٢٣ شعبان ٤٩٢هـ/١٥ يوليو ١٠٩٩م، و احتفلوا بانتصارهم بارتكاب مذبحة رهيبة خصوصاً فى منطقة الحرم الشريف . و ذكر أن عدد ضحاياهم بلغ سبعين ألفاً، الأمر الذى يتناقض تناقضاً صارخاً مع تسامح عمر بن الخطاب عندما دخل المدينة . و نهب الصليبيون ما كان فى الصخرة و الأقصى من كنوز ووضعوا صليباً على قبة الصخرة و حولوا الأقصى إلى مقر لفرسان " الدورية " و جعلوا القدس عاصمة لمملكتهم اللاتينية و نصّبوا بطريركاً لاتينياً للمدينة بدلاً من البطريرك الأرثوذكسى، و أقام الفرنجة عدداً من المبانى الدينية الجديدة و عمّروا كنيسة القيامة و كنيسة القديسة حنة و غيرهما، و أقاموا نزلاً يتسع لألف

شخص من الحجاج المسيحيين القادمين من الخارج .

و كان الفرنجة قد فقدوا زعيمهم الروحى " أدهمار " المندوب البابوى قبل وصولهم القدس، و كان من الممكن أن يتولى " أدهمار " دولة دينية كنسية، و لكن فكرة إقامة حكومة دينية فى القدس استبعدت و تم الاتفاق على اختيار رئيس " علمانى " لها هو الأمير غودفرى دى بويون (جوفرى أو جفرى عند المؤرخين العرب) ففرض غودفرى أولا و لكنهم أجبروه على القبول فى ٢٩ شعبان ٤٩٢هـ/٢٢ تموز ١٠٩٩م، و لم يقبل غودفرى حمل لقب ملك بيت المقدس بل اكتفى بلقب " حامى القبر المقدس، او حامى بيت المقدس " . وهذا يعنى أن الدولة الجديدة ليست لها صفة سياسية بحتة، بل إنها جعلت للكنيسة حق الإشراف عليها . و بقيت هذه الحال حتى وفاة غودفرى فى ٢٤ رمضان ٤٩٣هـ/١٨ تموز ١١٠٠م . و لم يلبث أن غلفت شخصيته أسطورة تنسب إليه دوراً حاسماً فى تأسيس المملكة اللاتينية فى الشرق !

كانت مقاومة الوجود الفرنجى فى فلسطين شديدة و قد اتصفت سياسة الفرنج تجاه سكان فلسطين العرب بالإرهاب و بلغت المقاومة العربية أوجها عندما سيطرت على الطريق الواقع بين الرملة و بيت المقدس . و قد عبّر المؤرخ اللاتينى وليم الصورى عن هذه المقاومة الشعبية قائلاً : " كانت البلاد مليئة بالعصابات، و من جرّاء ذلك أصبح الطريق بين الرملة و القدس محفوفاً بالمخاطر . و قد هاجم بغدوين الأول سكان المناطق المجاورة للقدس والرملة و عاقبهم دون رحمة " . و بقيت المقاومة الشعبية متأججة فى فلسطين . فسكان القرى الفلسطينية الذين أطلق عليهم وليم الصورى اسم " المستوطنين القرويين " كانوا يعبّرون خير تعبير عن مقاومة المحتل المغتصب و رفض الوجود الفرنجى فى بلادهم، فقد انضم هؤلاء إلى كتائب المسلمين فى بلاد الشام و كانوا على صلات قوية بهم يساعدونهم و يعملون أدلاء لقواتهم عندما تدخل فلسطين .

و بعد أن أحكم الفرنج السيطرة على فلسطين و جنوب شرقى الأردن بدأوا ينظمون أمورهم الداخلية . و كانت المشكلة السكانية (الديموغرافية) هى المعضلة الأولى، فالفرنج كانوا قلة لأن عدداً منهم عاد إلى بلاده بعد احتلال بيت المقدس على حين فضل قسم منهم البقاء فى فلسطين، و هؤلاء هم ملاك الأراضى و الإقطاعيون و المحاربون . و أما أهالى فلسطين العرب فقد هجروا قراهم الساحلية و اتجهوا إلى المناطق الداخلية الجبلية أو غادروا فلسطين إلى منطقة شرقى الأردن أو دمشق . و أدى ذلك إلى تعطيل الزراعة فى الساحل . و قد أفرغ الفرنجة المدن الساحلية من سكانها العرب كما حدث فى صيدا وصور و عكا و حيفا و يافا و أرسوف و قيسارية و غيرها . و فى القدس قتلوا معظم

السكان العرب، حتى أن وليم الصورى قال : " فالوثنيون (المسلمون) الذين كانوا يعيشون في المدينة في ذلك الوقت قتلوا حتى آخر رجل، و إن هرب شخص و نجا لم يسمح له بالبقاء في المدينة، إذ أن السماح لشخص غير مسيحي بالسكنى في تلك المدينة يعنى تدنيس المقدسات " !، ثم يستطرد قائلاً : " إن المواطنين في القدس كانوا قليلي العدد حتى إنهم، بصعوبة، يملأون شارعاً واحداً " !

إزاء هذه المعضلة السكانية في مملكة القدس، و على الأخص في بيت المقدس والساحل، عمل الفرنج على تشجيع الهجرة إلى فلسطين من المناطق المجاورة، و لا سيما إلى القدس، فهجّروا سكان وادى موسى النصارى إلى القدس بالترهيب و الترغيب، كما شجعوا هجرة النصارى من عمان و الصلت و البلقاء إلى القدس و أسكنوهم في حي خاص أطلق عليه حي الشارقة .

تعاقب على عرش مملكة اللاتين كل من بغدوين الثانى (ت ٥٢٤هـ/١١٣١م)، و فولك الأنجوى (ت ٥٣٨هـ/١١٤٣م) الذى أكمل سوار التحصينات حول مملكة القدس و توسع في منطقة مآب فأعاد بناء قلعة الكرك (٥٣٧هـ/١١٤٣م) و نقل إليها مركز البارونية من الشوبك، و بعد وفاته تسلم عرش المملكة ابنه بغدوين الثالث، و في عهده بدأت اليقظة العربية الإسلامية بظهور عماد الدين زنكى الذى تمكن من تحقيق انتصارات على الفرنج في الشمال تُوِّجت بضربة حكيمة سددها إلى إمارة الرها (أول إمارة صليبية أُسست في الشرق العربي) التى كانت تقف حاجزاً يمنع أى اتصال بين حلب و الموصل و يتهدد بغداد دار الخلافة، فاقتحمتها قواته في جمادى الأولى ٥٣٩هـ/تشرين الثانى ١١٤٤م .

و كان لفتح الرها أصداء مهمة في كل من المعسكرين الإسلامى و الفرنجى . و يصف ابن الأثير أبعاد هذه المعركة و نتائجها فيقول : " و أشبهها ببدر صدقا، من شهدها فقد تمسك من الجهاد بأوثق سبب " . و بفتح الرها تغيرت نظرة العرب و المسلمين إلى الفرنج، فانحلت عقدة الخوف لديهم و انتهت أسطورة القوة التى طالما تشدق بها الفرنج بالإضافة إلى أن هذا الانتصار بث فيهم روح الجهاد و التضحية و النضال فتحول العرب والمسلمون من حالة الدفاع إلى حالة الهجوم مدفوعين إلى ذلك بالدعوة إلى الجهاد . ومال ميزان القوى في بلاد الشام إلى صالحهم فانطلق عماد الدين زنكى يهاجم القلاع والحصون الفرنجية في الشام، ثم عمل على توحيد الجبهة العربية الإسلامية .

عصر صلاح الدين :

لم يبق حكم الصليبيين في القدس أكثر من ٨٨ سنة، فانهارت مملكتهم، و قد حلت بهم

الضربة القاسمة فى معركة " حطين " ٥٨٣هـ/١١٨٧م، و بعدها دخل صلاح الدين الأيوبى القدس صلحاً و سمح للفرنجة بمغادرتها بعد دفع جزية بسيطة عن كل شخص . وامتازت معاملة صلاح الدين بالإنسانية فأعفى كثيرين من دفع الجزية وسمح للمسيحيين الشرقيين بالبقاء فى المدينة .

أزال صلاح الدين الصليب عن قبة الصخرة ووضع فيها المصاحف و عيّن لها الأئمة ووضع فى المسجد الأقصى المنبر الذى كان قد أمر نور الدين محمود بن زنكى بصنعه ودشن إنشاءات إسلامية كثيرة فى القدس أهمها مدرسة للشافعية (الصلاحية) و خانقاه للصوفية و مستشفى كبير (البيمارستان)، و أشرف بنفسه على تلك الإنشاءات، بل شارك بيده فى بناء سور القدس و تحصينه، و عقد فى المدينة مجالس العلم .

تولى حكم القدس بعد صلاح الدين ابنه الملك الأفضل الذى وقف المنطقة الواقعة إلى الجنوب الشرقى من الحرم على المغاربة حماية لمنطقة البراق المقدسة و أنشأ فيها مدرسة . وممن حكم القدس من الأيوبيين بعد الأفضل الملك عيسى بن أحمد بن أيوب الذى أجرى تعميرات فى كل من المسجد الأقصى و الصخرة و أنشأ ثلاث مدارس للحنفية (و كان الحنفى الوحيد من الأسرة الأيوبية)، و لكنه عاد فدمر أسوار القدس خوفاً من استيلاء الصليبيين عليها و خرب المدينة فاضطر أهلها إلى هجرها فى أسوأ الظروف، و تلاه بعد فترة وجيزة أخوه الملك الكامل الذى عقد اتفاقاً مع الإمبراطور فريدريك الثانى ملك الفرنجة سلّمه بموجبه القدس ما عدا الحرم الشريف، و سلّمت المدينة وسط مظاهر الحزن والسخط و الإستنكار سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٩م . و بقيت فى أيديهم حتى ٦٣٧هـ/١٢٣٩م عندما استردها الملك الناصر داود ابن أخى الكامل . و لكن الناصر ما لبث أن سلّمها مرة أخرى سنة ٦٤١هـ/١٢٤٣م . ثم عادت إلى الإسلام سنة ٦٤٢هـ/١٢٤٤م عندما استردها الخوارزمية للملك نجم الدين أيوب ملك مصر .

عصر سلاطين المماليك :

ظلت القدس تحت السيادة المملوكية منذ عام ٦٥١هـ/١٢٥٣م حتى عام ٩٢٢هـ/١٥١٦م و قد حظيت المدينة باهتمام سلاطين المماليك، الذين حرصوا على رعاية وتجديد المقدسات الإسلامية بها، و خفضوا الضرائب المفروضة على المدينة، كما أوقف بعضهم المصاحف على مساجدها، و نجد السلطان الظاهر بيبرس يأمر بترميم المسجد الأقصى كما أسس عام ٦٦٢هـ/١٢٦٣م " خانا " فى شمال غربى القدس مع النص على رعاية الفقراء و سد عوزهم . كذلك نجد السلطان " المنصور قلاوون " (٦٧٨ - ٦٨٩م)

يجدد سطح الجزء الجنوبى الغربى من سقف المسجد الأقصى بجوار مسجد النساء، كما وضع السلطان المنصور لاجين (٦٩٦ - ٦٩٨م) محراب داود بجوار الحائط الجنوبى للمسجد الأقصى، و عندما تولى السلطان الناصر محمد الحكم للمرة الثالثة (٧٠٩ - ٧٤١هـ/١٣٠٩ - ١٣٤٠م) غطى الجزء الخلفى للمسجد الأقصى بلوحات رخامية و فتح نافذتين يميناً و يساراً للمحراب كما رمم العقود فى الجهة الشمالية للقسم المرتفع من الحرم الشريف و بوابة الغزالين كما ذهّب قباب المكانين المقدسين فى الحرم الشريف و قد برع الصناع فى فنهم حتى بدت هذه الصناعة فى عهد مجير الدين أى بعد حوالى مائة وثمانين عاماً كما لو أنها حديثة الصنع، كذلك الكتابة الموجودة على قبة الصخرة تذكر هذا التذهيب و تجديد السق المصنوع من الرصاص .

وفى عصر هذا السلطان أيضاً أعيد تجديد و إصلاح المجرى المائى الممتد بين بحيرة السلطان و المدينة . و فى عام ٨٥١هـ/١٤٤٧ - ١٤٤٨م أحرق البرق و الصواعق سقف قبة الصخرة فأتلف جزءاً منه فأصدر السلطان " جقمق " (٨٤٢ - ٨٥٧هـ) أمراً بإصلاحه كما أمر بإتلاف كل الذى استحدث فى دير صهيون و كنيسة القبر، و انتزع من الرهبان قبر داود و الموضع الذى تدعى الكنيسة أنه فيه " هبط الروح القدس " كما أمر بهدم بعض المبانى و تنظيم الطريق المؤدى إلى المسجد الأقصى .

أما السلطان " الأشرف قايتباى " (٨٧٣ - ٩٠١هـ/١٤٦٨ - ١٤٩٥م) فقد كان شديد الاهتمام و الحرص على الأماكن المقدسة الإسلامية لذلك أمر بإعادة بناء و توسيع بناء العين بين الجزء المرتفع من الحرم الشريف و حائطه الغربى و الممتد من المدرسة التى تحمل اسمه عند باب السلسلة للمسجد الأقصى، كما أصلح كثيراً من قنوات المياه التى تمد القدس بالمياه .

وتجدر الإشارة إلى حرص معظم سلاطين المماليك على زيارة المدينة المقدسة، أكثر من مرة، و منهم : الظاهر بيبرس البندقدارى، و سيف الدين قلاوون و الناصر محمد بن قلاوون، و السلطان الأشرف قايتباى، و شيدوا بها عدداً من المنشآت الدينية و المدنية، كانت آيات فى فن العمارة، و بلغت فى مجموعها نحو خمسين مدرسة و سبعة ربط و عشرات الزوايا و عدد من الأسبلة .

و فى سنة ٧٧٧هـ جعلوا القدس نيابة مستقلة تابعة للسلطان فى القاهرة مباشرة بعد أن كانت تابعة لنيابة دمشق . و من آثار المماليك فى القدس أنهم سحبوا المياه من عين العروب إلى الحرم الشريف . و من أشهر المدارس التى أنشأوها المدرسة السلطانية الأشرفية و المدرسة التنكزية .

و غدت القدس زمن المماليك مركزاً من أهم المراكز العلمية فى العالم الإسلامى كله فكان يفد إليها الدارسون و المدرسون من مختلف الأقطار، و قد اكتشفت فى الحرم القدسى سنة ١٩٧٤م و بعده وثائق مملوكية تلقى المزيد من الضوء على تاريخ المدينة .

أما موارد المدينة الاقتصادية فى هذا العهد فكان أهمها الأوقاف التى وقفها المحسنون و الأمراء و السلاطين عليها و على المنشآت التى أقاموها . و كان بعض هذه الأوقاف فى سورية و تركيا و مصر من مصادر رزق الحجاج سكان القدس لا سيما الحجاج المسيحيين .

عصر الإمبراطورية العثمانية :

كانت معركة " مرج دابق " ٩٢٢هـ/١٥١٦م إيذاناً بنهاية عصر بأكمله، و بداية عصر جديد: عصر الإمبراطورية العثمانية.. و فى العام التالى، كان الفتح العثمانى لمدينة القدس.

و قد اشتهر السلطان " سليمان القانونى " الذى تولى الحكم سنة ٩٢٧هـ/١٥٢٠م خلفاً لوالده السلطان سليم الأول، باهتمامه خاصة بالقدس الشريف، إلى جانب فتوحاته، و شيد فيها عدة منشآت مهمة، منها سور القدس الذى استغرق بناؤه خمس سنوات، و تكية خاصكى سلطان، و تجديد عدد من المساجد و الأسبلة، و تجديد قبة الصخرة و كسوتها بالقيشانى الفاخر المتعدد الألوان، و ترميم داخل المسجد بالرخام و تدعيم الشبابيك بالزجاج الملون المعشق .

و فى عصر سليمان القانونى أيضاً وقع بالبلاد زلزال عام ١٥٤٥م فأطاح ببقية برج كان مخصصاً لجرس " كنيسة القبر " و فى عام ١٥٥٥م وقعت انقسامات شديدة بين أبناء الطوائف المسيحية المختلفة حول هذه الكنيسة و حراستها و قد أدت هذه الانقسامات إلى تأخير بناء قبة الكنيسة و برج الجرس و ظلت الحال كذلك حتى عام ١٧١٩م إذ التزم القائمون على الكنيسة بتنفيذ التعليمات التركية و القاضية بوجوب المحافظة على الرسم القديم للكنيسة .

و قد انتشرت زمن العثمانيين فى القدس التكايا و الزوايا و مؤسسات الصوفية الأخرى. و لكن بدءاً من القرن الثانى عشر الهجرى / الثامن عشر الميلادى أخذت مدارس القدس التى أنشأها المماليك و الأيوبيون تضمحل بسبب اضمحلال العقارات الموقوفة عليها. و قد وصلت حالة الشعب العلمية فى هذا القرن إلى أدنى مستوى على الرغم من ظهور عدد من علماء الدين البارزين .

و فى سنة ١٨٣١ - ١٨٤٠م كانت القدس تحت حكم إبراهيم بن محمد على حاكم

مصر الذى احتل سورية كلها إثر خلاف نشب مع الدولة العثمانية . و قد شهدت فترة الحكم المصرى شيئاً من تحديث الإدارة و نشر روح التسامح، و لكن فرض التجنيد الإجبارى و الضرائب الكثيرة و جمع السلاح من الأهالى و إزالة نفوذ المشايخ و العائلات الإقطاعية أدت إلى ثورة ضد هذا الحكم دعمتها الدولة العثمانية و استطاع المصريون إخمادها بصعوبة، و لكن إبراهيم باشا اضطر إلى ترك البلاد سنة ١٨٤٠م تحت ضغط الدول العظمى .

ولما عاد العثمانيون إلى الحكم فى بلاد الشام عام ١٢٥٦هـ/١٨٤٠م أرجعوا تقسيماتهم الإدارية، و ربطوا لواء القدس بإيالة صيدا . و لم يكن الوضع الإدارى فى بلاد الشام مستقراً فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر، فكثرت التغيرات فيه، لكن لواء القدس بأقضيته السبعة ظل تابعاً لإيالة صيدا، كذلك لواء عكا بأقضيته الأحد عشر، و لواء البلقاء (نابلس) الذى استحدث عام ١٢٦٧هـ/١٨٥٠م و كان يتبعه تسعة أقضية .

أصدرت الدولة العثمانية فى عام ١٢٨١هـ/١٨٦٤م نظام إدارة الولايات الجديد . وقد قسّمت البلاد العثمانية بموجبه إلى ثلاثين ولاية، تتألف كل واحدة منها من ألوية يترأسها قائمقامون، و تتألف الأقضية من نواح يترأسها مديرو نواح .

و كان على رأس كل لواء من الألوية الثلاثة فى فلسطين متصرف يدير شؤونه، ويشرف على تنفيذ أوامر الدولة، و يتولى أوامر الشرطة، و له حق تعيين مواعيد اجتماع مجالس النواحى و الأقضية، و التفتيش فى جميع أنحاء المتصرفية .

و فى كل لواء " مكتوبجى " يحرر المعاملات الإدارية و يحافظ على القيود الرسمية، وينشر أوامر الحكومة . و كان إلى جانبه فى الجهاز الإدارى للواء مدير للمعارف، و مدير للأمور الأجنبية، ومدير للزراعة و التجارة و محاسب، و مدير للأوقاف، و مدير لقوة الأمن، و مدير للنافعة مسؤول عن الطرق و المعابر، و مدير للدفتر الخاقانى (الطابو) و قد حرصت الدولة على ان تتوفر فى موظفى " الطابو " العفة والاستقامة، لكن عدد منهم فتنتهم الرشاوى التى كانت تغدقها عليهم الجهات الصهيونية فى فلسطين فتصرفوا بالأراضى، ونقلوا الملكية، و باعوا بيوعاً غير قانونية؛ لذلك كثيراً ما كان بعضهم ينقل، أو يعزل ويحاكم !

أما الجهاز الإدارى فى القضاء فقد تألف من القائمقام، و مدير المال، و من موظفين من مختلف الاختصاصات . و تألف فى الناحية من مدير الناحية و فى القرية من المختار،

و كان لكل متصرفية " مجلس إدارة المتصرفية " الذى ضم بالإضافة إلى المتصرف والمديرين المسؤولين فى المتصرفية عضوين منتخبين من المسلمين، و عضواً منتخباً من كل

طائفة من الطوائف الأربع الأرثوذكس و اللاتين و الأرمن و اليهود، ومهمة هذا المجلس تنظيم مختلف أمور المتصرفية و اتخاذ القرارات بشأنها و النظر فى كل ما له صلة بالإدارة المحلية، و كان مجلس إدارة متصرفية القدس يسمى " مجلس القدس الكبير " .

و لكل قضاء " مجلس إدارة القضاء "، ولكل ناحية " مجلس إدارة الناحية " و فى القرية " مجلس اختيارية القرية " .

أولت الدولة العثمانية لواء القدس اهتماماً خاصاً بعد أن رأت كثرة أعداد الزائرين الأجانب للقدس، و لمست اهتمام الدول الأجنبية بالمدينة و تدخلهم فى شئونها و فصلته عن ولاية سورية، و أعلنته متصرفية مستقلة باسم " قدس شريف متصرفلغى إدارة مستقلة " فى عام ١٢٩١هـ/١٨٧٤م .

وقد حافظت متصرفية القدس على وحدتها الإدارية حتى نهاية العهد العثمانى، فيما عدا السنوات التى ألحق بها قضاء الناصرة بعد فصله عن لواء عكا (١٣٢٥ – ١٣٢٨هـ/١٩٠٦ – ١٩٠٩م) . و ضمّت المتصرفية أقضية القدس و يافا و غزة و الخليل . وفى عام ١٣٢٨هـ/١٩٠٩م أنشئ قضاء بير السبع، و كان من قبل جزءاً من قضاء غزة.

و كان متصرف القدس ذا نفوذ فى لواء نابلس، على الرغم من انفصال هذا اللواء إدارياً عن القدس و إلحاقه بوالى صيدا أو بوالى الشام، حتى إن الحكومة المركزية ألحقت لواء نابلس بمتصرفية القدس أكثر من مرة . و يعود ذلك إلى قوة مركز و رتبة متصرف القدس الذى كان فى الغالب من الموظفين الأتراك .

مارس متصرف القدس سلطات الوالى فى جميع الأمور، و كان يرفع الأوراق المتعلقة بقضايا المتصرفة إلى الباب العالى فى استانبول مباشرة، فى حين كان متصرفا لواءى نابلس و عكا تابعين لولاية سورية ثم لولاية بيروت . و كان متصرفو القدس أيام "السلطان عبد الحميد " من الموظفين الكبار فى قصر يلدز حتى يمكن للسلطان الاعتماد عليهم فى مواجهة تيار الهجرة الصهيونية المتدفق إلى فلسطين آنذاك، و فى مواجهة الضغوط الأجنبية المختلفة !

القدس تحت الإنتداب البريطانى :

أتمت القوات البريطانية، بقيادة الجنرال اللنبى، احتلال فلسطين و وضعت تحت الإدارة العسكرية المباشرة فى تشرين الأول ١٩١٨ . و القاعدة الدولية التى يجب أن يعمل بها المحتل فى إدارة المناطق المحتلة هى إقامة " الإدارة العسكرية التى تدير شئون البلاد، مع المحافظة على أوضاعها قبل الحرب، إلى أن يتم تقرير مصيرها السياسى " . لكن الاحتلال

البريطانى لم يسر على هذه القاعدة، لأنه قد بيّت النية لتنفيذ سياسة مرسومة من قبل، تهيئ فلسطين بالتدريج كى تصبح وطناً قومياً للصهيونيين، عملاً بما جاء فى وعد بلفور الذى صدر عام ١٩١٧، لذلك لم تبق الإدارة العسكرية البريطانية المحتلة التقسيمات الإدارية العثمانية، بل أعادت تقسيم البلاد إلى ثلاثة عشر لواء، على رأس كل لواء حاكم عسكرى بريطانى، و جميعهم مرتبطون بحاكم عسكرى فى القدس كان بدوره مرتبطاً بالقيادة العامة للجيش البريطانى فى القاهرة .

عندما تم الانتقال من الإدارة العسكرية إلى إدارة مدنية أطلق عليها " حكومة عموم فلسطين " فى يوليو ١٩٢٠م، أصبح الصهيونى البريطانى " هربرت صامويل " أول مندوب سام بريطانى فى فلسطين، كذلك عين الصهيونى " نورمان بنتوتش " مستشاراً قضائياً للحكومة و تولى المناصب الكبرى عدد من موظفى وزارة المستعمرات البريطانية.. و قد عمل السير " هربرت صامويل " حتى عام ١٩٢٥م على تمكين اليهود من الاستيلاء على فلسطين.. حتى أطلق عليه و بحق " ملك اليهود " !

و عندما قال الجنرال " اللنبى " قولته الشهيرة فى التاسع من ديسمبر ١٩١٧م، مفاخراً أمام باب يافا : " إن الحروب الصليبية قد انتهت اليوم " !.. فإنه قد سلم فلسطين لعصابات الارهاب الصهيونى .



الفصل الثالث
التكوين العمرانى والحضارى



العمارة العربية بالمدينة المقدسة

تزخر المدينة المقدسة بروائع العمارة الإسلامية، كان فيها نحو مائة بناء أثرى، تشمل المساجد والمدارس والخانقاوات والزوايا والأسبلة والتكايا والربط والتحصينات، وقد زال معظمها، هذه المنشآت الحضارية، شيدت فى القدس، ولم تكن المركز السياسى فى أى من العصور الإسلامية، وقد حرص الخلفاء والسلاطين على تشييد المنشآت الدينية والمدنية بقصد فعل الخيرات والتعبير عما تفيض به مشاعرهم من المحبة والتقديس لهذه المدينة المقدسة، وتوفير سبل الراحة والإقامة للحجيج والزوار والمتصوفة.. من جميع بقاع الأرض.

فى عصر خلفاء بنى أمية، نشأت عملية تمازج بين فكر و نتاج الحضارتين البيزنطية والفارسية من جهة، و الحضارة الإسلامية الوليدة من جهة أخرى.. و كان أبرز أوجه هذا التمازج الحضارى فى مجال العمارة الإسلامية، و فى فلسطين – بصفة خاصة – توارث الفن المحلى فنون الأمم التى شيدت وجوداً سياسياً و حضارياً فى أرضها.. فقد امتزج الفن المعمارى المتوارث بالخصائص التى طبع بها الإسلام عطاء الفن المسلم .

إن الفنانين المعماريين الأول قاموا بتنفيذ المنشآت العمرانية فى فلسطين، بعد الفتح العربى الإسلامى، كانوا إما من العناصر السكانية المحلية التى دخلت فى الإسلام، و إما من العناصر البيزنطية المستقرة فى فلسطين، و التى بقيت على النصرانية، و قدمت خدماتها للدولة الجديدة . و طبيعى أن هؤلاء الفنانين نشأوا فى ظل المدرسة المعمارية المحلية، و التى كان طابعها الفنى هو الطابع البيزنطى، كان عليهم أن يطوروا فنهم ليتلاءم مع متطلبات الدين الجديد .

و من منطلق امتزاج الدين بالدولة فى الإسلام، و بدراسة روائع العمارة الإسلامية فى فلسطين منذ الأيام الأولى لقيام دولة الإسلام فيها نجد أن هذه المنشآت صُممت لتخدم الغرضين الدينى و السياسى معاً . و هذا ما يُلاحظ بشكل واضح فى بناء قبة الصخرة مثلاً، التى بُنيت فى مدينة القدس و انتقى موقعها الطبوغرافى فى ساحة الحرم الشريف، وشُيد بناؤها فوق الصخرة الشريفة . و لم يكن كل هذا عرضاً أو مصادفة : فالقدس موطن الديانات السماوية السابقة، و تقترن بمعجزة الإسلام فى الإسراء من المسجد

الحرام إلى المسجد الأقصى، و هى قبلة الإسلام الأولى . و لكل من هذه الحقائق مدلولاتها السياسية والدينية معاً و إذا تُرك جانباً مخطط القبة الهندسى، و معادلة مخطط البناء وأبوابه و بواباته، و التفت إلى زخارف الفسيفساء الهندسية و الأرابسك التى توحى بالصفاء الروحى، و الكتابات الإسلامية التى تدفع إلى التأمل فى القدرة الإلهية، يدل هذا البناء على مولد فن عالمى جديد يتصل فيه ماضى هذه الأمة بحاضرها الذى لونه الإسلام بلونه المتميز.

و الرباطات هى أحد فنون العمارة الحربية، يقيم فيها المحاربون للدفاع عن البلاد . وقد انتشرت فى المناطق الساحلية من فلسطين مثل : غزة، و ميماس، و عسقلان، و الماحوز، وأسدود، و يافا، و أرسوف و غيرها . و يمتاز الرباط بجدران خارجية متينة مزودة بأبراج، وفى الداخل فناء تحيط به حجرات صغيرة للسكن، إضافة إلى مسجد . و فى أوقات الضرورة، توقد من منارة الرباط نيران إذا كان الوقت ليلاً، وإن كان نهاراً دخّنوا . وتوجد فى كل رباط إلى القصبة عدة منائر شاهقة رُتب لكل منها أقوام، فإذا أوقدت المنارة التى للرباط توقد التى تليها ثم الأخرى، فلا تكون ساعة إلا و قد أنفر بالقصبة، و خرج الناس إلى ذلك الرباط بالسلاح و القوة .

و قد عنى المسلمون بإقامة المساجد أينما كانوا يحلوا، سواء فى المدن و القرى القائمة فى فلسطين، أو فيما أنشأوه من مدن كالرملة التى أقيم فيها الجامع الأبيض سنة ٩٦هـ/٧١٥م . و بُنيت له فى خلافة هشام بن عبد الملك منارة بهية . أما الناصر محمد بن قلاوون فقد بنى فى الجامع الأبيض منارة سنة ٧١٨هـ/١٣١٨م، و هى من عجائب الدنيا.

و قد تطورت المساجد مع مرور الزمن، و زُخرفت جدرانها بكتابة آيات من القرآن الكريم، و زُينت أعمدتها بالجص و التيجان . و أصبحت فى معظمها مكونة من مساحة كبيرة مكشوفة فى الغالب، يحيط بها أربعة أروقة تسندها الأعمدة، و الرواق المتجه نحو الكعبة واسع فيه المحراب و المنبر، ثم كان استعمال القبة، و الأعمدة ذات التيجان، والأقواس نصف الدائرية فتحاً جديداً فى عمارة المساجد .

و قد زين الأمويون البلاد بالقصور و الأبنية الفخمة، مثل قصورهم فى القدس وقصر هشام بن عبد الملك فى خربة المفجّر قرب أريحا، و يُنسب إليهم قصر حيفا، وقصورهم فى البادية ما زالت تذهل علماء الآثار لروعة آثارها الهندسية و تصويرها الذى يمثل أحوال البادية و مناظر الصيد و الغزوات .

و حفلت المدن الفلسطينية بطرز معمارية أخرى، كالخانات و الأسبلة و الأسواق

والحمامات و المدارس . و الخانات فنادق ينزل فيها المسافرون مع دوابهم (كخان التجار فى نابلس) و خارج كل خان ساقية للسبيل و حانوت يشترى المسافر منه ما يحتاج إليه لنفسه أو لدابته، و الأسبلة هى أماكن يرتوى منها المارة، تقام مستقلة أو ملحقة بالمسجد أوالمدرسة، و هو غنى بزينته و زخارفه و قبته، و سبيل باب السلسلة الذى بنى مع أسبلة أخرى فى العصر العثمانى فى القدس . و تقوم الأسواق (القياسر) فى أماكن معينة فى المدن، و تمتاز بقناطرها وعقودها . و تكاد الحمامات تكون أمراً شائعاً فى جميع المدن الإسلامية و جدران بعضها مزينة بالصور و الرسوم.. أما المدارس، فقد خلّف سيف الدين تنكز المدرسة التنكزية فى القدس، و تُعرف بالمحكمة الشرعية، و هى آية من الفن المعمارى، لا سيما زخرف الأبواب العالية و الحجارة الملونة و المقرنصات . و تقع فى باب السلسلة المدرسة الأشرفية التى بنيت فى عهد السلطان قايتباى .

و تكثر فى فلسطين الأضرحة التى كانت تبنى غالباً على شكل قبة أو أبراج أسطوانية ذات سقف مخروطى . و كان المماليك قد أكثروا من إقامة المزارات و المشاهد و المقامات والأسبلة من فنون العمارة المختلفة فى فلسطين بعد استرجاعها من الصليبيين . كما انتشرت زوايا المتصوفين و بيوتهم التى عرفت بالخوانق، كخوانق الكرّمية فى القدس . وفيها أيضاً الخانقاه الصلاحية الملاصقة لكنيسة القيامة، و قد اشتهرت بمئذنتها التى بنيت سنة ٨٢٠هـ/١٤١٧م . هذا إلى جانب التكايا التى انتشرت فى العهد العثمانى.

الحرم الشريف (قلب المدينة)

تمثل مجموعة الحرم الشريف قلب مدينة القدس، ويحيط بها سور حجرى عتيق يبلغ طوله حوالى ١٦٠٠ متر ويشتمل على تسعة أبواب هى الرحمة وحطة وفيصل والغواغة والناظر والحديد والقطانين والسلسلة والمغاربة. ويتصل الحرم الشريف بباقى أجزاء المدينة بطرق تتفرع من أبواب الحرم التسعة، وتمتد بين أجزاء المدينة المحتلة ذات الوظائف المتعددة. ولم يقف اختلاف المناسب الطوبرغرافية، ضمن المدينة، حائلاً أمام المخطط والمصمم، حيث تم التغلب على ذلك باستعمال أدراج حجرية عريضة ومريحة لتنقل الشخص من مستوى إلى آخر.

أما طرق المدينة المقدسة: فإنها تمتاز بأنها رفيعة ومخصصة للمارة دون السيارات، وبعضها مغطى بالعقود الحجرية الجميلة التى تعود إلى العصور الإسلامية المتوسطة، والبعض الآخر مفتوح، كما بنيت المدارس والمساكن والزوايا والسبل للسقاية على جانبى الطرق، وتحمل العقود الحجرية فوقها الأبنية الحجرية التى تطل على الطريق بشبابيكها الصغيرة.

وتصميم هذه الطرق الرفيعة، يوفر الظلال المريحة للمشاة ويخفف من درجة الحرارة ويمنع سقوط أشعة الشمس المباشرة على المارة وخصوصاً فى أيام الصيف، وهذا ما تتميز به العمارة الإسلامية فى المدن الإسلامية التاريخية، وبإمكان الإنسان أن يقطع طرق القدس الشريف فى وقت قصير، وأن يقضى جميع احتياجاته سيراً على الأقدام دون تعب أو ملل، ويرجع ذلك إلى فلسفة تخطيط المدينة وإلى اتباع الأسس السليمة فى العمارة.

أبواب القدس:

لمدينة القدس سبعة أبواب ما زالت مستعملة وأربعة أبواب مغلقة والأبواب السبعة المستعملة هى:

* باب "العمود" المعروف عند الأجانب "بباب دمشق" ويقع فى منتصف الحائط الشمالى لسور القدس تقريباً ويعود تاريخه إلى عهد السلطان سليمان القانونى العثمانى، ويعلو هذا الباب قوس مستدير قائم بين برجين، ويؤدى بممر متعرج إلى داخل المدينة، وقد أقيم فوق أنقاض باب يرقى إلى العهد الصليبى. ووجدت أثناء حفريات سنة ١٩٣٦ وسنة ١٩٦٦ بقايا بابين يعود أحدهما إلى زمن الإمبراطور "هادريانوس" الذى أسس مدينة "إيليا كابيتولينا" بين سنتى ١٣٣ و ١٣٧ ميلادية على أنقاض المدينة التى دمرها الإمبراطور طيطوس، والثانى هو الذى بناه هيرودوس أغريباس فى منتصف القرن الأول الميلادى وتظهر الكتابة فوق باب هادريانوس اسم المدينة الجديدة. والباب قوس ضخم يرتكز على دعامتين من الحجارة القديمة المنحوتة نحتاً ناعماً والمزودة بإطار أنعم نحتاً. وقد أضيف عمود داخل الباب فى أيام الإمبراطور هادريانوس نفسه. ويظهر العمود فى خريطة الفسيفساء التى عثر عليها فى الكنيسة البيزنطية فى مأدبا وقد بقى هذا العمود حتى الفتح الإسلامى، ولذلك سمى العرب الباب باب العمود وكان يدعى من قبل باب دمشق لأنه مخرج القوافل إليها.

* باب "الساهرة" المعروف عند الغربيين باسم "باب هيرودوس"، وهو مثل سابقه يقع إلى الجانب الشمالى من سور القدس، على بعد نصف كيلو متر شرقى باب العمود. وباب الساهرة بسيط بنى ضمن برج مربع. وهو يرقى إلى عهد السلطان سليمان الثانى.

* باب "الأسباط" أو كما يسميه الغربيون باب القديس أسطفان، يقع فى الحائط الشرقى، وهو يمثل باب الساهرة فى شكله، ويعود تاريخه أيضاً إلى عهد السلطان سليمان نفسه.

* باب "المغاربة" وباب "النبى داود" فى الحائط الجنوبى لسور القدس. وباب المغاربة

أصغر أبواب القدس. وهو قوس قائم ضمن برج مربع. وأما باب النبى داود الذى يعرفه الأجانب باسم باب صهيون فهو باب كبير منفرج يؤدى إلى ساحة داخل السور. وقد أنشئ فى عهد السلطان سليمان عندما أعاد بناء سور المدينة.

* باب "الخليل" الذى يسميه الغربيون باب "يافا" ويقع فى الحائط الغربى.

* الباب "الجديد" فتح فى الجانب الشمالى للسور على مسافة كيلو متر تقريباً غربى باب العمود. وهو حديث العهد يعود إلى أيام زيارة الإمبراطور الألمانى غليوم الثانى لمدينة القدس سنة ١٨٩٨م.

وأبرز الأبواب الأربعة المغلقة "باب الرحمة" الذى يسميه الأجانب "الباب الذهبى" لجماله ورونقه، ويقع على بعد ٢٠٠م جنوبى باب الأسباط فى الحائط الشرقى للسور. ويعود هذا الباب إلى العصر الأموى، وهو باب مزدوج يعلوه قوسان ويؤدى إلى باحة مسقوفة بعقود ترتكز على أقواس قائمة فوق أعمدة كورنيشة ضخمة. وقد أغلق هذا الباب فى أيام العثمانيين بسبب خرافة سرت بين الناس آنذاك مؤداها أن الفرنجة سيعودون ويحتلون مدينة القدس عن طريق هذا الباب، وهو من أجمل أبواب المدينة ويؤدى مباشرة إلى داخل الحرم.

والأبواب الثلاثة المغلقة الأخرى تقع فى الحائط الجنوبى من السور، قرب الزاوية الجنوبية الشرقية وتؤدى جميعها إلى داخل الحرم مباشرة، وأولها ابتداء من زاوية السور الباب الواحد ويعلوه قوس.

وثانيها "الباب المثلث" وهو مؤلف من ثلاثة أبواب يعلو كلاً منها قوس. والثالث المزدوج وهو من بابين يعلو كلاً منهما سور. وتشير الأدلة إلى أن هذه الأبواب الثلاثة أنشئت فى العهد الأموى أيام بنى الخليفة عبدالملك بن مروان قبة الصخرة.

إن ما عثر عليه من آثار لأبواب قديمة تحت باب العمود يدل على أن تحت الأبواب الحالية أبواباً أخرى قديمة ترقى إلى عهود سابقة.

آثار الدولة الأموية (٤١ هـ / ٦٦١ م - ١٣٢ هـ/ ٧٥٠ م)

أولى خلفاء دولة بنى أمية "مدينة القدس" اهتماماً خاصاً، وحرص بعضهم على أن تشهد القدس مبايعتهم للخلافة، كما حرصوا على أن يشيدوا بها المساجد والربط والقصور... وكان من أبرز وأهم آثار الأمويين خاصة، والعمارة الإسلامية عامة:

مسجد قبة الصخرة:

يصف العالم الأثرى الشهير (فان برشم) قبة الصخرة بقوله: "لعل روعتها وجمالها

يعودان لما فى تخطيطها وتصميمها من بساطة وتناسق.. حقاً إنها مفخرة العمارة الإسلامية».

وعنها يقول "جوستاف لوبون" إنها أعظم بناء يستوقف النظر، إن جمالها وروعتها لا يصل إليهما خيال إنسان وقد شرع فى بنائها الخليفة عبدالملك بن مروان فى سنة ٦٨هـ/٦٨٨م، واكتمل سنة ٧٢هـ/٦٩١م.

ويعتبر المسجد من أجمل آثار التاريخ الإنسانى، وقد رصد لبنائه خراج مصر لمدة سبع سنين، حتى شيدت القبلة التى أفرغت فيها روائع الفن والذوق العربى الإسلامى، ويقع المسجد حول الصخرة المشرفة بوسط فناء واسع مرتفع عن أرض الحرم الشريف، ويبلغ ارتفاع قبته ثلاثين متراً، وهى أبرز ملامح المدينة، وتتألف من طابقين: الطابق العلوى مكسو بصفائح من الرصاص، وعقب ضربه بالقنابل الإسرائيلية عام ١٩٤٨ استبدل بها صفائح من الألومنيوم المذهب، والبناء مثمن الشكل، وطول كل ضلع ٢٠ متراً، وارتفاعه ١٠ أمتار، والطابق السفلى مصفح برقائق الرخام الأبيض الجميل، تزينها مربعات من القيشانى الفيروزى، كتبت عليها سورة "يس" باللون الأبيض، وتزدان هذه الواجهات الثمانى بنوافذ من الزجاج الملون، عددها ٥٦ نافذة، وتحت الصخرة "مغارة الأنبياء" التى ينزل إليها بإحدى عشرة درجة، وللمسجد أربعة أبواب مزدوجة.

والبائكة المثمنة تحيط بالاسطوانة الدائرية التى تحمل القبة، وما بينهما يسمى بالمطاف الداخلى، وتتكون من أربعة وعشرين عقداً محمولة فوق ثمانى دعائم وستة عشر عموداً بواقع عمودين بين كل دعامتين، وتم ربط عقود هذه البائكة بواسطة عرقين من الخشب متجاورين، فوقهما مرماك من الطوب، ويحمل هذا المطاف سقفاً جمالونياً يميل قليلاً إلى الخارج، أما "المثمن الخارجى" فطول كل ضلع ٢٠,٦ متر وبارتفاع ٩,٥ متر ويحمل هذا المطاف سقفاً خشبياً يناسب ميل جمالون المطاف الأول، ويساعد هذا الميل على تصريف مياه الأمطار عن طريق ثمانية وأربعين ميزاباً، ستة فى كل ضلع، ترتفع داخل دورة فوق أضلاع المثمن الخارجى، والتى يحتوى كل ضلع منها سبعة بانوهات، يتخلل الخمسة الوسطى منها شبابيك مزدوجة تزدان من الخارج بالحديد المشغول، ويذكر بعض الرحالة أن أبواب المسجد كانت مهداة من والدة الخليفة العباسى المقتدر.

والمشهد – بصفة عامة – يلائم الطواف حول الصخرة.. وفى الضلع الجنوبى من المثمن الخارجى نجد المحراب المجوف، وأهميته حسب اعتقاد العالم الأثرى "كريزويل" أنه أول محراب مجوف فى الإسلام، علماً بأن المحراب الموجود أسفل الصخرة بالكهف عبارة عن علامة على الحائط!

المسجد من الخارج يبدو كقطعة رائعة من الجمال والفن الرفيع، الجدران الخارجية مجلدة بالرخام الأبيض الفاخر حتى منتصفها ثم تزدان بعد ذلك بالقيشانى الفاخر الملون، أما الجدران من الداخل والدعائم والأعمدة فتزدان بالرخام وزخارف الفسيفساء الملونة فى أشكال نباتية تجل عن الوصف.. حتى قال عنها البروفيسور "بريتش": تبدو وكأنها تسبح فى فضاء خال من الهواء، متحررة من قانون الجاذبية الأرضية.. ثم يتساءل إذا ما كان الفنان المسلم قد قصد بها تصوير الجنة؟!

وعمارة مسجد قبة الصخرة وزخارفه: أشكالها وطرزها وفلسفتها، قد أفاضت المصادر القديمة والحديثة فى وصفها.. وقد تناولها بأشمل وأدق التفاصيل د. "كريزويل" فى مؤلفه الضخم عن العمارة الإسلامية.

المسجد الأقصى:

المسجد الأقصى الذى بارك الله حوله، وإليه أسرى برسول رب العالمين - صلى الله عليه وسلم - ومنه كان معراجه إلى الحضرة الإلهية تأكيداً على أن رسالته هى الخط التوحيدى الأعظم، والأقصى هو القبلة الأولى للمسلمين وثالث الحرمين الشريفين.

ينسب معظم المؤرخين المسلمين بناء المسجد الأقصى إلى الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان. ومن هؤلاء البشارى المقدسى وشهاب الدين أحمد بن محمد المقدسى ومجير الدين الحنبلى والسيوطى. ويقولون إنه بناه سنة ٧٢ هـ/٦٩١م وينسبه بعض المؤرخين، ومنهم ابن البطريق وابن الأثير وابن الطقطقى، إلى الوليد بن عبدالملك (حكم من ٨٦ - ٩٦ هـ/ ٧٠٥ - ٧١٤م). وتؤكد هذا الرأى مجموعات من أوراق البردى تضم مراسلات بين قرّة بن شريك عامل مصر الأموى (٩٠ - ٩٦هـ/٧٠٩ - ٧١٤م) وأحد حكام الصعيد وتتضمن ذكر نفقات العمال الذين كانوا يتولون بناء مسجد القدس. وتدل هذه الأوراق بصورة قاطعة على أن العمل فى بناء المسجد كان جارياً حوالى سنة ٩٠هـ/٧٠٩م. ويعنى هذا أن بانى المسجد هو الوليد بن عبدالملك، أو أنه هو الذى أتم بناءه.

ويختلف بناء المسجد الحالى عن بناء الأمويين اختلافاً كبيراً، فقد بنى المسجد بعد ذلك ورمم عدة مرات: ففى أواخر الحكم الأموى (١٣٠ هـ/٧٤٧م) حدث زلزال سقط بسببه شرقى المسجد وغربية. وقد جرت إعادة بناء المسجد زمن الخليفة العباسى المنصور سنة ١٤١هـ/٧٥٨-٧٥٩م. وفى سنة ١٥٨هـ/٧٧٤م وقع البناء الذى أقامه المنصور بسبب زلزال آخر فأمر الخليفة المهدى بإعادة بنائه، وبنى المسجد هذه المرة بعناية كبيرة وأنفقت عليه أموال طائلة، وكان يتكون من رواق أوسط كبير يقوم على أعمدة رخام وتكتنفه من كل

جانب سبعة أروقة موازية له وأقل منه ارتفاعاً.

وفى سنة ٤٢٥هـ/١٠٣٣م خرب المسجد الأقصى خراباً كبيراً بسبب زلزال آخر فعمره الخليفة الفاطمى الظاهر لإعزاز دين الله وضيقه من الغرب والشرق بحذف أربعة أروقة من كل جانب. والأبواب السبعة التى فى شمال المسجد اليوم هى من صنع الظاهر، كما أن جزءاً كبيراً من بناء الأقصى الحالى - قبل التعميرات التى جرت فى هذا القرن - يرجع إلى الظاهر.

وعندما احتل الصليبيون القدس غيروا معالم المسجد فاتخذوا جانباً منه كنيسة وجانباً آخر مسكناً لفرسان الاسبتارية وأضافوا إليه من الناحية الغربية بناء جعلوه مستودعاً لذخائرهم.

ولما حرر صلاح الدين الأيوبى القدس أمر بإصلاح المسجد الأقصى وإعادة البناء إلى ما كان عليه قبل الاحتلال الصليبى. وجدد صلاح الدين محراب المسجد وغشّاه بالفسيفساء وأتى بالمنبر الرائع الذى أمر نور الدين محمود بن زنكى بصنعه للمسجد الأقصى من حلب ووضعه فى المسجد.

وفى سنة ٦١٤هـ/ ١٢١٧م أنشأ الملك المعظم عيسى بن أحمد ابن أيوب الرواق الشمالى للمسجد، وهو يشمل سبعة أقواس تقابل أبواب المسجد السبعة.

وقد أجرى السلاطين المماليك، ثم العثمانيون، إصلاحات وتعميرات كثيرة فى المسجد الأقصى، ولكن شكله العام لم يتغير منذ عهد الأيوبيين.

ويزدان حرم المسجد الأقصى من جهة الغرب بأروقة محكمة البناء، تمتد من جهة القبلة إلى جهة الشمال، وأولها عند باب الحرم المعروف بباب المغاربة وآخرها عند باب الغوانمة، وكلها عمِّرت فى سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون فى مدد مختلفة، فالرواق الممتد من باب المغاربة إلى باب السلسلة عمّر فى سنة ٧١٣هـ/١٣١٣م، والرواق الممتد مما يلى منارة باب السلسلة إلى قرب باب الناظر عمّر فى سنة ٧٣٤هـ/١٣٣٧م، والرواق الممتد من باب الناظر إلى قرب باب الغوانمة عمّر سنة ٧٠٧ هـ/ ١٣٠٧م. وعمّر السور القبلى عند محراب داود، وهو جزء من سور المدينة الممتد من المسجد الأقصى إلى زاوية السور الجنوبية الشرقية عند مهد عيسى عليه السلام. ورُخّم صدر المسجد الأقصى، أى حائط المسجد الجنوبى، وفُتح بالمسجد المذكور الشباكان اللذان على يمين المحراب وشماله فى سنة ٧٣١هـ/١٣٣١م. وجدد تذهيب قبة المسجد الأقصى وقبة الصخرة حوالى سنة ٧٢٠هـ/١٣٢٠م.

لقد كان للمسجد الأقصى أعظم الأثر فى الحياة الدينية والاجتماعية والثقافية

والسياسية فى القدس – كما كان من أكبر المؤسسات التعليمية فى الإسلام، ومركز الاحتفالات الدينية الكبرى فى المدينة المقدسة، ومقر الحياة السياسية، فكانت تعقد فيه الاجتماعات وفيه كانت تعلن براءات تعيين كبار موظفى الدولة وبويع فيه بعض الخلفاء وكانت تتلى فيه المراسيم السلطانية!

المنشآت الدينية والمدنية فى عصر الدولة الأيوبية (٥٦٤هـ/١١٦٩م - ٦٥٠هـ/١٢٥٢م)

كان أول عمل قام به السلطان صلاح الدين الأيوبى مؤسس الدولة الأيوبية عند فتحه بيت المقدس استرجاعه الأماكن الإسلامية التى كان قد استولى عليها الصليبيون. وقد جدد محراب المسجد الأقصى وبناه بالرخام وأرّخ ذكرى فتح بيت المقدس فى سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م. وهذه الكتابة موجودة الآن فوق المحراب المذكور، وأحضر المنبر الذى أمر بصنعه الشهيد نور الدين محمود بن زنكى سنة ٥٦٤هـ/١١٦٩ خصيصاً لينقل إلى المسجد الأقصى عند فتح بيت المقدس. والمنبر مصنوع من الخشب ومرصّع بالعاج والأبنوس، وتشاهد فيه دقة الصناعة الإسلامية التى كانت شائعة فى تلك الأيام. وللأسف الشديد أضرم النار فيه صهيونى صباح يوم ١٩٦٩/٩/٢١ محاولاً بذلك حرق المسجد الأقصى.

وبنى السلطان صلاح الدين أسوار مدينة القدس وأبراجها التى كانت تهدمت، ولا يزال جزء كبير منها موجوداً إلى الآن، وحفر الخندق الذى يحيط بسور المدينة من باب العمود إلى القلعة فى باب الخليل.

وفى سنة ٥٨٥هـ/١١٨٩م جدد قبة الصخرة وزيّن داخلها بالزخرفة العربية بماء الذهب على ما يُرى فى وقتنا الحاضر. وأسس الخانقاه الصلاحية الواقعة فى الشمال الغربى من كنيسة القيامة فى حارة النصارى وجعلها رباطاً للصوفية وعين عليها الشيخ غانم بن على. وأسس المدرسة الصلاحية للفقهاء الشافعية مكان الكنيسة المعروفة بكنيسة القديسة حنة عند باب الأسباط ووقف عليها وعلى مصالح المسجد الأقصى المبارك أوقافاً حسنة منها الأسواق الثلاثة المتحاذية المعروفة اليوم بسوق العطارين والملحامين والصياغ.

ومن الآثار الأيوبية فى القدس:

الزاوية الختنية:

وقد أسسها السلطان صلاح الدين بظاهر سور المسجد الأقصى الجنوبى خلف المنبر ووقفها على الشيخ الأجلّ الزاهد العابد المجاهد جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد

جلال الدين الشاشى المجاور فى بيت المقدس، ثم من بعده على من يحذو حذوه. وكان تاريخ وقفها فى ١٨ ربيع الأول سنة ٥٨٧هـ/١١٩٢م.

ماء العروب:

جلبها إلى القدس فى سنة ٥٨٩هـ/١١٩٣م الملك العادل أبو بكر. وتبعد عين العروب قرابة ٢٢ كم إلى جنوب القدس بالقرب من برك سليمان. وقد بنى العادل سقاية، أى حوضاً، لحفظ الماء فى الجهة الجنوبية بالقرب من باب المتوضأ المعروف بباب المطهرة، وهو أحد أبواب الحرم الشريف الغربية. ومدخل السقاية القديم لا يزال قائماً فوقه كتابة تشير إلى عمل الملك العادل. وهذا الأثر يسجل المحاولة الأولى لتموين القدس بالماء من الخارج فى مدة الحكم الإسلامى، مما يدل على ازدهار العمران وكثرة السكان فى تلك الأيام.

الجامع العمرى:

بناه فى سنة ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م الملك الأفضل نور الدين أبو الحسن على بن صلاح الدين أثناء سلطنته على دمشق. وهو معروف اليوم بجامع عمر، ويقع بالقرب من كنيسة القيامة فى الجهة الجنوبية الغربية، وقد وقف الملك الأفضل المدرسة الأفضلية الواقعة فى حارة المغاربة على طائفة المغاربة.

المدرسة الميمونية:

تبعد حوالى ٢٠٠م إلى جنوب شرقى باب الساهرة داخل سور المدينة. وقد ذكر مجير الدين الحنبلى أن أصلها كنيسة من بناء الروم وقفها الأمير فارس الدين أبو سعيد ميمون بن عبدالله القصرى خازندار الملك صلاح الدين، وأن تاريخ وقفها كان فى جمادى الأولى سنة ٥٩٣هـ/١١٩٧م.

قبة المعراج:

أنشأها فى سنة ٥٩٧هـ/١٢٠١م الأمير عز الدين أبو عمرو عثمان الزنجلى متولى القدس الشريف وهى بناء مثمن الشكل، جدرانه مبنية بألواح الرخام الأبيض، وعليه قبة لطيفة مغطاة بصفائح الرصاص. وتقع القبة بالقرب من الصخرة المشرفة فى الجهة الشمالية - الغربية.

قبة سليمان:

بداخل ساحة الحرم بالقرب من باب شرف الأنبياء (أى باب الملك فيصل) إلى الغرب منه. والقبة تقوم على بناء مثمن الشكل محكم التكوين بداخله صخرة ثابتة. ويذكر مجير الدين الحنبلى أن البناء من عهد بنى أمية، إلا أن طراز بناء القبة والأقواس يدل على أنه يرجع إلى أوائل القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى.

الزاوية الجرّاحية:

بظاهر القدس القديمة من جهة الشمال، وتعرف بزاوية الشيخ جرّاح وتقع على جانب طريق نابلس، ولها وقف ووظائف مرتبة ونسبتها إلى واقفها الأمير حسام الدين بن شرف الدين عيسى الجراحى أحد أمراء الملك صلاح الدين، وكانت وفاته فى صفر سنة ٥٩٨هـ/١٢٠٢م، وهو مدفون فى زاويته هذه.

المدرسة الناصرية:

كانت على برج من باب الرحمة الملاصق لباب التوبة، وكلاهما واقعان فى منتصف سور الحرم الشرقى. وهذان البابان مغلقان منذ زمن قديم. وقد عرفت المدرسة بالناصرية نسبة إلى الشيخ نصر المقدسى، ثم اشتهرت باسم الغزالية نسبة إلى أبى حامد الغزالى الذى اعتكف فيها مدة. وقد جدد عمارتها الملك المعظم عيسى بن أحمد بن أيوب سنة ٦١٠هـ/١٢١٤م وجعلها زاوية لقراءة القرآن والاشتغال بالنحو وآداب اللغة العربية ووقف عليها كتباً من جملتها إصلاح المنطق لأبى يوسف يعقوب بن اسحق بن السكّيت. وذكر مجير الدين الحنبلى أن المدرسة كانت مندثرة فى أيامه.

زاوية الدركاء:

بجوار البيمارستان الصلاحى، ويقول مجير الدين الحنبلى إنها كانت فى زمن الفرنج دار الاسبتارية، وإنه كان عليها منارة هدم بعضها. وكان قديماً ينزل بها نواب القدس. واقفها هو الملك المظفر شهاب الدين غازى ابن الملك العادل أبى بكر بن أيوب صاحب ميافارقين فى سنة ٦١٣هـ/١٢١٦م وهى اليوم مندثرة.

تربة الملك حسام الدين بركة خان:

فى الجهة الجنوبية من طريق باب السلسلة، وتعرف اليوم بالمكتبة الخالدية. وقد تمّ بناؤها فى سنة ٦٤٤هـ/١٢٤٦م، وبنى محمد بن أحمد بن يمن العلائى النافذة المطلة على طريق باب السلسلة سنة ٧٩٢هـ/١٣٩٠م. وعلى عتبة النافذة العليا كتابة تشير إلى عمله هذا.

زاوية الهنود:

بداخل سور المدينة، وتبعد قرابة ١٠٠م إلى جنوب باب الساهرة، ويذكر مجير الدين الحنبلى أنها كانت للفقراء الرفاعية، ثم نزل بها طائفة الهنود فعرفت بهم. وترجع إلى القرن السابع الهجرى/ الثالث عشر الميلادى.

منشآت الملك عيسى ابن الملك العادل (أخو السلطان صلاح الدين)

أقام هذا الملك منشآت أيام سلطنته على الشام، ففى سنة ٦٠٤هـ/١٢٠٧م بنى القبة

النحوية لدراسة الآداب العربية، وهى بناء جميل يقع عند الزاوية الجنوبية الغربية من صحن قبة الصخرة. وفى سنة ٦٠٠هـ/١٢٠٤م أنشأ البرج الذى تقف عليه مئذنة جامع القلعة فى الجهة الجنوبية الغربية من بناء القلعة فى باب الخليل. وبنى فى سنة ٦١٣هـ/١٢١٦م سبيلاً يعرف بسبيل مشعلان، وهو سبيل لطيف واقع فى داخل ساحة الحرم بالقرب من المرقى فى زاوية صحن قبة الصخرة فى الجهة الشمالية - الغربية، وهو المرقى الذى يصل إليه الداخل من باب الناظر. وفى سنة ٦١٤هـ/١٢١٧م بنى مدرسة للحنفية تعرف بالمدرسة المعظمية، وموقعها مقابل باب شرف الأنبياء المعروف اليوم بباب الملك فيصل، وهو أحد المداخل الشمالية للحرم. ويرجع تجديد هذا الباب والرواق الممتد منه لجهة الغرب إلى أيام الملك المعظم أبى العزائم عيسى بن أبى بكر بن أيوب فى سنة ٦١٠هـ/١٢١٤م.

المنشآت الدينية والمدنية لدولة المماليك البحرية
(٦٥٠هـ - ٧٨٤هـ ١٢٣٥م - ١٣٨٣م)

رباط علاء الدين البصير:

فى الجهة الشمالية من الطريق الموصلة إلى حرم المسجد الأقصى المبارك من مدخل باب الناظر قرب دوائر المجلس الإسلامى الأعلى سابقاً، وهو تجاه الرباط المنصورى أوقفه الأمير علاء الدين ايدغدى بن عبدالله الصالحى النجمى سنة ٦٦٦هـ/١٢٦٧م. وكان الأمير علاء الدين من أكابر الأمراء ولى قبل مجيئه إلى القدس نظارة الحرمين الشريفين فى أيام الملك الظاهر بيبرس وأيام الملك المنصور قلاوون، وفى سنة ٦٦٥هـ/١٢٦٧م جدد باب المطهرة وهو أحد أبواب الحرم الغربية ويقع جنوب باب القطانين. وفى أيامه بلّط صحن قبة الصخرة الشريفة.

دار الحديث:

بجوار التربة والمدرسة الطازية من جهة الغرب. واقفها هو الأمير شرف الدين عيسى بن بدر الدين أبى القاسم الهكارى، وتاريخ وقفها فى ٢٥ رجب سنة ٦٦٦هـ/١٢٦٨م.

الرباط المنصورى:

فى الجهة الجنوبية من طريق باب الناظر تجاه رباط علاء الدين البصير، وقد بناه السلطان الملك المنصور قلاوون الصالحى سنة ٦٨١هـ/١٢٨٢م وأوقفه على الفقراء وزوّار بيت المقدس.

الزاوية الكبكية:

فى مقبرة مأمن الله. ونسبتها إلى منشئها الأمير علاء الدين ايدغدى بن عبدالله الكبكى المدفون فيها سنة ٦٨٨هـ/١٢٨٩م.

رباط كرد:

فى الجانب الشمالى من طريق باب الحديد تجاه المدرسة الأرغونية. وواقفه هو المقر السيفى كرد صاحب الديار المصرية سنة ٦٩٣هـ/١٢٩٣م.

المدرسة الداودارية:

وتعرف اليوم بمدرسة الإناث الإسلامية، ومكانها على يمين الخارج من الحرم من باب شرف الأنبياء، وواقفها هو الأمير علم الدين أبو موسى سنجر عبدالله الدوادار الصالحى النجمى، وعمارتها فى سنة ٦٩٥هـ/١٢٩٥م.

التربة الأوحدية:

وتقع على يسرة الخارج من الحرم من باب حُطّة. وواقفها هو الملك الأوحد نجم الدين يوسف بن الملك الناصر صلاح الدين داود بن الملك المعظم عيسى سنة ٦٩٧هـ/١٢٩٨م.

المدرسة السلامية:

بجوار المدرسة الدوادارية لجهة الشمال بالقرب من باب الملك فيصل، وواقفها هو الخواجة مجد الدين أبو الفدا إسماعيل السلامى بعد سنة ٧٠٠هـ/١٣٠٠م.

زاوية المغاربة:

تقع بأعلى حاراتهم فى الجهة الغربية خارج الحرم. وواقفها هو الشيخ عمر بن عبدالله بن عبدالنبى المغربى المصمودى المجرد. ويذكر مجير الدين الحنبلى أنه كان رجلاً صالحاً عمّر الزاوية وأنشأها من ماله ووقفها على الفقراء والمساكين فى ٣ ربيع الآخر سنة ٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م. وتوفى بالقدس ودفن بمقبرة مأمن الله عند حوش البسطامية.

التربة الجالقية:

وتعرف اليوم بدار الخالدى. وموقعها بالزاوية الشمالية الغربية عند ملتقى طريق الواد بطريق باب السلسلة. وواقفها هو ركن الدين بيبرس بن عبدالله الصالحى النجمى المعروف بالجالق، ومعناه الحصان القوى الشديد المراس. وكان من جملة الأمراء بالشام فى دولة الملك المنصور قلاوون وبعده. وقد توفى فى الرملة سنة ٧٠٧هـ/١٣٠٧م ودفن بتربته فى القدس.

جامع قلعة القدس:

بداخل القلعة عند زاويتها القبلية الغربية. وقد كتب على عتبة بابه العليا أن الجامع أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧١٠هـ/١٣١٠م.

التربة السعدية:

بطريق باب السلسلة تجاه المدرسة التنكزية بالقرب من باب الحرم الرئيس المعروف بباب السلسلة لجهة الغرب، وواقفها هو الأمير سعد الدين مسعود بن بدر سنقر عبدالله الرومى الحاجب بالشام فى دولة الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧١١ هـ/١٣١١م.

المدرسة الكريمية:

بالقرب من باب حطة لجهة الشرق. وواقفها هو كريم الدين عبدالكريم بن المعلم هبة الله بن مكانس ناظر الخواص الشريفة بالديار المصرية سنة ٧١٨هـ/١٣١٩م.

المدرسة الجاولية:

وتعرف بكلية روضة المعارف الوطنية سابقاً. وهى واقعة فى الجهة الشمالية الغربية من ساحة الحرم الشريف. وواقفها هو الأمير علم الدين سنجر الجاولى نائب غزة سنة ٧١٥هـ/١٣١٥م وكان من أهل العلم وله مصنفات كثيرة. وقد صارت المدرسة فى تلك الأزمنة سكناً لنواب القدس، وفيها مدفن الشيخ الصالح درباس الكردى الهكارى.

المدرسة التنكزية:

واقفها هو الأمير تنكز الناصرى نائب الشام. وهى مدرسة عظيمة متقنة البناء. وموقع البناء على يمين الداخل إلى الحرم الشريف من باب السلسلة، وهو باب الحرم الرئيس. وعلى باب المدرسة نقش يفيد بناء تنكز للمدرسة سنة ٧٢٩هـ/١٣٢٨م. ومن آثار تنكز أيضاً الرخام المبنى فى حائط المسجد الأقصى الجنوبى عند المحراب لجهة الشرق. وقد بنى أيضاً جانب الجامع الأقصى الغربى وجدد قناة الماء الواصلة إلى مدينة القدس من العروب. وقد ابتدأ بعمارتها سنة ٧٢٧هـ/١٣٢٦م ووصلت إلى القدس ودخلت وسط الحرم سنة ٧٢٨هـ/١٣٢٧م. وبنى تنكز البركة الرخام التى بين قبة الصخرة والمسجد الأقصى، وله سوق القطانين والحمام الواقع على يمين الداخل إلى السوق المذكورة من طريق الواد ويعرف اليوم بحمام العين. وله أيضاً الخان الواقع فى الجهة الجنوبية من سوق القطانين بين حمام الشفى وحمام العين. وقد أعاد بناء مئذنة باب السلسلة.

المدرسة الأمينية:

على الجانب الغربى من الطريق المؤدى إلى باب الحرم المعروف بباب شرف الأنبياء. وواقفها هو الصاحب أمين الدين عبدالله فى سنة ٧٣٠هـ/١٣٢٩م.

الخانقاه الفخرية:

مجاورة لجامع المغاربة بداخل سور المسجد الأقصى، وبابها عند الباب الذى يخرج منه إلى حارة المغاربة. وواقفها هو المقر العالى القاضى فخر الدين أبو عبدالله محمد بن فضل

الله ناظر الجيوش الإسلامية. وقد ذكر مجير الدين الحنبلي أن أصله قبطي وأنه أسلم وحسن إسلامه وكانت له أوقاف كثيرة وبر وإحسان لأهل العلم، وكان صدراً كبيراً معظماً. وكانت وفاته فى منتصف رجب سنة ٧٣٢هـ/١٣٣١م.

المدرسة الملكية:

فى الجهة الشمالية من الحرم بين الفارسية والأسعردية. ومنشئ المدرسة الملكية هو الحاج آل ملك الجوكندار فى أيام الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٤١هـ/١٣٤٠م.

الزاوية المهمازية:

بحارة حطة شمال غرب المدرسة الصلاحية. وقد ذكر مجير الدين الحنبلي أنها منسوبة إلى الشيخ كمال الدين المهمازى وأن الملك الصالح أسماعيل بن الناصر محمد بن قلاوون وقف على المشايخ المقيمين فيها قرية بيت لقيا من عمل القدس بتاريخ سنة ٧٤٥هـ/١٣٤٤م، وهى خراب فى الوقت الحاضر.

تربة تركان خاتون:

فى الجهة الشمالية من طريق باب السلسلة. وبانيتها هى تركان خاتون بنت طقطباى بن سلجوقطاى الأزبكى سنة ٧٥٣هـ/١٣٥٢م.

التربة الكيلانية:

وتعرف اليوم بدار الدّنف، وموقعها فى الجهة الشمالية من طريق باب السلسلة تجاه المكتبة الخالدية لجهة الغرب. وواقفها هو الحاج جمال الدين بهلوى ابن الأمير شمس الدين محمد الكيلانى سنة ٧٥٣هـ/١٣٥٢م.

المدرسة الفارسية:

فى الجهة الشمالية من الحرم بالقرب من باب شرف الأنبياء لجهة الغرب وواقفها هو الأمير فارس الدين البكى بن الأمير قطلوملك بن عبدالله نائب السلطنة بالأعمال الساحلية ونائب غزة سنة ٧٥٥هـ/١٣٥٤م. وقد وقف عليها حصته من طولكرم.

المدرسة والتربة الأرغونية:

بالقرب من باب الحديد، وهى على ميسرة الخارج من الحرم من باب الحديد، وقد دفن فيها مؤخراً الملك حسين بن على. وواقفها هو الأمير أرغون الكاملى نائب الشام الذى جدد باب الحديد أحد أبواب الحرم الغربية. والأمير سيف الدين أرغون بن عبدالله الكاملى المعروف بأرغون الصغير كان خصكياً، أى مملوكاً عند الملك الكامل، ثم عند أخيه الملك الصالح أسماعيل. وقد ولى نيابة الشام ثم أعيد ثانية إلى نيابة حلب وطُلب فيما بعد إلى القاهرة وقبض عليه واعتقل بالأسكندرية مدة، ثم أرسل إلى القدس بطالاً فمات بها ودفن بتربته التى أكمل بناؤها بعد وفاته سنة ٧٥٩هـ/١٣٥٨م.

الزاوية المحمدية:

بجوار المدرسة البارودية بباب الناظر. وواقفها هو محمد بك زكريا الناصرى سنة ٧٥١هـ/١٣٥٠م.

زاوية الطواشية:

ذكر مجير الدين الحنبلى أنها تقع بحارة الشريف التى تعرف قديماً بحارة الأكراد. وواقفها هو الشيخ الصالح شمس الدين محمد بن جلال الدين عرب فخر الدين أحمد المجاور بالقدس سنة ٧٥٣هـ/ ١٣٥٢م.

المدرسة الطشتمرية:

بباب الناظر بالقرب من المدرسة الحسنية. وواقفها هو الأمير طشتمر من أمراء الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون سنة ٧٥٩هـ/١٣٥٧م.

المدرسة المنجكية:

بالقرب من مدخل الحرم الغربى المعروف بباب الناظر. وكان يشغل البناء دوائر المجلس الإسلامى الأعلى سابقاً. وواقفها هو الأمير منجك نائب الشام. وقد جاء أن الملك الناصر حسن أرسله للقدس ليبتنى المدرسة له، فلما قتل السلطان سنة ٧٦٢هـ/١٣٦١م بنى الأمير منجك المدرسة لنفسه فنسبت إليه ووقف عليها ورتب لها الفقهاء وأرباب الوظائف.

المدرسة الطازية:

بطريق باب السلسلة لجهة الشمال تجاه المكتبة الخالدية. ومنشئها هو الأمير سيف الدين طاز بن قطفاج سنة ٧٦٣هـ/١٣٦٢م، وكان من خواص الملك الناصر محمد ثم رقى بعد موته إلى أن صار مدير الديار المصرية، ثم جاء إلى القدس وعاش فيها وتوفى فى أواخر سنة ٧٦٣هـ/١٣٦٢م.

المدرسة الشيخونية:

بالقرب من المدرسة الصلاحية عند سويقة باب حطة. وقد ذكر مجير الدين الحنبلى أن واقفها هو الأمير سيف الدين قطبشان الذى كان مجاوراً بالقدس، وأنه جعل نظرها لنفسه ثم من بعده لولده شيخون فسميت بالشيخونية نسبة إليه وتاريخ وقفها سنة ٧٦١هـ/١٣٥٩م.

دار القرآن السلامية:

على الجانب الجنوبى من طريق باب السلسلة تجاه التربة الجالقية. وواقفها هو سراج الدين عمر بن أبى بكر القاسم السلامى، وتاريخ وقفها سنة ٧٦١هـ/١٣٥٩م.

المدرسة المحدثية:

بالقرب من المدرسة الجاولية (كلية روضة المعارف الوطنية) إلى الغرب منها عند باب الغوانمة. وواقفها هو عز الدين أبو محمد عبدالعزيز العجمى الأردبيلى سنة ٧٦٢هـ/١٣٦٠م.

رباط الماردينى:

بباب حطة مقابل المدرسة الكاملية، وبجوار التربة الأوحدية. ويذكر مجير الدين الحنبلى أن وقفه منسوب إلى امرأتين من عتقاء الملك الصالح صاحب ماردين، وشرطه أن يكون لم يرد من ماردين، وتاريخ وقفه سنة ٧٦٣هـ/١٣٦٢م.

المدرسة الأسعردية:

فى الجهة الشمالية من الحرم شرق المدرسة الجاولية. وواقفها هو مجد الدين عبد الغنى بن سيف الدين أبى بكر يوسف الأسعردى سنة ٧٦٠هـ/١٣٥٨م.

المدرسة اللؤلؤية:

بالقرب من مقام القرمى لجهة الغرب. وواقفها هو الأمير لؤلؤ غازى عتيق الملك الأشرف شعبان بن حسين سنة ٧٨١هـ/١٣٨٠م.

المدرسة البلدية:

فى الجهة الشمالية من باب السكينة، ويسمونه باب السلام. وهذا الباب بحذاء باب السلسلة لجهة الشمال. وواقفها هو الأمير منكلى بغا الأحمدى نائب حلب. وقد توفى فيها ودفن سنة ٧٨٢هـ/١٣٨٠م.

المدرسة الخاتونية:

بالجهة الغربية من الحرم، وهى على يمين الخارج من باب القطانين. وقد دفن فيها مؤخراً الزعيم الهندى مولانا محمد على، ودفن فيها أيضاً موسى كاظم الحسينى رئيس اللجنة التنفيذية العربية وابنه الشهيد عبد القادر الحسينى الذى استشهد فى معركة القسطل فى ١٩٤٨/٤/٨ وواقفتها هى أوغل خاتون بنت شمس الدين محمد بن سيف الدين القازانية البغدادية سنة ٧٥٥هـ/١٣٥٤م. وقد أكملت عمارة المدرسة المذكورة ووقفت عليها المرحومة أصفهان شاه بنت الأمير قازان شاه سنة ٧٨٢هـ/١٣٨٠م.

التربة والمدرسة الطشتمرية:

فى الجهة الجنوبية من طريق باب السلسلة لجهة الغرب من المكتبة الخالدية، وتعرف اليوم بدار الإمام. وقد أنشأها الأمير سيف الدين طشتمر العلائى سنة ٧٨٤هـ/١٣٨٢م. وكان من أجلّ الأمراء وأعظمهم، تنقل فى عدة وظائف جليلة وولى الدوادارية الكبرى

بالديار المصرية، ومات فى سنة ٧٨٦هـ/١٣٨٤م فى القدس ودفن فى تربة بجانب مدرسته.

الزاوية الأدهمية:

خارج سور المدينة، وتبعد قرابة مائة متر إلى غرب باب الساهرة فى كهف واسع بأسفل جبل من الصخر. ويقول مجير الدين الحنبلى إن الكهف يعرف بمغارة الكتان، وإن سطح هذا الجبل يستعمل مقبرة لدفن الأموات (وهو لا يزال كذلك فى الوقت الحاضر)، وإن معمّر هذه الزاوية الأمير منجك هو نائب الشام سنة ٧٦٢هـ/١٣٦١م، وإنه غيره من أهل الخير قد وقفوا عليها أوقافاً، وإن فيها قبور جماعة من الصالحين.

المدرسة البارودية:

بباب الناظر بالقرب من المدرسة الطشتمرية. وواقفتها هى الست الحاجة سفرى خاتون بنت شرف الدين أبى بكر بن محمود المعروف بالبارودى، وتاريخ وقفها سنة ٧٦٨هـ/١٣٦٦م.

مئذنة باب الأسباط:

عمّرت فى أيام السلطان الملك الأشرف شعبان بن الأمير حسن بن الملك الناصر محمد بن قلاوون بمباشرة من السيفى (قطلوبغا) ناظر الحرمين الشريفين سنة ٧٦٩هـ/١٣٦٧م. وجددت فى أيامه أيضاً الأبواب الخشبية المركبة على أبواب المسجد الأقصى، وعمارة القناطر على السلالم الموصلة إلى صحن قبلة الصخرة المقابل لباب الناظر.

الزاوية البسطامية:

بحارة المشارقة التى تعرف اليوم بحارة السعدية. ويرجع بناؤها إلى حوالى سنة ٧٧٠هـ/١٣٦٨م. ويذكر مجير الدين الحنبلى أن واقفها هو الشيخ الصالح عبد الله بن خليل بن على الأسد آبادى البسطامى، وأنه كان من أولياء الله تعالى العارفين. وقد توفى بالقدس سنة ٧٩٤هـ/ ١٣٩٢م. ودفن بحوش البسطامية بمقبرة مأمن الله عند شيخه على الصيفى.

زاوية الأزرق:

بظاهر القدس من جهة القبلة شرقى زاوية البلاسى. ونسبتها إلى الشيخ إبراهيم الأزرق، وبها قبور جماعة منهم الشيخ إسحق ابن الشيخ إبراهيم، وقد كانت وفاته سنة ٧٨٠هـ/١٣٧٩م. ويذكر مجير الدين الحنبلى أنها تعرف بزاوية السرائى، وهى غير موجودة الآن.

الزاوية اللؤلؤية:

بداخل سور المدينة تبعد نحو ١٥٠م إلى جنوب شرق باب العمود. وواقفها هو بدر الدين لؤلؤ غازى الذى وقف أيضاً المدرسة اللؤلؤية سنة ٧٨١هـ/١٣٨٠م.

المدرسة الحنبلية:

بباب الحديد. وواقفها هو الأمير بيدمر نائب الشام. وقد كان متولياً نيابة دمشق فى سلطنة الأشرف شعبان بن حسين فى سنة ٧٧٧هـ/١٣٧٦م. وكان بناؤها فى سنة ٧٨١هـ/١٣٨٠م.

المدرسة الجهاركسية:

بجوار الزاوية اليونسية من جهة الشمال. ويقول مجير الدين الحنبلى إن أصلها، والزاوية اليونسية، كنيسة من بناء الروم قسمت نصفين. الأول للمدرسة الجهاركسية والثانى للزاوية اليونسية. وواقفها هو الأمير جهاركس الخليلى أمير آخور الملك الظاهر برقوق، وقد توفى قتيلاً بدمشق سنة ٧٩١هـ/١٣٨٨م.

المنشآت الدينية والمدنية لدولة المماليك البرجية
(٧٨٤ – ٩٢٢هـ / ١٣٨٢ – ١٥١٦م)

خان السلطان (الوكالة):

فى أول طريق باب السلسلة فى الجهة الشمالية. وقد بناه الملك الظاهر أبو سعيد برقوق سنة ٧٨٩هـ/١٣٨٦م. وفى أيامه عمّرت دكة المؤذنين بداخل قبة الصخرة تجاه المحراب. وفى سنة ٨٠١هـ/١٣٩٩م عمّر أيضاً البركة التى بظاهر المدينة القديمة من جهة الغرب، وهى المعروفة اليوم ببركة السلطان.

الزاوية القرمية:

يوصل إليها عن طريق السرايا القديمة لجهة الجنوب. ومنشئها هو الشيخ العالم التركستانى الأصل شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد القرمى. وقد ذكر مجير الدين الحنبلى أنه كان مشهوراً بالتقى والورع حتى إن الملوك كانت تأتى إلى بابه للتبرك منه. وقد توفى بالقدس سنة ٧٨٨هـ/١٣٨٦م ودفن بزاويته المذكورة.

منبر برهان الدين: مبنى بألواح من الرخام الأبيض على رأس السلم المقابل للباب الجنوبى لقبة الصخرة. وقد عمّره قاضى القضاة برهان الدين بن جماعة. وإلى جانبه إلى الغرب منه محراب. ويصلى فى هذا المكان العيد والاستسقاء. وتوفى القاضى المذكور سنة ٧٩٠هـ/١٣٨٨م.

تربة الست طنسق المظفرية:

في الجهة الشمالية بعقبة التكية تجاه الدار الكبرى المعروفة اليوم بدار الأيتام الإسلامية. وقد أنشأتها الست طنسق بنت عبد الله المظفرية في نهاية القرن الثامن الهجرى/ الرابع عشر الميلادى. وقد ذكر مجير الدين أنها كانت معاصرة للشيخ إبراهيم القلندرى الذى كان يسكن بالزاوية القلندرية المنسوبة إليه، وأنها كانت تحسن إليه. وقد عمّرت سنة ٧٨١هـ/١٣٧٩م الدار الكبرى المذكورة أعلاه سكناً لها، وبنت قبة على قبر أخيها بهادر في الزاوية القلندرية بتربة مأمن الله. وكان إنشاء هذه المباني خلال سنة ٨٧٩هـ/١٣٨٧م، وقد توفيت طنسق بالقدس ودفنت بالتربة التى أنشأتها.

الزاوية الوفائية:

أنشئت في بداية القرن التاسع الهجرى/ الخامس عشر الميلادى بباب الناظر تجاه المدرسة المنجكية (مقر المجلس الإسلامى الأعلى سابقاً). وقد ذكر مجير الدين أن هناك داراً تعلوها تعرف بدار الشيخ شهاب الدين ابن الهائم المتوفى في القدس سنة ٨١٥هـ/١٤١٢م. ثم عرفت ببنى أبى الوفا لسكناهم فيها، وكانت تعرف قديماً بدار معاوية.

زاوية الشيخ يعقوب العجمى:

بالقرب من القلعة. وأصلها كنيسة القديس جيمس الصليبية حولت إلى زاوية في القرن التاسع الهجرى/ الخامس عشر الميلادى. وقال مجير الدين إنها اشتهرت وقتئذ بزاوية الشيخ شمس الدين ابن الشيخ عبد الله البغدادى أحد العدول بالقدس، وكان سكنه فيها. وليس لها وجود في وقتنا الحاضر.

المدرسة الصبيبية:

في الجهة الشمالية من ساحة الحرم غرب المدرسة الأسعردية المتخذة اليوم مكاناً لمحكمة الاستئناف الشرعية. وواقفها هو الأمير علاء الدين على بن ناصر الدين محمد نائب القلعة الصبيبية (قرب بانياس الجولان). وقد ولى نيابة القدس وعمّر فيها المدرسة وتوفى في الشام سنة ٨٠٩هـ/١٤٠٦م ثم نقل إلى القدس ودفن بمدرسته المذكورة.

المدرسة الكاملية:

بخط باب حطة لجهة الغرب بجوار التربة الأوحدية من جهة الشمال. وواقفها هو الحاج كامل من أهل طرابلس، ومحضر وقفها مؤرخ في ٨١٦هـ/١٤١٣م.

المدرسة الباسطية:

تقع شمالى الحرم بالقرب من باب شرف الأنبياء (باب الملك فيصل). ويلاصق بعضها المدرسة الدوادارية التى تشغلها اليوم مدرسة الإناث الإسلامية لجهة الشمال الشرقى.

وواقفها هو القاضى زين الدين عبدالباسط بن خليل الدمشقى ناظر الجيوش المنصورة وعزيز الملكة. وكان أول من اختط أساسها وقصد عمارتها شيخ الإسلام شمس الدين محمد الهروى شيخ المدرسة الصلاحية وناظر الحرمين، إلا أن المنيّة أدركته قبل إتمام عمارتها فعمّرها القاضى زين الدين عبدالباسط المذكور ووقفها على الصوفية سنة ٨٣٤هـ/١٤٣١م. وهى ما تزال عامرة.

المدرسة الطولونية:

بداخل ساحة المسجد الأقصى عند الرواق الشمالى يصعد إليها من السلم الموصل إلى منارة باب الأسباط، وهى التى أنشاها شهاب الدين أحمد ابن الناصرى محمد الطولونى الظاهرى فى زمن الملك الظاهر برقوق على يد مملوكه أقبغا قبل ٨٠٠هـ/١٤٠٠م.

المدرسة الغادرية:

فى الجهة الشمالية من ساحة الحرم بين باب شرف الأنبياء ومئذنة باب الأسباط. وواقفها هو الأمير حسن الكشكلى ناظر الحرمين الشريفين ونائب السلطنة بالقدس. وكان بناؤها فى سنة ٨٣٧هـ/١٤٣٣م. وقد وقف عليها أوقافاً ورتّب فيها وظائف من التصوف وغيره. وتوفى الأمير حسن بالقدس بعد انفصاله عن النيابة سنة ٨٤٢هـ/١٤٣٩م ودفن بمقبرة ما عند الشيخ أبى عبد الله القرشى. وذكر مجير الدين أن مقابل هذه المدرسة تربة بها ضريح يقال إنه قبر السيدة فاطمة بنت معاوية.

المدرسة العثمانية:

وتعرف اليوم بدار الفتيانى. وهى واقعة على يسار الخارج من الحرم من باب المتوضأ المعروف بباب المطهرة. وواقفتها هى أصفهان شاه خاتون. وقد عينت لها أوقافاً كثيرة ببلاد الروم وغيرها. وعلى مدخل المدرسة كتابة تفيد أن بناء المدرسة كان سنة ٨٤٠هـ/١٤٣٧م. وقد توفيت الخاتون بالقدس ودفنت بمقبرة باب الرحمة.

المدرسة الجوهرية:

بطريق باب الحديد فى الجهة الشمالية تجاه المدرسة الأرغونية المدفون فيها الملك حسين بن على، وتعرف اليوم بدار الخطيب. وواقفها هو جوهر الصفوى القنقباى سنة ٨٤٤هـ/١٤٤٠م.

الرباط الزمنى:

يقع على يمين الخارج من الحرم من باب المطهرة قبالة المدرسة العثمانية (سكن آل الفتيانى). وقد وقفه الخواجا شمس الدين محمد بن الزمن أحد خواص الملك الأشرف قايتباى، وكان بناؤه فى سنة ٨٨١هـ/١٤٧٦م، وكانت وفاة واقفه سنة ٨٩٧هـ/١٤٩٢م.

المدرسة المزهرية:

بباب الحديد، وواقفها هو الزينبى أبو بكر بن مزهر الأنصارى الشافعى صاحب ديوان الإنشاء بالديار المصرية، وبعضها راكب على ظهر المدرسة الأرغونية، ولها مجمع على أروقة المسجد. وكان الفراغ من بنائها سنة ٨٨٥هـ/١٤٨٠م.

المدرسة الأشرفية:

وهى على ميسرة الداخل إلى الحرم عند باب السلسلة. وتقف على سطحها مئذنة باب السلسلة. ومدخل المدرسة غاية فى الحسن وأمامه رواق معقود مبنى بالحجارة المحكمة والمزينة بالنقوش الجميلة الدقيقة الصنع، وعلى جانبى المدخل كتابة بالخط النسخى تفيد أن الملك الأشرف سيف الدين أبا النصر قايتباى بنى المدرسة فى سنة ٨٨٥هـ/١٤٨٠م. وله أيضاً السبيل المعروف بسبيل قايتباى، وهو قبالة المدرسة لجهة الشرق، بناه سنة ٨٨٧هـ/١٤٨٢, ومن آثاره أيضاً المرقى الموصل إلى صحن قبة الصخرة فى الجهة الجنوبية الغربية بالقرب من المدرسة النحوية. وفى سنة ٨٨٧هـ/١٤٨٢م بنى مئذنة جامع العمرية المعروف اليوم بجامع عمر بجوار كنيسة القيامة. وفى أيامه أيضاً تمّ تعمير قناة الماء الجارية من العروب إلى القدس.

دار الخطابة:

واقعة بظاهر سور المدينة المحيط بالمسجد الأقصى من جهة الجنوب بجوار الزاوية الختنية من جهة الغرب. ويرجع بناؤها إلى نهاية القرن التاسع الهجرى/ الخامس عشر الميلادى.

وجدير بالذكر أن وجود هذا العدد الكبير من المدارس والزوايا والتكايا والرباطات والخوانق التى يرجع تاريخ إنشائها إلى القرن السابع والثامن والتاسع للهجرة يدل دلالة واضحة ملموسة على أن مدينة القدس كانت فى تلك الأزمنة وما سبقها مركزاً كبيراً للثقافة الإسلامية فضلاً عن مكانتها الروحية الممتازة. فالمسلمون كانوا يفدون إليها من جميع الأقطار الإسلامية بقصد زيارة أماكنها المقدسة والتبرك منها، وكانوا فى الوقت نفسه يأتون إليها بدافع نيل العلم والمعرفة. وقد اهتم مؤسسو هذه المبانى بوقف الأراضى والعقارات لينفق ريعها على هذه الدور والمعاهد والمؤسسات بما يضمن استمرار بقائها ويسهل للطلبة والمتفرغين للعلم والعباد والزهاد الوافدين من البلاد الشاسعة إقامتهم وأسباب معيشتهم فى المدينة المقدسة. وقد ذكر مجير الدين الحنبلى فى كتابه "الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل" عدداً من كبار العلماء والأعلام الذين كانوا يقومون بتدريس علوم الدين والفقه وآداب اللغة العربية فى هذه المدارس والمعاهد بالإضافة إلى التدريس الذى كان يقوم به علماء أجلاء فى رحاب المسجد الأقصى منذ تأسيسه.

المنشآت الدينية والمدنية فى عصر الدولة العثمانية
(٩٢٣ - ١٣٣٦هـ/١٥١٧ - ١٩١٧م)

كان أبرز وأهم آثار العصر العثمانى السور المحيط بمدينة القدس القديمة الذى قام السلطان سليمان ابن السلطان سليم بإعادة بنائه. وهو يجرى فى معظم مختطّه، ولا سيما فى المواقع المهمة فى الشمال والجنوب، على خط سور مدينة إيليا كبيتولينا (مدينة القدس) التى أعاد بناءها الإمبراطور الرومانى هدريان سنة ١٣٥م بعد خرابها الثانى وأطلق عليها هذا الإسم. وللسلطان سليمان أيضاً برج لقلق الواقع على زاوية السور الشمالية الشرقية قبالة متحف الآثار الفلسطينى، وبرج الكبريت القريب من باب المغاربة، والأبراج الأخرى البارزة من السور والموزعة على مسافات اقتضاها محيط الأرض، وأبواب المدينة الحالية المفتوحة فى السور وهى باب العمود (باب دمشق)، وباب الساهرة، وباب ستى مريم، وباب الخليل، (باب يافا)، وباب النبى داود، وباب المغاربة.

وفى زمنه بنيت عدة سبل فى الطرق الرئيسية المؤدية إلى المسجد الأقصى بالقرب من مداخله. فهناك سبيل بطريق الواد قرب سوق القطانين، وهو أحد الطرق الرئيسية الموصلة إلى ساحة الحرم، وسبيل آخر عند باب السلسلة المدخل الرئيس لساحة الحرم، وسبيل بالقرب من باب الناظر المؤدى أيضاً إلى الحرم، وسبيل قرب مدخل المدينة الشرقى ويعرف بسبيل باب ستى مريم القريب من مدخل الحرم المعروف بباب الأسباط، وهو واقع عند الزاوية الشمالية الشرقية من ساحة الحرم، وسبيل بالقرب من مدخل الحرم المعروف بباب شرف الأنبياء (باب الملك فيصل)، وسبيل بركة السلطان فى جانبها الجنوبى، وتقع البركة خارج القدس القديمة على بعد قرابة ١٥٠م إلى جنوب باب الخليل.

وفى عهده استبدل بالزخرفة الفسيفسائية التى كانت تكسو ظاهر جدران قبة الصخرة العليا ورقبتها القيشانى الموجود عليها اليوم. وقد اقتضى هذا العمل ما حلّ من التلف والخراب بالكسوة الفسيفسائية بفعل العوامل الطبيعية، وأصبح استبدال القيشانى بها أمراً ضرورياً لوقاية البناء من نفاذ الرطوبة إلى جدرانه.

ومن آثار العهد العثمانى أيضاً:

المسجد القيمرى:

يقع إلى غرب الباب الجديد على مقربة منه. ويرجع تاريخ بنائه إلى القرن العاشر الهجرى/ السادس عشر الميلادى.

قبة الأرواح:

على سطح صحن قبة الصخرة إلى الشمال منها. وهى من القرن العاشر الهجرى/ السادس عشر الميلادى.

قبة الخضر:

بالقرب من المرقى المؤدى إلى صحن قبة الصخرة عند زاويته الشمالية الغربية. وهى من القرن العاشر الهجرى/ السادس عشر الميلادى.

حمّام السلطان:

يقوم على زاوية طريق باب الأسباط عند التقائها بطريق الواد. وهى من القرن العاشر الهجرى/ السادس عشر الميلادى.

قبر النبى داود:

يبعد نحو ١٥٠م جنوب باب النبى داود. ويرجع بناؤه إلى سنة ٩٣٠هـ/١٥٢٤م.

مئذنة القلعة:

عند باب الخليل فى جانب القلعة الجنوبى الغربى. ويرجع بناؤها إلى عام ٩٣٨هـ/١٥٣١م.

محراب قبة النبى:

بين بناء قبة الصخرة وقبة المعراج أنشأها محمد بك أحد ولاة القدس سنة ٩٤٥هـ/١٥٣٨م.

رباط بيرم:

على جنوب طريق عقبة التكية عند التقائه بطريق الواد. وقد بناه بيرم شاويش بن مصطفى سنة ٩٤٧هـ/١٥٤٠م.

المدرسة الرصاصية:

شمال طريق عقبة التكية عند التقائه بطريق الواد. وبانيها هو أيضاً بيرم شاويش بن مصطفى سنة ٩٤٧هـ/١٥٤٠م.

تكية خاصكى سلطان:

على جنوب طريق عقبة التكية وشرق الدار الكبرى التى أنشأتها الست طنسق المظفرية سكناً لها، وتعرف اليوم بدار الأيتام الإسلامية. وقد أنشأتها خاصكى سلطان زوجة السلطان سليمان وأوقفت عليها أملاكاً. وما زالت إلى اليوم تقدم الطعام مجاناً إلى المحتاجين.

حجرة محمد آغا:

عند المرقى الشمالى الغربى المؤدى إلى صحن قبة الصخرة. وقد أنشأها محمد آغا سنة ٩٩٦هـ/١٥٨٨م.

جامع المولوية:

بداخل سور المدينة على بعد قرابة ١٥٠م إلى جنوب غرب باب العمود. وقد بنى سنة ٩٩٥هـ/١٥٨٦م.

الزاوية الأفغانية (النقشبندية):

تبعد نحو ١٠٠ م إلى غرب باب الغوانمة. وقد أقيمت سنة ١٠٤٠هـ/١٦٣٠م. وكان أحد أجنحتها يضم المحكمة الشرعية ومكاتبها فى القدس خلال فترة الانتداب البريطانى.

محراب على باشا:

بداخل ساحة الحرم بالقرب من باب القطانين. وقد أنشئ سنة ١٠٤٧هـ/١٦٣٧م.

قبة يوسف:

على سطح صحن قبة الصخرة إلى غرب منبر برهان الدين: وقد أنشأها على آغا سنة ١٠٩٢هـ/١٦٨١م.

قبة يوسف آغا:

بداخل ساحة الحرم بين المسجد الأقصى والمتحف الإسلامى. وقد أنشأها على آغا سنة ١٠٩٢هـ/١٦٨١م.

الخنقاوات والربط والزوايا:

بعد الفتح الإسلامى لبيت المقدس قدم إلى فلسطين عدد غفير من الصحابة والتابعين والزهاد والمتعبدين والصالحين للاعتكاف فى المسجد الأقصى وما حوله. ومن هؤلاء على سبيل المثال: قبيصة بن ذؤيب وعبد الله بن محيريز وهانئ بن كلثوم وأم الدرداء هجيمة بنت حيى زوجة الصحابى أبى الدرداء التى كانت تجالس الفقراء والمساكين وتحسن إليهم. وكان هؤلاء الزهاد الأولون يعيشون حياة بسيطة ويقيمون فى معتكفات للتعبد وذكر الله. وفى القرن الثانى للهجرة قدم عدد كبير من الصوفية إلى الديار الفلسطينية المقدسة، وفى مقدمة هؤلاء أم الخير رابعة بنت إسماعيل العدوية (المتوفاة سنة ١٨٥هـ)، وبشر الحافى (١٥٠ – ٢٢٧هـ)، وذو النون المصرى (ت ٢٤٥هـ)، وإبراهيم بن أدهم (ت ١٦١ هـ)، والسّرى بن المغلس السّقطى (ت ٢٥٣هـ).

كان الصوفيون فى الأصل أفراداً ثم تجمعوا فى منظمات منذ القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى. ولكن رواج الطرق الصوفية إنما كان فى القرن السادس الهجرى /

الثانى عشر الميلادى. ومنذ هذا القرن بدأت زوايا الصوفية فى الظهور بكثرة، وخاصة فى القدس والخليل ونابلس.

وبالرغم من أن الزوايا والخوانق والربط لم تكن مقصورة على الصوفية، لأن الزهّاد والعبّاد كانوا ينشئونها منذ صدر الإسلام، فإن هذه المؤسسات ارتبطت فى العصر الوسيط بالصوفية أكثر مما ارتبطت بغيرهم. وعلى الرغم من الاختلاط والتشويش فى التسميات إذ كانت الخوانق والتكايا والزوايا والربط تطلق على مؤسسة واحدة فى الوقت نفسه فقد كان هنالك اختلاف بين هذه المؤسسات.

الخوانق:

"الخانقاه" كلمة فارسية تطلق على المبانى التى تقام لإيواء الصوفية الذين يحلّون فيها للعبادة، وسميت فى العهد العثمانى "تكايا". وقد انتشرت هذه المبانى فى العالم الإسلامى منذ القرن الخامس الهجرى وأسس أوّلها حوالى سنة ٤٠٠ هـ. والخانقاه أكبر بيوت الصوفية، وكان لها غالباً مقام رسمى فى الدولة إذ هى تنفق عليها وتعيّن لها الشيوخ بمراسيم سلطانية. وكان الصوفية يقيمون فى الخوانق بصورة دائمة ويتلقون مخصصات محددة. وكانت الخانقاه مؤسسة للتعليم الدينى أيضاً، وكان على النازلين فيها التزامات معينة للتعبد والدرس والذكر.

إن أولى الخوانق التى أسست فى القدس – وإن لم تكن خوانق صوفية بالمعنى الدقيق نظراً لصغرها – هى خوانق الفرقة الكرّامية أتباع محمد بن كرَّام (ت ٢٥٥هـ). وإلى هذه الخوانق يشير الجغرافى المقدسى بقوله فى "أحسن التقاسيم": "والخانقاه متعبّد الكرّامين فى إيلياء"، و "بيت المقدس خَلْق من الكرّامية لهم خوانق ومجالس".ويقول آدم متز A. Metzمستنداً إلى ما ذكره أبو الفداء فى أحداث سنة ٢٥٥هـ/٨٦٨م إن محمد الكرّام المار ذكره توفى فى القدس، وهو نفسه الذى أسس أول خانقاه للكرّامين فيها.

غير أن أول خانقاه فى فلسطين معروفة معرفة جيدة نسبياً، وما تزال قائمة حتى الآن، هى الخانقاه الصلاحية التى أسسها صلاح الدين الأيوبى فى القدس سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م، ووقفيتها مؤرخة فى سنة ٥٨٥هـ/١١٨٩م. وفى سنة ٥٨٨هـ/١١٩٢م زاد صلاح الدين فى الوقف فوقف عليها كثيراً من العقارات من بينها حمام وفرن وحوانيت وبرك وأراض زراعية فى البقعة بظاهر القدس. وكانت مشيخة الخانقاه من المناصب الرفيعة فى مدينة القدس، وكان شيخها يعيّن بمرسوم من السلطان.

ومن الخوانق التى أنشأها صلاح الدين خانقاه بقرية حطين كان إنشاؤها بُعْيد النصر سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م. وقد بنيت على قبر أحد الأولياء، وعيّن صلاح الدين مغربياً شيخاً

لها. وممن تولى مشيخة هذه الخانقاه فى القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى شيخ الرّبوة الدمشقى. وفى القرن الحادى عشر الهجرى / السابع عشر الميلادى كان يقيم بهذه الخانقاه أكثر من مائة درويش.

ومعظم الخوانق المعروفة فى فلسطين هى فى مدينة القدس. وكثير منها كان خوانق ومدارس فى الوقت نفسه. وفيما يلى أهم خوانق القدس:

الخانقاه الداودارية:

وتقع عند باب العتم، وقفها الأمير علاء الدين سنجر سنة ٦٩٥هـ/١٢٩٥م على ثلاثين نفراً من الصوفية من العرب والعجم. وكانت مدرسة فى الوقت نفسه.

الخانقاه الكريمية:

عند باب حطة، وقفها الصاحب كريم الدين بن عبد الكريم بن المعلم هبة الله سنة ٧١٨هـ/١٣١٨م. وقد زارها ابن بطوطة سنة ١٧٢٦هـ/١٣٢٥م وعدّها خانقاه (كانت مدرسة أيضاً).

الخانقاه التنكزية:

عند باب السلسلة، أنشأها الأمير تنكز الناصرى سنة ٧٢٩هـ/١٣٢٨م، وكانت مدرسة وخانقاه ودار حديث ومكتب أيتام.

الخانقاه الفخرية:

فى الجنوب الغربى من باب الحرم، وقفها القاضى فخر الدين أبو عبد الله محمد بن فضل الله ناظر الجيوش الإسلامية المتوفى سنة ٧٣٢هـ/١٣٣١م. وكانت مدرسة وخانقاه. وقد هدمها الصهيونيون سنة ١٩٦٩ .

الخانقاه الأسعردية:

شمالى رواق الحرم الشمالى، وقفها الخواجا مجد الدين الأسعردى سنة ٧٧١هـ/١٣٦٨م. وكانت مدرسة وخانقاه.

الخانقاه المنجكية:

عند باب الناظر، وقفها الأمير منجك نائب الشام سنة ٧٦٢هـ/١٣٦٠م. وكانت خانقاه ومدرسة.

الخانقاه المولوية:

فى حارة السعدية، أنشأتها الدولة العثمانية لأتباع الطريقة المولوية سنة ٩٩٥هـ/١٥٨٦م، وتعرف أيضاً بالتكية والزاوية المولوية.

الرُبط:

الرباط هو فى الأصل بيت المجاهدين. ولكن الصوفيين استعملوا الكلمة فيما بعد بمعنى الخانقاه على أساس أنهم كانوا يخوضون جهاداً روحياً. وقد أسست أول الربط العسكرية فى سورية وفلسطين فى القرن الثانى للهجرة. ولكن أهميتها بدأت تقل بعد القرن الثالث عندما استتب الأمر للمسلمين. ولكن المقدسى يذكر أنه كان ما يزال هناك على الشواطئ الفلسطينية فى القرن الرابع الكثير من الربط التى كانت محصنة بالأبراج. وكانت هذه الربط فى غزة وميماس وعسقلان وماهوز وأسدود وبينه ويافا وأرسوف. ثم عادت للربط أهميتها مع الحروب الصليبية فأنشئ الكثير منها فى القرن السابع الهجرى وما تلاه كأبراج للمراقبة.

بيد أن الربط لم تكن كلها كذلك. فربط القدس والخليل مثلاً لم تكن تخدم بالأساس هدفاً عسكرياً بعد رحيل الصليبيين، بل كان الهدف الأساسى منها توفير أماكن لإقامة الزوّار والحجّاج.

رُبط القدس

المعروف من ربط القدس سبعة هى:

١- رباط البصير: عند باب الناظر، وهو أقدم ربط القدس أنشأه سنة ٦٦٦هـ/١٢٦٧م الأمير علاء الدين أبو غدى ناظر الحرمين الشريفين زمن الظاهر بيبرس وقلاوون. وما يزال قائماً ومسكوناً.

٢- الرباط المنصورى: عند باب الناظر مقابل رباط البصير. وقد وقفه قلاوون الصالحى سنة ٦٨١هـ/١٢٨٢م ووقف عليه أوقافاً فى غزة ونابلس وصفد وغيرها. وما يزال قائماً ومسكوناً.

٣- رباط الكرد: عند باب الحديد، وقد أنشأه المقر السيفى كرد صاحب الديار المصرية سنة ٦٩٣هـ/١٢٩٣م، وهو الآن دار سكن، وقد انهار جزئياً سنة ١٩٧١ من الحفريات الصهيونية.

٤- رباط الماردينى: عند باب حطة، ووقفه منسوب إلى امرأتين من عتقاء الملك الصالح صاحب ماردين. وتاريخه ٦٧٣هـ/١٣٦١م.

٥- الرباط الزمنى: عند باب المطهرة، وقد وقفه الخواجكى شمس الدين محمد بن الزّمن سنة ٨٨١هـ/١٤٧٦م، وهو معمور.

٦- رباط بايرام: فى حارة الواد، وقد أنشئ فى العهد العثمانى، والمنشئ هو بإيرام جاويش سنة ٩٤٧هـ/١٥٤٠م. وفى هذا الرباط ضريح الواقف، وفيه حالياً المدرسة الرصاصية.

٧- الرباط الحموى: عند باب القطانين، ولا يُعرف مؤسسه ولا تاريخ تأسيسه. وكان مؤلفاً من رباطين أحدهما للرجال والآخر للأرامل من النساء.

الزوايا:

كان فى أنحاء فلسطين مئات من الزوايا فى مختلف المدن والقرى. وكانت الزوايا غالباً مؤسسات شخصية غير مرتبطة فى جميع الأحيان بالصوفية. فقد كانت الزاوية غالباً مقر رجل من الأتقياء أو بيته، يجمع فيها حوله جماعة من التلاميذ، وفيها مصلى. وكانت الزوايا لهذا السبب أصغر من الخوانق والربط وأكثر منها عدداً. ولكن الاختلاط فى التسمية شمل الزوايا أيضاً. والزوايا أقدم عهداً من الربط والخوانق، فقد كان الاعتكاف فى غرفة صغيرة أو منارة فى المسجد أمراً عادياً للزهاد والعباد منذ فجر الإسلام، وكان هذا المعتكف يدعى زاوية منذ عهد الصحابة.

ومما يدل على الأهمية التعليمية للزوايا أن كثيراً من المدارس فى مدن فلسطين كانت تدعى زوايا وبالعكس، فالزوايا الأمينية والنصرية والختنية فى القدس والخاصكية فى الرملة مثلاً كانت تدعى مدارس أيضاً.

وكان فى بعض الزوايا مكتبات، ومنها الزاوية النصرية فى القدس.

خـزائن الكتـب

كان فتح السلطان "صلاح الدين الأيوبى" لمدينة القدس سنة ٥٨٣هـ/ ١١٧٨م بداية سعيدة للحياة العلمية التى عمّت ديار الشام عامة وفلسطين خاصة. ولم تمنع صلاح الدين مشاغله الحربية وهمومه السياسية من الاهتمام بالعلم وأهله، وإعادة بناء ما خرّبه المغول والتتار والصليبيون من دور علم، وما أحرقوه من خزائن كتب، وما هدموه من مدارس وجوامع ومنشآت حضارية تمثل الوجه الناصع للحضارة العربية الإسلامية.

استهل صلاح الدين عهده فى فلسطين بعملين جليلين هما: إنشاء المدارس والعمل على تزويد المسجد الأقصى بالكتب الدينية والعلمية. فقد عمد إلى تحويل الدار التى بناها فرسان المنظمة الصليبية العسكرية المسماة "الاسبتارية" إلى مدرسة كبرى (هى المدرسة الصلاحية) يُدرس فيها الفقه الشافعي. ويقول العماد الأصفهاني: "فاوض السلطان جلساؤه من العلماء الأبرار والأتقياء الأخيار فى مدرسة للفقهاء الشافعية ورباط للعلماء الصوفية فعيّن للمدرسة الكنيسة المعروفة بصند حنّة عند باب الأسباط وعيّن دار البطرك للرباط ووقف عليهما وقوفاً". ويقول مجير الدين العليمى مشيراً إلى حرص صلاح الدين على تزويد هذه المدارس بالكتب: "إن السلطان صلاح الدين أمر بهدم البناء الذى أقامه الصليبيون فى الصخرة، وأعادها كما كانت ورتّب لها إماماً حسن القراءة ووقف عليها

داراً وأرضاً وحمل إليها وإلى محراب المسجد الأقصى مصاحف وختمات وربعات شريفة".

وقد سار الأيوبيون على سنّة صلاح الدين فى تأسيس المعاهد العلمية وتزويدها بالمدرسّين والكتب المخطوطة. فقد جدّد الملك المعظم عيسى بن أحمد بن أيوب بناء المدرسة الناصرية، أو الغزالية، وجعلها زاوية لقراءة القرآن والاشتغال بالنحو ووقف عليها كتباً فى جملتها "إصلاح المنطق" لابن السكّيت وهو بخطّ الإمام النحوى ابن الخشّاب. ويقول العليمى إنه وقف على كراسة من هذا الكتاب وعلى ظهرها الوقف وهو مؤرخ فى التاسع من ذى الحجة سنة ٦١٠هـ/١٢١٤م.

وفى فلسطين خزائن كتب عامة وخاصة كثيرة. فأما العامة فأشهرها خزانة المسجد الأقصى فى القدس. ويبدو من مراجعة فهرسها أنها تحوى كتباً دينية مخطوطة قدّر عددها بألف مخطوط كالمصاحف والربعات وكتب أكثرها فى العصرين المملوكى والعثمانى. وفى الخزانة أيضاً كتب متفرقة فى الأدب والفقه على المذاهب الأربعة والتفسير والحديث. ولعلّ أنفس ما حوته الخزانة المذكورة وأشار إليه مفهرسوها مخطوط كتاب "نشق الأزهار فى عجائب الأقطار" للمؤرخ المصرى ابن إياس (٨٥٢ - ٩٣٠هـ)، ومخطوط "تلخيص المتشابه فى الرسم وحماية ما أشكل منه عن بوادر التصحيف والوهم" لأبى بكر الخطيب على بن ثابت البغدادى المتوفى سنة ٤٦٤هـ/١٠٧٢م، ومخطوط "طبقات الشافعية" لتقى الدين ابن قاضى شبهة الدمشقى المتوفى سنة ٨٥١هـ/١٤٤٨م، ومخطوط "كتاب الأقاليم" للإصطخرى المتوفى سنة ٣٤٠هـ/٩٥٢م ويقال إن المخطوط يرجع إلى القرن الخامس وأوائل السادس.

وفى الخزانة نحو عشرة آلاف كتاب أكثرها مطبوع.

أما خزائن الكتب الخاصة فكثيرة منها:

- خزانة آل أبى اللطف بالقدس.
- خزانة آل البديرى بالقدس. وأسرة البديرى أسرة عريقة كانت لديهم خزائن كتب مخطوطة تبدّدت بعد أن اقتسموها. وآل قسم من مخطوطاتها إلى الشيخ محمد البديرى فجعلها فى جناح من أجنحة المسجد الأقصى.
- خزانة آل الترجمان بالقدس.
- خزانة آل الجوهرى بنابلس.
- خزانة آل الحسينى بالقدس.
- خزانة آل الخالدى بالقدس.
- خزانة آل الخليلى بالقدس. وقد وقفها الشيخ محمد بن محمد الخليلى مفتى الشافعية

المتوفى سنة ١١٤٧هـ/١٧٣٤م. ويقال إن الشيخ الخليلى أول من حقق فكرة إيجاد مكتبة عامة فى القدس استناداً إلى وقفية كتبه. وقد حفظت الكتب المذكورة فى المدرسة البلدية التى كان أنشأها بباب السلسلة نائب السلطان الأمير سيف الدين منكلى بغا الأحمدى المتوفى سنة ٧٨٢هـ/١٣٨١م.

– خزانة آل الدّاودى بالقدس.

– خزانة آل صوفان بنابلس وفيها مخطوط نفيس عنوانه: "مناقب الإمام أحمد بن حنبل" من تأليف الحافظ بن الجوزى مؤرخ سنة ٥٩٩هـ.

– خزانة عبد الله مخلص (١٨٧٨ – ١٩٤٧م) بالقدس فى حى الشيخ جرّاح، وقد حوت نفائس المخطوطات. ويبدو أن المكتبة نقلت بعد حوادث ١٩٤٨ إلى بعض الأديرة التى قرب سور المدينة من الداخل. وقيل إن الصهيونيين نهبوها إبّان معارك ١٩٤٨

– خزانة آل قطينة بالقدس بباب العمود: آل قطينة أسرة حنبلية يقال إنهم الحنابلة الوحيدون فى القدس. وفى الخزانة مخطوطات نفيسة فى الرياضيات والفلك والتنجيم لم يبق منها اليوم شىء.

– خزانة محمد إسعاف النشاشيبى بالقدس.

– خزانة محمود اللحام بضاحية سلوان (شرقى القدس) وفيها أربعة آلاف مصنف.

– خزانة آل فخرى وقد وقفها القاضى فخر الدين أبو عبد الله محمد بن فضل ناظر الجيوش الإسلامية المتوفى سنة ٧٣٢هـ/١٣٣٢م. وهذه الخزانة قسم من الخانقاه الفخرية المجاورة لجامع المغاربة. ويقال إنها كانت تحتوى على عشرة آلاف مجلد اقتسمها أفراد الأسرة فتفرّقت كتبها.

– خزانة آل الموقت بالقدس.

– خزانة المفتى فى غزة.

– الخزانة الإسلامية فى يافا.

– خزانة أبى نبوت فى يافا.

– خزانة جامع الجزار فى عكا.

– خزانة جامعة بيرزيت.

وفى القدس وسواها من مدن فلسطين خزائن كتب مسيحية عربية وأجنبية أكثرها تابع للطوائف الدينية والبعثات الأثرية والتبشيرية الفرنسية والإنكليزية والأمريكية، ومنها:

– خزانة دير الكرمليين فى الضاحية الشرقية من حيفا، وفيها صكوك قديمة ذات علاقة بالدير.

- مكتبة القبر المقدس.
- مكتبة دير الروم، وفيها ٢,٧٣٣ مجلداً باليونانية وغيرها بينها مخطوطات يونانية مؤرخة فى القرن العاشر للميلاد.
- مكتبة دير الدومينيكان.
- مكتبة الآباء البيض.
- مكتبة دير الفرنسيسكان.
- مكتبة دير الأرمن.
- خزانة الآثار الأمريكية.
- خزانة الآثار الإنكليزية.
- مكتبة المجمع العلمى الأثرى البروتستانى.
- مكتبة الجامعة العبرية.

وتعد المكتبة الخالدية فى القدس أهم دور الكتب الخاصة فى فلسطين وأغناها. وكانت المكتبة مدرسة آلت ملكيتها إلى السيدة خديجة الخالدى ابنة القاضى موسى أفندى الخالدى قاضى عسكر بر الأناضول، فأوصت ولدها الحاج راغب الخالدى رئيس المحكمة الشرعية بيافا (المتوفى سنة ١٩٥١) أن يقفها وينقل إليها كتب الأسرة الخالدية. فنفذ وصيتها سنة ١٣١٨هـ/١٩٠٠م بمشورة ومعونة الشيخ طاهر الجزائرى مؤسس المكتبة الظاهرية بدمشق والشيخ أبى الخير محمد ابن الحبال الدمشقى فوضعا فهرساً بأسماء كتبها. وقد جاء فى "برنامج المكتبة الخالدية العمومية" وصف للظروف التى تم بها تأسيس المكتبة وجعلها دار كتب عامة: "وفق الله جانب الفاضل راغب أفندى الخالدى وموسى شفيق أفندى الخالدى إلى تشييد غرفة رحبة على جادة باب السلسلة فى القدس الشريف وضعوا فيها كمية وافرة مما وجد عندهم من بقية كتب آبائهم وأجدادهم، وأضافوا إليها بعضاً من الكتب الموجودة عندهم أيضاً، وجعلوا الغرفة المذكورة دار علوم عمومية لمن يرغب المطالعة من أى فرد كان، وشرّطوا أن لا يخرج منها كتاب حرصاً على المنفعة العامة، وهى مفتوحة الأبواب لجميع الطلاب كل يوم من الصباح إلى المساء، وعيّنوا لها محافظاً أميناً".

وتحتوى المكتبة على عشرة آلاف كتاب ثلثاها مخطوط والثلث من نوادر المطبوعات القديمة فى العلوم العربية والإسلامية. وقد ضمّت إليها خزانتا الشيخ يوسف ضياء باشا الخالدى ومحمد روحى الخالدى، وضمّت بعدئذ خزانة الشيخ أمد بدوى الخالدى بالإضافة إلى ما أهدى إليها من نفائس مطبوعات المستشرقين. وتبين من مطالعة فهرست المكتبة

أنها تحوى كتباً فى التفسير والتجويد والقراءات والرسم والحديث والأصول والفتاوى والفقه الحنفى والفقه على المذاهب الأربعة والفرائض والتوحيد والتصوّف والمواعظ والحكم والنحو واللغة والأدب والسياسة والقوانين والدواوين والمدائح النبوية والسيرة النبوية والمناقب والتراجم والفلك والطب والروحانيات، وفيها عدد كبير من المجاميع فى مختلف العلوم الدينية والدنيوية.

المزارات المسيحية بالقدس

منذ القرون الميلادية الأولى، انتشرت الكنائس فى فلسطين حيث عاش السيد المسيح وأمه السيدة مريم العذراء.. كما انتشرت أديرة النساك والرهبان خاصة فى القدس والكرمل والناصرة، وما زالت كنائس القدس قائمة، يدفعها إلى العمل تلك المنزلة الروحية التى تحظى بها الأرض المقدسة. ومن أشهر هذه الكنائس:

كنيسة القيامة:

وتعد من أهم وأعظم الآثار المسيحية، وتمثل ذروة ترف البناء وتيجان الذهب والمجوهرات الكريمة النادرة، وكل ما فيها بلغ نهاية الروعة الفنية.

ومن الطريف أن سدنة كنيسة القيامة وحملة مفاتيحها: مسلمون ينتسبون إلى أسرة الصحابية الجليلة "نسيبة بنت كعب" وقد توارثت هذا الشرف منذ عصر صلاح الدين الأيوبى عقب اختلاف الطوائف المسيحية على إدارة الكنيسة، وتزدان الكنيسة بالقناديل والثريات الفاخرة وتتحلى بمجموعة من أندر الصور والأيقونات والتماثيل المرمرية.

وتمتد أمام واجهة كنيسة القيامة فى الجهة الجنوبية ساحة تقوم شرقها وغربها بنايات مختلفة من أديرة وكنائس صغيرة. وإذ يدخل المرء الكنيسة يصعد من عن يمينه إلى الجلجلة ويواصل من عن يساره السير إلى القبر المقدس الذى يحيط به بناء مسقوف فساحة مستديرة تحدق بها أعمدة كبيرة تسند رواقاً عظيماً. وأمام القبر المقدس يقوم محور المكان كله. وهو المسمى خورس الروم، أو كنيسة نصف الدنيا التى يحيط بها رواق طويل بجانبه معابد صغيرة ويؤدى شمالاً إلى كنيسة الآباء الفرنسيسيين وديرهم وينزل منه شرقاً إلى كنيسة القديسة هيلانة ومغادرة وجدان الصليب.

وقد شهدت كنيسة القيامة خلافات بين الروم الأرثوذكس واللاتين خلال الاحتلال الصليبى، حتى تمكن اللاتين من السيطرة عليها، إلى أن أعادها السلطان صلاح الدين إلى الروم الأرثوذكس، إلا أن الخلافات استمرت بين الطوائف المسيحية، ولذا قام الحكام المسلمون بتنظيم ملكية الطوائف بكنيسة القيامة ومنع الصدامات فى أحقية إحداها فى

دخول القبر المقدس يوم سبت النور، فعقد مجلس بدار المحكمة الشرعية سنة ١٥٤٢ برئاسة مجموعة من القضاة المسلمين وبحضور ممثلى الطوائف، وحدد المجلس طريقة الدخول إلى القبر المقدس ومواعيد الزيارة.

ويصف د. ميخائيل إسكندر كنيسة القيامة، فقال:

"تقع كنيسة القيامة الحالية بالقرب من باب الخليل، والطريق المؤدى إليها يسمى حارة النصارى، ويوصل إلى "سوق القيامة" وهو مكان فسيح يقف فيه باعة التحف والمسابح والأيقونات والشموع التى تباع للحجاج والسياح، وأمام الكنيسة ميدان فسيح مربع يسمى "ساحة القيامة" كان يقف فيه الزوار منذ عهد السلطان سليمان القانونى لدفع رسوم دخول الكنيسة، حتى عهد إبراهيم باشا الذى ألغى هذه الرسوم سنة ١٨٣٢ بعد خضوع المدينة المقدسة للحكم المصرى، وعند المدخل، نجد ثلاث درجات عليها آثار أعمدة المدخل القديم، ومنها عمود قائم حتى الآن ويرجع للقرن التاسع الميلادى، ويحيطه جدار من جهاته الثلاثة، حيث توجد كنيسة مار يعقوب الصغير وكنائس مار يوحنا ومريم المجدلية والأربعين شهيداً. وفيها مكان قديم للعماد وقبور لبعض بطاركة الروم الأرثوذكس بالقدس، وفى اليمين، ثلاثة أبواب، يوصل أحدها لدير الروم المسمى: دير القديس إبراهيم، والثانى يوصل لجرس المنارة، ومن الباب الثالث ندخل كنيسة الملاك ميخائيل القبطية ثم كنيسة الافرنج، التى يصعد إليها باثنتى عشرة درجة حجرية، حيث كان مدخل الجلجثة الذى سده اللاتين سنة ١١٨٧م وجعلوه هيكلاً باسم "أم الأحزان ويوحنا الحبيب" وتحته هيكل باسم القديسة مريم المصرية ... بعد ذلك نتجه مباشرة نحو باب القيامة الرئيسى، فى جنوب الكنيسة، وإلى شمال الباب الرئيسى مكان السدنة المسلمين، وعن يمينه سلالم الجلجثة، وأمامه حجر أحمر يسمى المغتسل، وفى هذا المكان: أنزل يوسف الرامى ونيقوديموس اليهوديان جسد المسيح من على الصليب ووضعاه على هذا الحجر ... وأمام المغتسل يوجد القبر المقدس.. وأضيف إليه هيكل الملاك، وغطيت القبة والجدران بالرخام فى القرن التاسع الميلادى، أما فى القرن الحادى عشر، فقد وضع الصليبيون تمثالاً فضياً للمسيح، أكبر من الحجم الطبيعى بقليل، ثم غطوا القبر المقدس بصفائح فضية مطلية بالذهب، ثم أقيمت ثلاثة جدران حول هيكل الملاك، وفى سنة ١٥٤١ جدد الأب يونيفاسيوس القبر وزينه وسد بابى الهيكل، وفى سنة ١٥٥٥ أقام الأقباط هيكلاً لهم وراء القبر المقدس من الغرب ... وإلى شمال القبر نجد هيكل القديسة مريم المجدلية، حيث قابلت المسيح بعد قيامته وظنته البستانى ... وفى شماله نصعد أربع درجات إلى كنيسة ظهور المسيح للعذراء مريم بعد القيامة ..".

وفى كنيسة القيامة دير للرهبان الفرنسيسيين (اللاتين) الذين يخدمون فى الكنيسة. ويقع الدير شمالاً حيث كانت قديماً الدار البطريركية. وكان الرهبان حتى سنة ١٨٧٠م يعيشون فى دير مظلم. فتوصل فرنسيس يوسف الأول إمبراطور النمسا إلى الحصول على إذن لهم ببناء دير صغير أضيفت إليه طبقة جديدة سنة ١٩٦٧ وينتسب الرهبان الفرنسيسيون إلى القديس فرنسيس الأسيزى (١١٨٢م - ١٢٢٦م).

وكان قد جاء إلى القدس سنة ١٢١٩م وبعث إلى هناك ببعض رهبانه وطلب من السلطان الملك الكامل الأيوبى أن يبقوا فى الشرق ويزوروا القيامة. فظلوا بعد سقوط مملكة القدس اللاتينية يحرسون الأماكن المقدسة. وفى سنة ١٣٣٣م سمح لهم السلطان الملك الناصر بسكنى كنيسة القيامة. وبعد ذلك بقليل، أى سنة ١٣٤٢م، وافق البابا اكليمنطس السادس Clement VI ببراءة بابوية على وجود الفرنسيسيين فى الكنيسة على أن يكونوا حراس الأراضى المقدسة باسم العالم الكاثوليكى. ومع تقلب الأيام على كنيسة القيامة، وبعد أن صارت البلاد إلى الحكم العثمانى (١٥١٦م)، بقى الفرنسيسيون فى الكنيسة ورمموها مرتين، الأولى سنة ١٥٥٥م والأخرى سنة ١٧١٩م.

وللرهبان الفرنسيسيين اليوم حصة وافرة فى كنيسة القيامة، وفى كل يوم يقيمون الصلاة إلى جانب طواف يومى فى مختلف ربوعها، وهم المسؤولون عن تنظيم القداديس الكثيرة التى تقام فيها يومياً بحضور أفواج الحجاج القادمين من جميع أطراف الأرض. ولا شك فى أن أعظم احتفالات كنيسة القيامة عند جميع الطوائف المسيحية هى احتفالات الأسبوع المقدس والفصح.

هذا هو الدير الكاثوليكى الوحيد فى كنيسة القيامة، وهناك إلى جانبه الأديار الأرثوذكسية وأولها دير الروم الأرثوذكس.

بعد فتح الأتراك للقسطنطينية (١٤٥٣م) جعل الاكليروس البيزنطى يتردد إلى الأراضى المقدسة. وبعد الفتح العثمانى (١٥١٦م) بقليل صار على القدس بطريرك يونانى يدعى جرمانوس (١٥٣٤ - ١٥٧٩). وهو الذى أسس "أخوية القبر المقدس" التى يعد أعضاؤها حراس الأراضى المقدسة باسم العالم الأرثوذكسى.

وبطريركية الروم الأرثوذكس فى القدس والدير المجاور قريبان من كنيسة القيامة، وكان الموضع مركز ملوك القدس أيام الصليبيين. ويعود البناء إلى أزمنة مختلفة. ويمكن أن ينزل من طرف سطح الدير الشرقى إلى القبر المقدس. وللرهبان الذين يخدمون فى الكنيسة مساكن فى القيامة عينها. وإلى ذلك فعند ساحة القيامة شرقاً دير هو دير القديس إبراهيم الذى اشتروه سنة ١٦٦٠م من الأحباش وأكملوه وعثروا تحته نحو سنة ١٦٩٠ على كنيسة قديمة تعرف بكنيسة الرسل.

وقد بدأ منذ أيام البطريرك جرمانوس المذكور عمل الروم الأرثوذكس اليونان على التوسيع فى كنيسة القيامة. ولما دب الحريق فى الكنيسة سنة ١٨٠٨م توصلوا إلى الانفراد بترميم أكبر قسم منها بموجب مخططاتهم، ولهم اليوم أكبر حصة فيها. ومنها محور الكنيسة المعروف "بنصف الدنيا". وفى كل يوم يقيمون الصلاة هناك.

وبعد الروم الأرثوذكس يأتى الأرمن الأرثوذكس ولهم بعض المساكن فى كنيسة القيامة. ولكن ديرهم الرسمى يقوم فى حارة الأرمن حول كنيسة القديس يعقوب الكبير. وهو بناء صليبى يرتقى إلى القرن الثانى عشر الميلادى وقد بنى نصف ذلك الدير فى القرن السابع عشر الميلادى.

وللأرمن الحصة الثالثة فى كنيسة القيامة ومنها قسم الرواق الذى يشرف على القبر المقدس وكنيسة القديسة هيلانة. وقد بدأ توسعهم فى كنيسة القيامة منذ القرن السابع عشر الميلادى، وكانت آخر مرحلة منه سنة ١٨٢٩م. وفى كل يوم يقيمون الصلاة هناك.

وللأقباط فى كنيسة القيامة معبد صغير بنوه هناك ملاصقاً للقبر المقدس سنة ١٥٤٠م ثم جدد بعد حريق ١٨٠٨م وفيه يصلون.

وفى دير السلطان المجاور، على سطح كنيسة القديسة هيلانة فى المكان الذى ترى فيه بقايا غرفة طعام قانونيى القبر المقدس أيام الصليبيين، يقيم الرهبان الأحباش فى مساكن بسيطة ويصلون فى كنيسة صغيرة ويقيمون هناك صلاة طويلة يوم سبت النور.

وأخيراً يقيم السريان الأرثوذكس الصلاة كل أحد فى معبد للأرمن يقوم فى حنيّة القبر المقدس الغربية. ولهم فى القدس دير يدعى دير القديس مرقس جددت كنيسته سنة ١٩٤٠، وهى ترتقى إلى القرن الثانى عشر الميلادى.

هذه هى أديار كنيسة القيامة. وقد أجمعت الأديار الثلاثة الكبرى (دير الفرنسيسيين (اللاتين) والروم الأرثوذكس والأرمن) على عملية ترميم لكنيسة القيامة بدأت سنة ١٩٦٠

وقد كشفت الحفريات التى أجريت لهذه المناسبة الحقيقة عن شتى الآثار التى كانت محتجبة هنا وهناك ووفرت معرفة أفضل لتاريخ المكان ومراحله المتعاقبة. وعمل الترميم على أن تكون مختلف الأقسام أقرب ما تكون من صورتها الأصلية وأن تكون كنيسة القيامة جديرة حقاً بأقدس مكان مسيحى فى العالم.

دير الآباء الفرنسيسكان:

وينسب هذا الدير إلى مؤسسة القديس "فرنسيس الأسيزى" الذى ولد بمدينة "أسيزى" الواقعة بمقاطعة "أومبريا" الإيطالية عام ١١٨٢م، وتوفى بها عام ١٢٢٦م.

وهو "أكمل صورة للمسيح" على حد قول أحد البابوات، ومن أقرب القديسين إلى قلوب

المسيحيين. وقد زار القديس فرنسيس فلسطين سنة ١٢١٩م، وقبل ذلك بسنتين (١٢١٧م) أنشأ "مقاطعة الأرض المقدسة"، وسميت "حراسة"، وأرسل أول رهبانية إلى البلاد.

وبين ١٣٣٣م و١٣٣٦م تمكن الرهبان الفرنسيسيون بوساطة أمراء نابولى لدى سلطة مصر من أن يحلوا نهائياً فى الأرض المقدسة بعد أن صار لهم الحق فى الملكية والسكن فى الأماكن المقدسة. وقد أقر البابا أكليمنطس السادس ذلك (١٣٤٢م). ومنذ ذلك الحين كان مركزهم جبل صهيون. ولما طردوا سنة ١٥٥١م حصلوا على مكانهم الحالى فى القدس وهو دير المخلص فجعلوه مركز "حراسة الأرض المقدسة". ولم يكفوا منذ أواخر القرن السادس عشر عن توسيع أماكن وجودهم وعملهم فى الأرض المقدسة والبلاد التى حولها: الأردن وسورية ولبنان قبرص وتركيا ومصر ورودس.

على رأس الرهبان الفرنسيسيين "حارس الأراضى المقدسة" ومجلسه، وينتمى هؤلاء إلى ٢٢ دولة وتعمل إلى جانبهم الراهبات الفرنسيسيات، وكانت مهمتهم الأولى، ولا تزال، العناية بالأماكن المقدسة، وعددها أربعون مقاماً، واستقبال السياح وخدمتهم. ولهم فى أبرشية القدس ١٤ رعية. ومن أعمالهم الاجتماعية والثقافية رياض الأطفال والمدارس الابتدائية والثانوية والدروس والأبحاث العليا والأندية والمراكز المهنيّة والمياتم وبيوت الفقراء والمرضى. وقد أسّسوا سنة ١٨٤٧م مطبعة تعدّ من أهم المطابع فى القدس.

يساعد الحراسة فى أعمالها تبرعات محسنى العالم الكاثوليكى وما فرضه الكرسى الرسولى على رعايا جميع أبرشيات العالم.

دير السلطان:

منذ قديم الزمان، جرى العرف على إطلاق أسماء القديسين على الأديرة المسيحية.. وهذا الدير، هو الوحيد الذى يحمل اسماً إسلامياً.. وهناك رواية بأن السلطان صلاح الدين قد وهبه لأقباط مصر، فنسبوه إليه عرفاناً بفضله، ويشير ويليامز السائح Wil-liams أنه لما زار الدير سنة ١٨٤٣ روى له قسيس أن أحد سلاطين المماليك عرض على كاتبه القبطى نظير إخلاصه فى خدمته مدة طويلة مكافأة مادية، فاعتذر عن قبولها، والتمس أن يسمح له بتعمير الدير الخرب بالقدس، ومن هنا جاءت التسمية!..

ويقول د. ميخائيل إسكندر: وهذا الدير يقع بجوار كنيسة القيامة، داخل نطاق موضع الصلب، وهو مهم للأقباط، لأنه طريقهم السهل للوصول من دار البطريركية (دير مار أنطونيوس)، إلى كنيسة القيامة. ومساحته ١٨٠٠ متر مربع، وتقع ساحته فوق كنيسة القديسة هيلانة، وفى الزاوية الجنوبية الغربية من هذه الساحة تقع كنيستان تاريخيتان، هما كنيسة الأربعة كائنات الروحية غير المتجسدة ومساحتها ٤٢م، ويحيط بها من ناحيتها الشمالية

والغربية سياج حديدى يفصلها عن الممر الذى يسير محاذياً لها، إلى السلم المؤدى إلى الكنيسة الثانية، التى على اسم الملاك ميخائيل وهى فى الدور الأرضى ومساحتها ٣٥م، وفى وسط ساحة الدير المذكور تبرز قيمة كنيسة القديسة هيلانة" وفى الجهة الغربية منها، توجد الغرف التى يقيم فيها الرهبان الأحباش؛ وفى إحداها كنيسة لهم.

وقد حافظ الأقباط على هذا الدير. ولم ينتزع منهم إلا عندما احتله الرهبان اللاتين إبان الاحتلال الصليبى للقدس، ولكن صلاح الدين أرجعه إليهم بمجرد دخوله القدس، وفى عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب أمر بإعادة بناء سوره، كما أمر الملك المنصور قلاوون (١٢٩٠) بألا يمنع الأحباش من دخول هياكل القيامة أو دير السلطان، بناء على طلب ملك الحبشة، لأن اللاتين الموجودين هناك كانوا يضايقونهم، وليس معنى هذا ملكية الأحباش لهذا الدير، لأن رتشموند - الذى كان مديراً لمصلحة الآثار بفلسطين - أيام الانتداب البريطانى - قد ذكر أنه منذ سنة ١٤٠٠ أنه كان للأقباط حقوقهم بمقدسات القيامة.

وعلى كل فإن موضوع إثبات ملكية هذا الدير للأقباط قد كتب فيه الكثيرون مؤيدين أقوالهم بالوثائق القديمة، وهناك مجموعة منها نشرها الأنبا تيموثارس مطران القدس القبطى الراحل بهذا الخصوص، ونذكر منها على سبيل المثال وثيقة ذكرها عبد الله حسين، وهى بتوقيع القاضى الشرعى بالقدس فى ١٣ شوال سنة ١٠٩٨ (=٢٢ أغسطس سنة ١٦٨٦) وهى تبدأ بالآتى:

"بالمجلس الشرعى المحرر المرعى أجله تعالى جناب سيدنا وملكنا ومولانا أقضى قضاة الإسلام، أولى ولاة الأنام بدر سماء المعالى الفخام الحاكم الشرعى، الموقع خطه الشرعى وختمه الكريمين فى أصله أعلاه، دام فضله وزاد علاه، لما كان سابق على تاريخ أدناه كشف على دير طائفة نصارى القبط بمحمية القدس المنيف المعروف قديماً بدير السلطان بمحلة النصارى. المحدود بمقتضى حجته السابقة، الآتى بيانها فيه يطلب المعلم سالم البنا المتكلم على أوقاف نصارى القبط، ووجد الدير المذكور مشرفاً على الخراب، وبعض أماكن فيه تحتاج إلى الترميم والتبطين والعقادة والكحلة الضروريان أذن مولانا الحاكم الشرعى المشار إليه، للمعلم سالم المتكلم المسطور أعلاه بترميم وتبطين.. إلخ". هذا وقد ختمت هذه الحجة بخاتم فضيلة القاضى الشرعى الشيخ أحمد راقم. هذا وقد حصلت الكنيسة القبطية على حكم المحكمة الإسرائيلية العليا لصالحها ولم ينفذ حتى الآن..!

دير مار أنطونيوس:

يقع شمال كنيسة القديسة هيلانة بالقيامة، وقد أصلح وأضيفت إليه مبان جديدة سنة ١٨٧٥ بتبرعات أغنياء القبط. وعمر مرة أخرى سنة ١٩٠٧م. وبعد خمسة أعوام صار لائقاً

لجعله مقراً للمطرانية القبطية، بعد تجديد كنيسته وأساساته القديمة، وقد ذكر القبطية الصغيرة باسمها فى الدور الأرضى من الدير، وللمستودع (البئر) سلم دائرى للهبوط عليه للحصول على المياه، وهو مكون من إحدى وخمسين درجة. وعلى بعد ستة أمتار من هذه الكنيسة تقع المرحلة التاسعة من مراحل حمل الصليب، التى سقط عندها المسيح للمرة الثالثة.

وتوجد بالدور الأول من الدير كنيسة باسم القديس أنطونيوس، وهى ملاصقة للحائط الشمالى لكنيسة القيامة، وأمامها فناء واسع، يقع على سطح الدور الأرضى، ويحده من الجنوب والشرق مساكن للرهبان الأقباط، ومقر رئاسة الدير والكلية الأنطونية، وقد دشن هذه الكنيسة الأنبا تيموثاوس سنة ١٩٠٣، كما يتضح من الكتابة المدونة فوق بابها، ولها هيكل واحد، وقد قام المطران الراحل الأنبا باسيليوس بإصلاحها، وشيد لها منبراً جديداً. أما فى الدور الثالث فنجد كنيسة أخرى أنشأها - فى إحدى الحجرات - المطران الراحل الأنبا ياكوبوس، تذكاراً لظهور العذراء فى هذه الغرفة لبعض طالبات مدرسة القديسة دميانة فى يوليو سنة ١٩٥٤ أما الدور الرابع فهو مقر المطران، وبه غرف لنزول الضيوف والحجاج، وبه مكتبة فخمة".

كنيسة الصعود:

عند جبل الزيتون (الطور) ثلاث قمم.. الشمالية منها تسمى: جبل الجليل، وعليها بيت أسقف أريحا للروم وتسمى هذه القمة "كرم الصياد".. وعلى القمة الثانية نجد "مكان الصعود" وترتفع عن مستوى الحرم الشريف بنحو ستين متراً وتبعد عنه مسافة سبعمائة متر.. والقمة الثالثة تضم قبور لأنبياء وهى فى مستوى الحرم.. ويذكر الرحالة "تيوفيتوس" فى يومياته أن القديسة هيلانة شيدت كنيسة محل الصعود. وذكر غيره أنها أقامت أيضاً بناءً، آخر دعى الزيتونات عند المغارة التى تنبأ عندها المسيح بخراب أورشليم ومجيئه الثانى. وليس لهما أثر واضح حالياً، إذ تعرضا للتدمير أثناء معركة قامت بين الصليبيين وصلاح الدين هناك، ولم يبق من الكنيسة سوى قبة صغيرة تركها صلاح الدين لأن المسلمين يحترمون مكان الصعود، حيث يؤمنون بأن المسيح رفع حياً إلى السماء، وقد حصل الأقباط على أذونات كتابية بالصلاة فى الجانب الشرقى، من القضاة والحكام المسلمين فى أزمنة مختلفة، كذلك منح هؤلاء، إذناً بالصلاة مرتين فى السنة وهو ما يتم حتى الآن.

وأما الصخرة التى صعد المسيح منها إلى السماء فيبدو عليها أثر لإحدى قدميه، وكانت محاطة بسور معدنى. وفى القرن ١١م بنى البندكت جداراً حولها، وتقام هناك مذابح مؤقتة للطوائف تقدم عليها الصلاة عشية عيد الصعود من كل عام.

كنيسة نياحة البتول وطريق جنازتها:

على بعد عشرين متراً من باب النبى داود (فى السور الجنوبى)، نجد عموداً على حائط، تذكاراً للأعجوبة التى حدثت عندما كان تلاميذ المسيح حاملين جسد السيدة العذراء مريم إلى قبرها فى الجسثمانية فى شرق القدس إذ هجم عليها بعض اليهود المتعصبين، وتجاسر أحدهم على أن يدفع التابوت المقدس من يد حامليه فيبست يده فى الحال. كما عميت عيناه وكل من كانوا يشاركونه هذا الفعل الردىء. ولكنهم ندموا على عملهم، فصلى التلاميذ من أجلهم فشفاهم الله وآمنوا بالمسيحية. وقد روى مؤرخ أرمنى فى القرن الخامس أنه كانت هناك – فى هذا المكان – قبة على أربعة أعمدة من الرخام فوقها صليب نحاسى، تهدم أثناء هجوم الفرس سنة ٦١٤م. وبعد عشرة أمتار نجد كنيسة نياح البتول. وهى كنيسة حديثة البناء يسكنها الرهبان البندكت الألمان. وتقع بالقرب منه علية صهيون (بيت مارمرقس) وهو المكان الذى عاشت فيه العذراء فى بيت يوحنا الرسول، (بناء على طلب المسيح) حتى نياحتها. وكان الإمبراطور الألمانى غليوم الثانى قد اشترى هذا المكان، ووهبه للرهبان الألمان الكاثوليك "البندكت".

دير البندكتين:

ينتسب البندكتيون إلى القديس بندكتس Benedictus أو مبارك Benoit 480 - 547م، الذى يعد "أب رهبان الغرب" وأحد منظمى الحياة التقشفية فى القرون الوسطى.

امتدت الأديار البندكتية إلى الشرق. وقد يكون الباب غريغوريوس (٥٩٠ – ٦٠٤م) أول من أقام ديراً بندكتياً فى القدس مع مضافة للحجاج بالقرب من كنيسة القيامة. ثم أقام شرلمان ثلاثة أديار هناك فى جوار كنيسة القيامة، ومستشفى للمرضى والفقراء، ومضافة للحجاج. ولعل أهم دير كان لهم فى القدس هو دير "سيدة يوشلفاط" فى جوار كنيسة قبر العذراء، وكان رهبانه يعنون بالهندسة وبالضيافة والزراعة. وكان لهم مستشفى، وكان للراهبات البندكتيات دير فى الصلاحية وآخر فى العيزرية القريبة من القدس.

واليوم، فى القدس دير للبندكتيين يقوم على جبل صهيون الحالى فى بستان "النياحة" حيث بنيت كنيسة مريم العذراء ذكراً للأيام الأخيرة من حياتها. وقد قدم المكان السلطان عبد الحميد لغليوم الثانى إمبراطور ألمانيا سنة ١٨٩٨م فجعله هذا ملكاً للكاثوليك، فبنى الألمان الكاثوليك هناك (١٩٠٠م) ديراً وكنيسة على اسم "رقاد العذراء" مستديرة وفق فنون مختلفة من الهندسة. وفى سنة ١٩٠٦ سلم الدير والكنيسة إلى البندكتيين الألمان فزينوا الكنيسة بالفسيفساء، وجعلوا منها مزاراً جذاباً، واشتهروا بالنشاط الأدبى والعلمى والهندسة والصناعة، وأقاموا متحفاً فلسطينياً.

وفى حرب ١٩٤٨ احتل الجيش الإسرائيلى الدير والكنيسة وحل الدمار والنهب بهما وبالمتحف. فأكره الرهبان على مغادرة الدير. وفى الدير اليوم مركز للدراسات الكتابية، ومركز مسكونى للبحث اللاهوتى، ومنتدى للقاءات الطلاب. وهو مسؤول عن ملجأ العجزة.

دير المصلبة:

ويقع هذا الدير فى واد غرب القدس، وتنسب إليه أسطورة تقول إن الشجرة التى أخذ منها صليب المسيح نمت فى المكان الذى ترتفع فيه كنيسة الدير. وتحيط بالدير - على غرار ما فى أديار أخرى فى فلسطين والشرق الأوسط - أسوار عالية تظهره بمظهر قلعة من قلاع القرون الوسطى.

وقد اختلف الدارسون فى عهد تأسيس الدير فمنهم من يذهب إلى أنه من القرن الرابع الميلادى، وآخرون يذهبون إلى أنه من القرن الخامس وأن الذى أسسه هو "تاسيان" ملك جيورجيا الواقعة فى جنوب غرب جمهوريات الاتحاد السوفياتى شرق البحر الأسود. وقد دمره الفرس فرممه الإمبراطور هرقل فى القرن السابع الميلادى. وتوالى التاريخ على الدير وتعرض لتقلبات الزمان.

كان يسكن الدير رهبان جيورجيون امتازوا بالتقوى وجعلوا من ديرهم مركز حياة دينية وثقافية لكل فلسطين، بدليل بقايا مكتبتهم الحاوية كثيراً من المخطوطات الثمينة التى نقلت إلى مكتبة الروم الأرثوذكس فى القدس وبينها ترجمات عربية لأقسام من الكتاب المقدس. وإلى ذلك اشتهر رهبان الدير بحسن ضيافتهم وكانوا يعنون بأعمال الحقول وزراعة الكرمة.

وكانت سنة ١٦٤٤م آخر مرة رمم فيها الدير قبل ترميمه الحالى. وبعد ذلك بأربعين سنة تسلمه الروم الأرثوذكس من أصحابه الجيورجيين. وقد أقاموا فيه فى القرن الماضى مدرسة للاهوت. وأما اليوم فالدير خال تقريباً. وزائر الكنيسة لا يزال يعجب بالفسيفساء التى فرشت بها أرضها والصور التى رسمت على جدرانها قديماً، ويرى وراء المذبح المكان الذى تقول الأسطورة إن شجرة الصليب نمت فيه وإليه يعود اسم الدير.

وهناك أيضاً الكثير من المزارات المقدسة للطوائف المسيحية، منها على سبيل المثال :

- طريق الآلام : و هو الطريق الذى سار فيه السيد المسيح من قصر بيلاطس حتى الجلجثة، و يعبر المدينة المقدسة من الشرق إلى الغرب. وفى صباح كل يوم جمعة، يقوم الحجاج المسيحيون من مختلف الأجناس يقودهم رهبان فرنسيسكان، باقتفاء آثار هذه الخطى بدءاً من كنيسة الجلد وانتهاء بكنيسة القيامة، وتنقسم أعظم طريق قدسية إلى أربع عشرة مرحلة، وتشير كل مرحلة إلى حدث وقع فى المكان أثناء السير الأخير للسيد المسيح

قبيل صلبه، فتسعُ من هذه المراحل تقع على امتداد طريق الآلام وخمس داخل كنيسة القيامة.

– دير القديس يعقوب الكبير : بجوار برج داود، بحارة الأرمن .

– كنيسة القديس توما : فى زقاق بالقرب من كنيسة الرسول يعقوب الكبير .

– دير السريان (دير القديس مرقس) : و يقيم فيه أسقف السريان، و هو منزل مارمرقس الرسول، فى الشمال الشرقى لكنيسة القديس توما .

– كنيسة ماريوحنا : خارج كنيسة القيامة .

– كنيسة العذراء بالجمانية – جبل الزيتون .

– دير مارجرجس : بحارة الموارنة بالقرب من باب الخليل .

– دير القديس قسطنطين و القديسة هيلانة : فى بطريركية الروم الأرثوذكس بالقدس، و للروم الأرثوذكس بالمدينة المقدسة ١٩ ديراً للرهبان و خمسة أديرة للراهبات، و يطلق على هذه الرهبانية " أخوية القبر المقدس " .

كنيسة المهد ببيت لحم :

استمدت " بيت لحم " أهميتها و شهرتها العالمية من مولد السيد المسيح فيها، و قد وضعته السيدة مريم العذراء فى مذود فى مغارة قريبة من القرية..

فى حوالى سنة ٣٣٠م شيد الإمبراطور الرومانى " قسطنطين " كنيسة فوق المغارة، سميت بكنيسة القديسة مريم.. و فى رواية أخرى، أن القديسة " هلانة " أم الإمبراطور قسطنطين هى التى شيدت هذه الكنيسة، و ظلت قائمة حتى عام ٥٢٩م عندما دمرها السامريون خلال ثورتهم على الإمبراطورية الرومانية، فأعاد الإمبراطور " جوستنيان " بنائها بشكلها الحالى تقريباً و أصبحت تسمى " كنيسة المهد " .

و قد شيدت هذه الكنيسة على الطراز البازليكى، و يزدان صحنها بأربعين عموداً من الرخام الفاخر، بكل جانب صفان من الأعمدة و طول كل عمود ستة أمتار تنتهى بتيجان، وينقسم الصحن إلى خمسة أروقة، و سقفها من الخشب، و يرتفع فوق الأعمدة حائطان لمسافة عشرة امتار، يزينهما أحد عشر شباكاً، و بالكنيسة هيكل أوسط له حنية شرقية، كما هو الحال فى الكنائس القبطية القديمة .

مغارة المهد :

يهبط إليها بدرجات حجرية، و لما كانت المغارة من صخر جيرى لين فقد تم تدعيمها بالعقود، فضاقت حتى أصبحت مساحتها ١٢,٥ × ٣ أمتار.. و إلى الشرق نجد تجويفاً

مستديراً يشير إلى مكان ميلاد السيد المسيح . و أرضيتها مرصوفة بالرخام الأبيض تتوسطه نجمة مسمرة، منقوش عليها باللاتينية (منذ عام ١٧١٧) عبارة : (هنا قد وُلد يسوع المسيح من العذراء مريم) .

و فى آخر المغارة من الجهة الشمالية نجد باباً يقود إلى هيكل القديس يوسف النجار، تذكاراً للحلم الذى رآه هناك و دعاه الملاك إلى الهرب إلى مصر . ثم نهبط إلى مكان أوسع باسم الأطفال الشهداء، و فى وسطه عمود كبير يدعم سقفه . و تحت هيكله باب صغير ينحدر إلى مغارة أخرى صغيرة - تفتح مرة كل عام - و يذكر التقليد أنه تم هناك دفن أطفال بيت لحم الشهداء، الذين قتلهم هيرودس الملك .

ثم يتم الدخول إلى دهليز آخر - على اليسار - حيث نجد هيكلاً آخر لقبر القديس "أرسانيوس " تلميذ القديس جيروم، و منه نتوجه إلى ساحة بها قبر القديسة " بولا " وابنتها القديسة " أوسطاكيا " .



الفصل الرابع
القدس فى كتابات الرحالة



الرحلة إلى القدس

أدب الرحلة.. هو واحد من أعرق أشكال الإبداع فى الثقافة الإنسانية.. و الرحلة هى "عين الجغرافيا المبصرة ".. و هى جزء أصيل من حركة الحياة على الأرض، و إذا كان الإنسان الذى كرس اجتهاده لإنجاز الرحلة، لم يفرط قط فى جنى ثمراتها و الانتفاع بها، فإن الرحلة – فى حد ذاتها – قد رسخت كل العوامل والمفاهيم التى بنيت عليها وحدة البشر على هذا الكوكب، و كما لعبت الرحلة دورها فى حركة الكشوف الجغرافية، فقد حققت نوعا من الاتصال الحضارى بين الشعوب و اكتساب المعرفة بالآخر .

و المكانة الدينية العظيمة للقدس فى نفوس المسلمين، يؤكدها كثرة من رحل إليها من قراء القرآن و رواة الحديث و الزاهدين الراغبين فى زيارة المقدسات و الإقامة بها.. كما رحل إليها كثير من الرحالة المسلمين على مر العصور، و سجلوا مشاهداتهم و انطباعاتهم عنها.. كذلك رحل إليها كثير من العلماء المسلمين للتعليم و طلب العلم و لقاء علماء القدس و الأخذ عنهم، و بعضهم قضى فيها سنوات، فوطدوا بذلك دعائم وحدة ثقافية بين المسلمين لم تتزعزع حتى خلال الحملات الصليبية، و قد تزايد اهتمام المسلمين بالقدس والحج إليها، فقام عدد من الخلفاء و السلاطين بإنشاء الزوايا و الخوانق و ما حبسوا من أوقاف لإيواء الحجاج و إطعامهم و كسوتهم ..

و قد كثرت الكتب التى تحدثت عن القدس و المسجد الأقصى، و قوت فى النفوس الرغبة فى زيارتها و الحج إلى حرمها، و منها : " كتاب الأنس فى فضائل القدس " لبهاء الدين ابن عساكر، و " الأنس الجليل بتاريخ القدس و الخليل " لمجير الدين عبد الرحمن العليمى قاضى القدس أواخر عهد المماليك، و كتاب " إتحاف الأخصّا فى فضائل المسجد الأقصى " لكمال الدين السيوطى، و " الجامع المستقصى فى فضائل الأقصى " لأبى محمد ابن على بن عساكر، و كتاب " باعث النفوس إلى زيارة القدس المحروس " لبرهان الدين الفزارى .

كذلك نشطت لدى المسيحيين فكرة الحج إلى الأماكن المقدسة فى فلسطين، و زيارة الأماكن التى شرفها السيد المسيح فى القدس و الناصرة و بيت لحم ..

و لم تنشأ عادة زيارة هذه الأماكن المقدسة إلا فى القرن الرابع الميلادى، بعد أن تنصّر

الإمبراطور قسطنطين (٣٠٦ - ٣٣٧م) و جعل المسيحية ديناً من أديان الدولة، فأمر بالكشف عن معالم القبر و مكان المهد و الجلجلة . و ذهبت هيلانة إلى فلسطين، و أشرفت بنفسها على الأعمال، و بنت ثلاث كنائس كتب البقاء للثالثة التى بنيت فوق مغارة بيت لحم.

نشط العمران بعد ذلك، و تواصل البناء بجهود الأباطرة و رجال الدين و الأثرياء، فأنشئت الكنائس و الأديرة و فنادق الحجيج، و رافقت ذلك حركة حج عظيمة، و كان الحجاج المسيحيون يتوافدون إلى فلسطين من كل مكان و فيهم الأساقفة أمثال هيلاريون الغزاوى و باسيليوس الكبير و يوحنا الأنطاكى، و النساك أمثال سمعان العمودى، و الأباطرة كتيودوسيوس و أفدوكيا . و قد كتب الكثيرون مشاهداتهم فى مؤلفات أجمعت على إبراز المركز العظيم الذى شغلته الأماكن المقدسة فى العالم المسيحى كله . و تبع ذلك منح أسقف القدس لقب بطريرك عام ٤٥١، فغدت كنيسة القدس فى المرتبة الخامسة بين الكنائس المسيحية بعد روما و القسطنطينية و الأسكندرية و أنطاكية .

لم تنقطع حركة الحج إلى الأماكن المقدسة فى فلسطين بعد الفتح الإسلامى، و شهدت الفترة الممتدة حتى دخول الصليبيين القدس أواخر القرن الحادى عشر الميلادى (٤٩٣هـ/١٠٩٩م) نمواً كبيراً فى هذه الحركة . و كان لاعتناق استفانوس ملك المجر (٩٩٧ - ١٠٣٨م) المسيحية أثر كبير فى فتح وادى الدانوب فى وجه الحجيج الغربيين .

و لما دخل الصليبيون القدس و أنشأوا فيها وفى المناطق التى احتلوها مملكة لهم، قويت الحركة التجارية بين الشرق و الغرب، و قويت معها حركة الحج إلى الأماكن المقدسة فى فلسطين .

ثم استعاد المسلمون الأراضى المقدسة، و انحسر المد الصليبى، و برز عنصر جديد فى الصراع بين الغرب و الشرق على الأماكن المقدسة هو عنصر الحوار الدينى و السياسى. و أثمر ذلك نمو حركة الحج إلى فلسطين طوال القرنين الرابع عشر و الخامس عشر الميلاديين، و قدوم الكهنة المسيحيين إلى القدس لخدمة الأماكن المقدسة فى وجه جميع قاصديها .

كما زحفت مختلف الكنائس الغربية إلى الأماكن المقدسة و أنشئت الأديرة و المؤسسات الكثيرة، و تدفق الحجاج على اختلاف أقطارهم و مذاهبهم لزيارة فلسطين .

و قد تأثرت حركة الحج إلى فلسطين بقيام الكيان الصهيونى (١٩٤٨) ثم احتلاله لبقية الأراضى الفلسطينية فى حرب ١٩٦٧م و ما رافق هذا الاحتلال من إرهاب و قمع و تشويه مدروس و منظم للأراضى الفلسطينية، و من ضمنها الأماكن المقدسة .

يحتفل اليهود بثلاثة أعياد فى السنة، جاء ذكرها فى الإصحاح الثالث و العشرين من

سفر الخروج : " ثلاثة مرات تعيّد لى فى السنة " : عيد الفطير، و هو عيد الفصح الذى يُحتفل به تذكاراً لهرب بنى إسرائيل من مصر، و عيد الحصاد، و هو عيد زراعى تحصد فيه الغلال، و عيد الجمع، و يقع فى آخر الحصاد، و يسمى أيضاً عيد المظال . والاحتفال بهذه الأعياد فرض على الذكور دون الإناث كما هو وارد فى الإصحاح الثالث عشر من سفر التثنية .

ظل اليهود يحتفلون بهذه الأعياد إلى أن حرم الرومان عليهم دخول القدس، فكانوا يستأذنون الرومان للوقوف مرة فى السنة على جبل الزيتون على مرأى من المدينة، فيبكون فى يوم واحد فى السنة (التاسع من آب)

واصل اليهود احتفالهم بذلك حيث كانوا، سواء فى فلسطين أو فى غيرها، أيام الرومانيين، ثم أيام البيزنطيين . ثم مكّنهم التسامح الإسلامى من دخول القدس و الإقامة فيها. و لما دخل الصليبيون القدس كان فيها عدد قليل من اليهود جمعوهم فى الكنيس وأحرقوهم معه !

و لما خلّص صلاح الدين الأيوبى القدس من أيدى الصليبيين سمح لليهود بالإقامة فيها. و صاروا، بمرور الزمن، يزورون جزءاً من الحائط الغربى للحرم الشريف معتقدين أن حجارته السفلى هى من بقايا هيكلهم، و هو المكان المعروف عند العامة بحائط مبكى اليهود، و هو فى الحقيقة حائط البراق !

لم يتعرض العرب لليهود الذين كانوا يؤمون فلسطين لزيارة " حائط المبكى " و إقامة الشعائر الدينية عنده بل أكرموا مثواهم . و بالمقابل، لم يدّع اليهود أى حق فى الحائط، بل كانوا قانعين بالذهاب إليه للنواح، و لكن الصهيونية استغلت عنصر الدين فى محاولاتها الرامية إلى تسخير الديانة لخدمة أغراضها، و لحمل اليهود من جهة، و العالم المسيحى من جهة أخرى، على مسايرة أهدافها السياسية، و تغليف مؤامراتها التوسعية بأساطير و إرث سماوى مزعوم، لتبرير اغتصاب فلسطين العربية !

القدس فى الفن الاستشراقى:

تجدر الإشارة أيضاً، إلى توافد كثير من الفنانين الأوربيين، الذين سجلوا بريشاتهم مشاهد " بانورامية " للمدينة المقدسة.. و إبداعاته عن الأرض المقدسة – خاصة المزارات المسيحية المقدسة – هى التى خلدت اسمه فى تاريخ الفن .

أيضاً الفنان " تيودور فرير " الذى ركز على المشاهد الطبيعية للقدس، و لوحته "خيمة بدو على جبل الزيتون فى القدس " تظهر المدينة المقدسة فى مشهد تاريخى مرتبط برمز "شجرة الزيتون " ..

و تتميز المشاهد الطبيعية فى أبداعات " فرير " بالحيوية و انفتاح بانورامى يشمل المزارات المقدسة و الجبال و الهضاب و غابات الزيتون و القوافل و مضارب البدو، و فى إطار بناء تركيب اللوحة الواحدة، حاول " فرير " إعطاء صورة مكتملة و متناسقة للحالة الطبوغرافية، لذلك اتسمت مشاهد المدينة المقدسة لديه ببراعة التصوير و التعبير على السواء.. ففى الجزء الأمامى من اللوحة صور دائماً العرب فى أزيائهم الفلسطينية التقليدية.. و فى الجزء الأوسط، تظهر دائماً التلال تزينها أشجار الزيتون، أما فى الخلفية، فتظهر دائماً روائع العمارة الإسلامية فى القدس، خاصة مسجد قبة الصخرة .

أيضاً فى مجال التصوير الفوتوغرافى.. كانت القدس من باكورة المدن التى استقطبت هذا الفن.. و لا يمكن أن نغفل إبداعات : رائد فن التصوير البريطانى " فرانسيس فريث " و التى ضمها كتابه الفريد " وصف مصر و الأرض المقدسة – ١٨٥٨ " و قد شكلت مجموعة " القدس " أهمية خاصة : مكاناً و زماناً، تمثل وثيقة تاريخية صادقة الملامح للقدس بطابعها العربى الإسلامى، قبل أن تنالها السياسة الاجرامية للإحتلال الإسرائيلى!

ومن بين مئات الرحلات المدونة عن الأرض المقدسة و مزاراتها، تخيرت ثلاثة نماذج من الرحالة : يهودى و مسيحى و مسلم.. حيث اختلفت التوجهات و تباينت الرؤى.. و قد حرص كل منهم على التركيز على مقدسات ديانته !.. فبعض الرحالة اليهود، إلى جانب زيارة الأماكن المقدسة لديهم، كان حريصاً على تفقد أحوال اليهود بالمدينة، و دراسة النشاط التجارى بها !.. و بعضهم كان يتتبع المواقع التى ورد ذكرها فى التوراة ... وبالنسبة للرحالة المسيحيين، كان طبيعياً أن يحرصوا على زيارة المواضع المقدسة التى شرفها السيد المسيح و مريم العذراء، و شيدت عليها كنائس صارت من أبرز معالم المدينة، كما أنها حظيت بشهرة عالمية ... و بالنسبة للرحالة المسلمين، فكان واضحاً تركيزهم على مجموعة الحرم القدسى الشريف، و أفاضوا فى وصف مسجدى : قبة الصخرة و الأقصى المبارك.. و قد جمعت الرحالة : قداستهم للمدينة، ووصفهم لخططها و معالمها .

رحلة بتاحيا الراتسبونى :

تحتل رحلة اليهودى " بتاحيا الراتسبونى " مكانة متميزة بين الرحلات التى قام بها الرحالة اليهود فى العصور الوسطى، فى بلاد الشرق، أما عن تاريخ رحلته، فقد أشار بتاحيا إلى " أن دمشق يحكمها السلطان صلاح الدين الذى يحكم مصر أيضاً.. " وبالتالى فقد قام برحلته خلال الفترة من ١١٧٤م إلى ١١٨٧م و قد اشتهر بتاحيا بالثراء من خلال عمله بالنشاط التجارى، مما جعله يحاول التعرف على نوعية التجارة المدنية و احتياجات

أسواقها !.. إلى جانب وصف المزارات المقدسة لدى اليهود.. كما حاول التعرف على أوضاع اليهود فى " مملكة بيت المقدس الصليبية ".. و قرر بتاحيا أن مدينة القدس لا تضم سوى يهودى واحد.. و قد حدد اسمه : الرابى " إبراهيم هلتسيفع " و هو الذى صحبه فى جولته بجبل الزيتون، و هذا يؤكد ما قرره الرحالة اليهودى " بنيامين التطيلى " بشأن قلة أعداد اليهود بالمدينة الخاضعة للسيادة الصليبية، فصارت عنصر طرد لهم، ويبدو أن الصليبيين قد فرضوا ضرائب باهظة على اليهود من أجل دفعهم للنزوح من المدينة.. كما أفادت رحلة بتاحيا.. و أيضاً رحلة بنيامين.. فى أن المدن الإسلامية فى بلاد الشام والرافدين، كانت مراكز جذب و تجمع للطوائف اليهودية .

و قد وصف بتاحيا : حارة اليهود بالقدس، و قال أنها تقع ما بين الحرم الشريف وجبل صهيون.. كان يسكنها أعداد من اليهود الذين أتوا من خارج فلسطين، بعضهم كان يمارس مهنة الصرافة، و الغالبية عاشت ظروفاً اجتماعية سيئة.. و يضيف بتاحيا : "بالقرب من حى اليهود، يرتفع جدار كان يدعم أحد جوانب الأرض التى يقوم عليها الهيكل، و هو مبنى من أحجار ضخمة، و يفصل الحى عن المكان الذى يقوم فيه جامع عمر.. هو حائط المبكى الذى يأتى إليه اليهود للبكاء و النواح، خاصة يوم الجمعة.. ثم نمر بأرض ترتفع فيها أشجار صبار ضخمة، لنصل إلى الناحية الشمالية الغربية من الحرم المقدس.. فى هذا المكان يوجد بناء كبير يعرف باسم " بيت بيلاطس " و هو محطة من محطات – طريق الآلام – الذى يقصده الحجاج المسيحيون.. "

و تحدث بتاحيا عن أسوار القدس.. و الإضافات التى شادها الصليبيون.. " و قبلهم الرومان، و قبل هؤلاء و أولئك آثار الملك سليمان ".. و قال بأن السور الشمالى عبارة عن خط متموج تميزه ملامح الهندسة العربية " يتوسطه باب جميل يعرف باسم باب افرام – و يطلق عليه أيضاً – باب العمود – و ذلك نسبة إلى عمود قائم عنده يعلوه صليب حديدى"..

و أشار بتاحيا إلى باب آخر صغير عرف باسم " باب هيرودس " الذى أقيم فى عهد الرومان، لاختصار الطريق نحو " بيزيتا " التى كانت تقوم إلى الشمال – الغربى من القدس.. و يشير إلى أن السور أصبح ضعيفاً فى أجزائه العليا، حيث تكثر الشقوق التى نبت فيها أعشاب و شجيرات خضراء !.. و أشار إلى إزدياد ارتفاع السور قرب الزاوية الجنوبية، حيث يزداد انحدار الأرض نحو الوادى.. ثم يتجه غرباً حيث " باب صهيون وتعلوه قبة مقوسة، و نقوش بارزة بالإضافة إلى كوتين تحيطان به من كل جانب " ... ثم قام بزيارة ما يعرف بـ " قبر داود " فى تلة صهيون، و هى عبارة عن مجموعة غير منتظمة

من الأبنية المقامة حول باحة واسعة تملؤها الأنقاض، و يضيف بتاحيا : " هناك نجد سلّماً يؤدى إلى قاعة قديمة ذات عقود و أقبية تستند على أعمدة جميلة البناء، و فى آخر هذه القاعة بضع درجات تقودنا إلى تسقيفة نشاهد فيها عبر فتحة مشبكة بالقضبان الحديدية: ناووساً طوله أكثر من أربعة أمتار تغطيه أقمشة صفراء و خضراء، يقال أنه قبر الملك داود" !

رحلة الحاج الروسى " دانيال الراهب " :

شهدت " الأرض المقدسة " العديد من الرحالة و الحجاج الغربيين، الذين حرصوا على زيارات الأماكن المسيحية المقدسة و وصفها، كما تناولوا الأوضاع الإدارية و الاجتماعية والاقتصادية و حياة السكان ..

و من أشهر هؤلاء الرحالة و الحجاج : الرحالة " انطونيوس " الذى زار الأرض المقدسة فيما بين عامى ٥٦٠، ٥٧٠م.. و فى عصر القوة الإسلامية الناهضة – عصر الدولة الأموية – كانت رحلة " اركولف " سنة ٦٧٠م و ذكر الكنائس و المواقع المقدسة، و وصف سور القدس و مسجد عمر.. و أسواق المدينة، ثم رحلة الإنجليزى " ويليبالد " سنة ٧٢٣م الذى وصف بالتفصيل الأماكن التى زارها.. و رحلة " برنارد الحكيم " التى تمت سنة ٨٧٠م .

كما شهدت حقبة الحروب الصليبية توافد عدد من الرحالة و الحجاج.. منهم الحاج "سايولف " سنة ١١٠٢م و رحلة " فيتلوس " سنة ١١٣٠م و رحلة " بورشارد " سنة ١٢٨٠م.

و كانت رحلة الحاج الروسى " دانيال الراهب " عام ١١٠٦م و تكمن أهميتها فى أنها تمت فى بداية عصر جديد فى حياة الشرق الإسلامى، و المدينة المقدسة على وجه خاص، وقد وصف الأماكن المقدسة.. و تعرض لجوانب الحياة الاقتصادية و الاجتماعية فى فلسطين، و تناول أهم الحاصلات الزراعية و الصناعات التى كانت سائدة فى ذلك العصر ..

و وصف دتنيال المدينة المقدسة.. بكل المشاعر الفياضة نحوها و المزارات المقدسة التى تضمها.. فكتب : تقع مدينة بيت المقدس فى وديان قاحلة، و فى وسط جبال صخرية . وعند الاقتراب من المدينة يستطيع الزائر أن يشاهد أولاً برج داود، و عند التقدم قليلاً يرى جبل الزيتون، ثم يرى كنيسة القيامة التى يوجد بها الضريح المقدس ثم أخيراً يرى المدينة بأكملها . و على بعد فرست واحد أمام بيت المقدس هناك جبل منبسط و عند وصوله يهبط المسافر موقراً كنيسة القيامة داخل المدينة .

وتغمر البهجة كل مسيحى عند رؤية مدينة بيت المقدس الطاهرة، و تُذرف الدموع عند

ذلك المشهد . و ليس بوسع المرء إلا البكاء عند رؤية هذه الأماكن التى طالما اشتاق الزائر لرؤيتها حيث تحمل السيد المسيح الآلام . و هكذا و بنفس مليئة بالبهجة يكمل الزائر رحلته إلى بيت المقدس سيراً على الأقدام .

و تقع كنيسة القديس ستيفن على اليسار بالقرب من الطريق، ففى هذا المكان رُجم القديس بالحجارة من قبل اليهود، و ضريحه هناك أيضاً . و هنا أيضاً جبل صخرى منبسط انشق عند وقت صلب المسيح . و يقع على مرمى حجر من سور المدينة . وبعد ذلك يدخل الحجاج، تغمرهم البهجة، داخل المدينة المقدسة عبر بوابة قرب بيت داود وهذه البوابة تشرف على اتجاه بيت لحم، تسمى بوابة بنيامين . و عند دخول المدينة هناك طريق تعترضها، و على اليمين تؤدى إلى أقدس المقدسات، و على اليسار كنيسة القيامة والضريح المقدس " .

و كتب عن كنيسة القيامة : " تتخذ كنيسة القيامة شكلاً دائرياً و تحتوى على اثنى عشر عموداً على شكل مسلات و ستة أعمدة أخرى مغطاة بالرخام الجميل . و هناك ستة مداخل و أروقة بستة عشر عموداً، و تحت السقف فوق الأروقة يتمثل الأنبياء الطاهرون وكأنهم أحياء و يعلو المذبح صور المسيح مصنوعة من الفسيفساء، و على المذبح العالى هناك صورة لرفع آدم مصنوعة من الفسيفساء أيضاً، و على الفسيفساء الموجودة فى القوس فى الأعلى هناك صورة تمثل رفع سيدنا المسيح، و هناك أيضاً صورة البشارة من الفسيفساء على الأعمدة على كلا جانبى مذبح الكنيسة . و قبة الكنيسة غير مغلقة بعقد من الحجر مثبت باستخدام دعامات خشبية حتى تكون الكنيسة مفتوحة من القمة . و الضريح المقدس يستقر تحت القبة المفتوحة . و الضريح المقدس عبارة عن مغارة صغيرة منحوتة فى الصخر، و يوجد لها مدخل منخفض جداً لدرجة أن الشخص يستطيع الدخول إليها بصعوبة، و ذلك بأن يحنى ركبتيه، و ارتفاع المكان نسبياً، و أبعاده متساوية فى الطول والإتساع، و لا تزيد عن أربعة أذرع . و بعد أن يتمكن الشخص من دخول المغارة من خلال المدخل الصغير يمكن أن يرى أريكة محفورة فى الصخر، و التى كان قد سجى عليها جثمان السيد المسيح، و هذا المكان مغطى بقطع من الرخام . إن هذه الصخرة المقدسة والتى يقبلها جميع المسيحيين، يمكن رؤيتها من خلال ثلاث فتحات مستديرة من جانب واحد . و هناك أيضاً خمسة مصابيح زيتية تضىء ليلاً و نهاراً معلقة فى ضريح المسيح . والأريكة المقدسة التى سجى عليها جسم المسيح تبلغ أربعة أذرع طولاً، و ذراعين عرضاً، وذراع و نصف فى الارتفاع . و هناك على بعد ثلاثة أقدام يقع مدخل المغارة الحجرى الذى جلس عليه الملاك الذى ظهر للسيدة مريم و أعلن لهم عن بعث المسيح " .

و قال عن " الجلجلة " أو الموضع الذى صلب فيه المسيح : " هذه الصخرة المشرفة وموضع الصلب محاطة بجدار، و مغطاة بمبنى مزخرف بفسيفساء رائعة . و على الجدار الشرقى هناك صورة نابضة بالحياة للمسيح المصلوب . و لكنها أكبر و أكثر ارتفاعاً من الحجم الطبيعى، و على الجانب الجنوبى هناك صورة رائعة للنزول من الصليب . ويوجد بابان أحدهما يعلوه سبع درجات . و الأرض مرصوفة بالرخام الجميل . و تحت موضع الصلب حيث توجد الجلجلة، هناك كنيسة صغيرة، مزينة بالفسيفساء بشكل جميل، ومرصوفة بالرخام الجميل، و يسمى هذا المكان بالجلجلة، و القسم العلوى هو مكان الصلب.. و إلى الشمال منه المكان الذى تمزقت به ملابس السيد المسيح.. و بالقرب منه الموضع حيث وضع اليهود تاج الشوك على رأسه و ألبسوه ساخرين ملابس السلطة ! "

ثم تحدث دانيال عن موضع صعود المسيح إلى السماء، على قمة جبل صهيون.. فكتب: " و لهذا المكان سياج دائرى مبلط بقطع الرخام و محاط بحجرات مقنطرة . وفى وسط هذا المكان بنيت كنيسة صغيرة، مفتوحة السقف، و غير مبلطة، و تحت هذه القبة المفتوحة يقع الحجر المقدس الذى استقرت عليه قدما سيدنا المسيح . و نصب على هذا الحجر مذبح مكون من قطع الرخام، و هو يقدس الآن، و هذا الحجر يقع تحت المذبح المقدس و هو محاط بالرخام، و يستطيع المرء فقط أن يرى الجزء العلوى، و الذى يُقبّله المسيحيون. ولهذه الكنيسة بابان، و يصعد المرء إلى مكان صعود السيد المسيح إلى السماء على اثنين وعشرين درجة. و يشرف جبل الزيتون على بيت المقدس كلها، و يستطيع المرء رؤية كل شىء فى المدينة من قمة هذا الجبل مثل أقدس المقدسات و كل الريف حتى بحر سدوم و كذلك نهر الأردن.. "

و كتب دانيال عن موضع ضريح السيدة العذراء.. ووصفه بأنه عبارة عن مغارة صغيرة منحوتة فى الصخر و مدخلها المنخفض يجبر الزائر على الانحناء، و مقابل المدخل أريكة منحوتة أيضاً فى الصخر، هى التى وضع عليها جسد الطاهرة مريم، و يبلغ ارتفاع المغارة قامة الإنسان، و يتخذ داخلها شكل كنيسة صغيرة، مغطاة بقطع من الرخام الجميل الفاخر ..

رحلة " ناصر خسرو " :

كانت القدس بالنسبة للمسلمين أولى القبلتين، و أرض الأنبياء و مهد الرسالات السماوية، و إليها كان إسراء النبى (صلى الله عليه وسلم)، و هى مبدأ معراجه إلى السماء.. و موطن التهديد من الصليبيين ثم من اليهود.. فتوافد إليها الرحالة والعلماء والزوار من المسلمين.. و أصدروا عنها كثيراً من الكتب التى تعدد فضائلها و تدعو للرحلة إليها .

و قد سجل " المقدسى " الذى عاش فى أواخر القرن الرابع الهجرى فى كتابه المعروف " أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم " وصفاً ممتعاً للقدس – و هو من أبنائها – عدّد فيه مناقبها و فضائلها و ما امتازت به من جميل المبانى و النظافة و حسن التنظيم و من كان فيها من أهل العلم، فقال : " بيت المقدس ليس فى مدائن الكون أكبر منها، و قصبات كبيرة أصغر منها كإصطخر وقاين والفرما . لا شديد البرد و ليس فيها حر . و قلّ ما يقع فيها الثلج . بنيانهم حجر لا ترى أحسن منه . و لا أتقن من بنائها و لا أعفّ من أهلها . و لا أطيب من العيش فيها . و لا أنظم من أسواقها و لا أكبر من مسجدها . و لا أكثر من مشاهدها، و فيها كل حاذق و طبيب . و إليها قلب كل لبيب ".. و هذا الوصف الذى أورده المقدسى يصور حالة بيت المقدس و يثبت أنها كانت مدينة كبيرة مزدهرة و عامرة بالمبانى الجميلة التى زال أكثر آثارها .

أما " ابن بطوطة " و الذى وُصف بـ " رحالة الإسلام ".. فقد قام بثلاث رحلات فى الفترة من ١٣٢٥م إلى ١٣٥٤م جاب فيها أكثر ما عرف فى زمانه من البلاد.. فهو وبحق أعظم الرحالة المسلمين قاطبة، و أوفرهم نشاطاً و استيعاباً للأخبار، و أشدهم عناية بالحديث عن الأحوال الاجتماعية فى البلاد التى رحل إليها ..

و قد زار و هو فى طريقه إلى القدس.. قرية بيت لحم.. و زار موضع ميلاد عيسى عليه السلام " و به أثر جذع نخلة و عليه عمارة كثيرة، و النصارى يعظمونه أشد تعظيم و يضيفون من نزل به " .

ووصف ساحة الحرم الشريف.. و قال عن قبة الصخرة " هى من أعجب المبانى وأتقنها وأغربها شكلاً، قد توافر حظها من المحاسن، و أخذت من كل بديعة بطرف ... و فى ظاهرها و باطنها من أنواع التزويق، و رائق الصنعة ما يعجز الواصف، و أكثر ذلك مغشى بالذهب، فهى تتلألأ نوراً و تلمع لمعان البريق، يحار بصر متأملها فى محاسنها، ويقصر لسان رائيها عن تمثيلها ... " !

و كان حريصاً – كعادته – على زيارة قبور الصالحين بالمدينة المقدسة، و لقاء الأفاضل من علماء و قضاة.

أما الرحالة " ناصر خسرو علوى " و الذى ولد فى " قباديان " سنة ٣٩٤هـ/١٠٠٣م فقد نشأ فى أحوال مضطربة سياسياً و دينياً.. نهل من العلم و تثقف ثقافة واسعة، والتحق بخدمة السلطان " محمود الغزنوى " ثم ولده مسعود، ونشأ نشأة سنية وفى بلاط حماة السنة.. إلى أن تبدلت الأحوال السياسية و برزت إلى الوجود دولة " السلاجقة ".. فالتحق ناصر بخدمة " جغرى بيك " السلجوقى حاكم خراسان .

و كان ناصر خسرو من أعظم شعراء الفرس.. تميز بفكر موسوعى، فقرأ فى الفلسفة وناقش آراء الفارابى و ابن سينا . و درس ما يعرف اليوم بعلم " مقارنة الأديان " حيث تعمق فى دراسة القرآن و الحديث النبوى، و درس أيضاً التوراة و الإنجيل، و كتب الفلسفات الهندية.. و الزرادشتية.. و اتصل بعلماء الأديان.. و قرر أن يرحل إلى بلاد العرب و تركستان و الهند.. و قال إن الذى دفعه إلى رحلته هو ما قرأه فى القرآن الكريم من حث على السياحة فى الأرض و التأمل فى خلق الله (جل جلاله) و الاتعاظ من آثار الأمم البائدة.. و كانت بداية رحلته " سفر نامه " من مدينة " مرو " سنة ٤٣٧هـ/١٠٤٥م وانتهت سنة ٤٤٤هـ/١٠٥٢م و قد أصبح من أبرز رجال الدعوة الفاطمية..

فى الخامس من شهر رمضان ٤٣٨هـ/١٦ مارس ١٠٤٧م وصل العالم الرحالة ناصر خسرو إلى بيت المقدس.. و كتب عنها : " هى مدينة مشيدة على قمة الجبل، ليس بها ماء غير الأمطار، ليس بها عين فإنها على رأس صخر، و هى مدينة كبيرة كان بها، فى ذلك الوقت، عشرون ألف رجل، و بها أسواق جميلة و أبنية عالية، و كل أرضها مبلطة بالحجارة، و قد سووا الجهات الجبلية و المرتفعات، و جعلوها مسطحة، بحيث تغسل الأرض كلها و تنظف حين تنزل الأمطار .

و فى المدينة صناع كثيرون، لكل جماعة منهم سوق خاصة، و الجامع شرقى المدينة.. وبعده سهل كبير مستو يسمى " الساهرة " يقال أنه سيكون ساحة القيامة و الحشر، و لهذا يحضر إليه خلق كثيرون من أطراف العالم و يقيمون به حتى إذا جاء وعد الله كانوا بأرض الميعاد " ! ..

و قام ناصر خسرو بزيارة قبور الصحابة و الصالحين.. و شاهد قبة من الحجر المنحوت مشيدة على بيت (يقول العامة أنه بيت فرعون و اسم هذا الوادى " وادى جهنم")!

وقال إن السائر من جنوب المدينة، مسافة نصف فرسخ، ينزل منحدراً، حيث يجد عين ماء تنبع من الصخر، تسمى " عين سلوان ".. و كانت مزاراً سياحياً إلى ما قبل الإحتلال الإسرائيلى !.. و أضاف ناصر أن بيوتاً كثيرة قد أقيمت عندها، و غرست حولها البساتين، و أن من يستحم بماء هذه العين يشفى مما ألم به من أمراض.. ثم تحدث عن "بيمارستان " عليه أوقاف طائلة – و هو الذى شيده الفاطميون – و يصرف لمرضاه العلاج بالمجان .

و أبدع ناصر خسرو فى وصف المسجد الأقصى.. واحد من أجمل آثار الدولة الأموية.. و إليه كان إسراء النبى (صلى الله عليه و سلم) فكتب : ".. و قد بنوا به أبنية غاية فى الزخرف، و فرش بالسجاد الفاخر، و يقوم عليه خدم مخصوصون يعملون به دوماً، و حين

يعود السائر إلى الحائط الجنوبى، على مائتى ذراع من تلك الزاوية، يجد سقفاً، و هناك ساحة المسجد، و أما الجزء المسقوف من المسجد الكبير، و الذى به المقصورة، فيقع عند الحائطين الجنوبى و الغربى، و طول هذا الجزء عشرون و أربعمائة ذراع وعرضه خمسون ومائة ذراع، و به ثمانون و مائتا عمود من الرخام، على تيجانها طيقان من الحجارة .

وقد نقشت تيجان الأعمدة و هياكلها، و بين كل عمودين ست أذرع مغطاة بالرخام الملون الملبس بشقاق الرصاص . والمقصورة فى وسط الحائط الجنوبى، وهى كبيرة جداً تتسع لستة عشر عموداً، و عليها قبة عظيمة جداً منقوشة بالميناء على نسق ما وصفت . وهى مفروشة بالحصير المغربى، وبها قناديل ومسارج معلقة بالسلاسل ومتباعدة بعضها عن بعض . و بها محراب كبير منقوش بالمينا، و على جانبيه عمودان من الرخام لونهما كالعقيق الأحمر، و إزار المقصورة كله من الرخام الملون .

و على يمينه محراب معاوية . و على يساره محراب عمر رضى الله عنه، و سقف هذا المسجد مغطى بالخشب المنقوش المحلى بالزخارف . و على باب المقصورة و حائطها المطلين على الساحة خمسة عشر رواقاً، عليها أبواب مزخرفة، ارتفاع كل منها عشرة أذرع و عرضها ست . عشرة من هذه الأبواب تفتح على الجدار الذى طوله عشرون و أربعمائة ذراع، و خمسة منها على الجدار الذى طوله خمسون و مائة ذراع .

و قد زين باب منها غاية الزينة، و هو من الحسن بحيث تظن أنه من الذهب، و قد نقش بالفضة و كتب عليه اسم الخليفة المأمون، و يقال أنه هو الذى أرسله من بغداد . و حين تفتح الأبواب كلها ينير المسجد حتى تظن أنه ساحة مكشوفة، أما حين تعصف الريح وتمطر السماء و تغلق الأبواب، فإن النور ينبعث للمسجد من الكوات . و على الجوانب الأربعة من الحرم المسقوف صناديق من مدن الشام و العراق، يجلس بجانبها المجاورون، كما هو الحال فى المسجد الحرام بمكة شرفها الله تعالى .

و خارج هذا الحرم، عند الحائط الكبير رواق به اثنان و أربعون طاقاً، و كل أعمدته من الرخام الملون، و هذا الرواق متصل بالرواق الغربى .

و تحت الأرض فى الحرم المسقوف حوض جعل بحيث يكون فى مستوى الأرض حين يغطى و قد بنى لتجمع فيه مياه المطر . و على الحائط الجنوبى باب يؤدى إلى ميضاة...

و قد حفرت فى أرض المسجد أحواض و صهاريج كثيرة، فإن المسجد مشيد كله على صخرة، يتجمع فيها ماء المطر، فلا تضيع منه قطرة، و ينتفع به الناس .

و هناك ميازيب من الرصاص ينزل منها الماء إلى أحواض حجرية تحتها، و قد ثقبت هذه الأحواض ليخرج منها الماء و يصب فى الصهاريج، بواسطة قنوات بينها، غير ملوث

أو عفن، و قد رأيت على ثلاثة فراسخ من المدينة صهريجاً كبيراً تنحدر إليه المياه من الجبل و تتجمع فيه، و قد أوصلوه بقناة إلى المسجد، حيث يوجد أكبر مقدار من مياه المدينة.

و فى النازل كلها أحواض لجمع ماء المطر، إذ لا يوجد غيره هناك، و يجمع كل أنسان ما على سطح بيته من مياه، فإن المطر هو الذى يستعمل فى الحمامات و غيرها .

و الأحواض التى بالمسجد لا تحتاج إلى عمارة أبداً، لأنها من الحجر الصلب، فإذا حدث بها شق أو ثقب أحكم أصلاحه حتى لا تتخرب ....

و فى الجهات المنخفضة من أحياء المدينة فتحوا فى المسجد أبواباً كأنها نقب، تؤدى لساحته . و من هذه الأبواب باب يسمى " باب النبى صلى الله عليه وسلم "، و هو بجانب القبلة، أى فى الجنوب، و قد عمل بحيث يكون عرضه عشرة أذرع و أما ارتفاعه فيتفاوت حسب المكان، فهو فى مكان خمس أذرع، أى علو سقف هذا الممر، و فى مكان آخر عشرون . و الجزء المسقوف من المسجد الأقصى مشيد فوق هذا الممر و هو محكم بحيث يتحمل أن يقام فوقه بناء بهذه العضمة من غير أن يؤثر فيه قط .

و قد استخدمت فى بنائه حجارة لا يصدق العقل كيف استطاعت قوة البشر نقلها واستخدامها، و يقال أن سليمان ابن داود عليه السلام هو الذى بناه . و قد دخل منه نبينا عليه الصلاة و السلام إلى المسجد ليلة المعراج . و هذا الباب على جانب طريق مكة ....

و فى عرض المسجد باب شرقى، يسمى " باب العين " إذا خرجوا منه نزلوا منحدراً فيه " عين سلوان " .

و هناك أيضاً باب تحت الأرض يسمى " الحطة " يقال أنه الباب الذى أمر الله عز وجل بنى إسرائيل أن يدخلوا منه إلى المسجد .

قال تعالى: (و إذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منهاً حيث شئتم رغدا و ادخلو الباب سجداً و قولوا حِطة نغفر لكم خطاياكم و سنزيد المحسنين) (٥٨ سورة البقرة) .

و هناك باب آخر يسمونه " باب السكينة " فى دهليزه مسجد به محاريب كثيرة، باب أولها مغلق حتى لا يلجه أحد . و يقال إن هناك " تابوت السكينة " الذى ذكره الله تبارك وتعالى فى القرآن و الذى حمله الملائكة .

(قال تعالى: (و قال لهم نبيهم إن آية مُلكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم و بقية مما ترك آل موسى و آل هارون تحمله الملائكة إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين) (٢٤٨ سورة البقرة) .

و أبواب بيت المقدس، ما تحت الأرض و ما فوقها تسعة أبواب ...

ثم أفاض ناصر خسرو فى وصف مسجد " قبة الصخرة " درة العمارة الإسلامية..

وكتب أن المسجد شُيد بحيث " الصخرة المشرفة " ساحة المسجد، تعلوها القبة الشهيرة.. وقال أن المسجد عبارة عن بيت مثمن منظم، يبلغ طول كل ضلع من أضلاعه الثمانية : ٣٣ ذراعاً، و له أربعة أبواب على الجهات الأربع.. و جميع جدرانه من الحجر المنحوت و يبلغ ارتفاعه ٢٠ ذراعاً..

و محيط الصخرة مائة ذراع، و هى غير منتظمة الشكل، لا هى مدورة و لا مربعة، ولكنها حجر غير منتظم كحجارة الجبل . و قد بنوا على جوانب الصخرة الأربعة أربع دعائم مربعة، بارتفاع حائط الدكة المذكورة . و بين كل دعامتين، على الجوانب الأربعة، عمودان اسطوانيان من الرخام، بنفس الارتفاع . و على قمة تلك الدعائم و هذه الأعمدة الإثنى عشر، بنوا القبة التى تحتها الصخرة، و التى يبلغ محيطها مائة و عشرين ذراعاً .

و بين حائط هذا البناء و الدعائم و الأعمدة، ثمانى دعائم أخرى مبنية من الحجارة المنحوتة، و بين كل اثنتين منها ثلاثة أعمدة بين كل دعامتين . و على تاج كل دعامة أربعة عقود، على كل عقد طاق، و على كل عمود عقدان فوق كل منهما طاق . و هكذا يكون على العمود متكأ لطاقين، و على الدعامة متكأ لأربعة، فكانت القبة فى ذلك الوقت مرتكزة على هذه الدعامات الاثنتى عشرة المحيطة بالصخرة، فتراها على بعد فرسخ كأنها قمة جبل!....

و الصخرة حجر أزرق لونه، لم يطأها أحد برجله أبداً، و فى ناحيتها المواجهة للقبلة انخفاض، كأن انساناً سار عليها فبدت آثار أصابع قدميه فيها، كما تبدو على الطين الطرى، و قد بقيت عليها آثار سبع أقدام، و سمعت أن إبراهيم عليه السلام كان هناك، وكان إسماعيل طفلاً فمشى عليها و هذه هى آثار أقدامه !

و يقيم فى بيت الصخرة جماعة من المجاورين و العابدين، و قد زينت أرضه بالسجاد الجميل من الحرير و غيره . و فى وسطه قنديل من الفضة، معلق بسلسلة فضية فوق الصخرة . و هناك قناديل كثيرة من الفضة، كتب عليها وزنها، أمر بصنعها سلطان مصر.

و رأيت هناك أيضاً شمعة كبيرة جداً طولها سبع أذرع و قطرها ثلاثة أشبار، لونها كالكافور الزباحى و شمعها مخلوط بالعنبر . و يقال أن سلطان مصر يرسل هناك كل سنة كثيراً من الشمع، منه هذه الشمعة الكبيرة، و يكتب عليها اسمه بالذهب !

ثم تحدث ناصر خسرو عن قبة صغيرة تسمى " قبة السلسلة " محمولة على رؤوس ثمانية أعمدة من الرخام على الصخرة المشرفة.. مفتوحة من جميع جوانبها عدا جانب القبلة، فهو مسدود حتى نهايته و قد شيد عليه محراب جميل.. و تنسب القبة إلى "السلسلة

التى علقها داود عليه السلام، و لا تصل إليها إلا يد صاحب الحق، أما يد الظالم و الغاصب فلا تبلغها " !.. و قال ناصر خسرو بأن هذا المعنى مشهور عند العلماء !

و أشار بأن فوق الصخرة المشرفة : قبة أخرى، مشيدة على أربعة أعمدة من الرخام.. أرضها من حجر مستو و غير مفروشة، تعرف بـ " قبة جبريل " عليه السلام.. " و يقال أن هنا أعد – البراق – ليركبه النبى (صلى الله عليه وسلم) ليلة المعراج " !

الفصل الخامس
تهويد القدس

مؤامرة تهويد القدس

سرقة الأرض و التاريخ

زعماء الكيان الصهيونى من " بن جوريون " إلى " شارون " تحدوهم الرغبة دائماً فى قهر الإرادة العربية و الإسلامية، بانتزاع درة المسلمين الغالية.. فخلال حرب يونيو ١٩٦٧م، أحكم الاحتلال الإسرائيلى قبضته على القدس .

و فى ١١ يونيو ١٩٦٧م عقدت الحكومة الإسرائيلية اجتماعاً لبحث ضم القدس إلى إسرائيل، و فى ٢٧ يونيو تقدمت الحكومة بمشروع قرار الضم إلى الكنيست، الذى وافق على القرار رقم ٢٠٦٤ الخاص بضم القدس سياسياً و إدارياً، و فى اليوم التالى أصدرت الحكومة ما يسمى : أمر القانون و النظام رقم ١ لسنة ١٩٦٧م بإخضاع المدينة للقوانين والنظم الإدارية الإسرائيلية .

فى ٣٠ يونيو عام ١٩٨٠م أقر الكنيست ما سمى بالقانون الأساسى، الذى ينص على اعتبار مدينة القدس بشطريها عاصمة موحدة أبدية لإسرائيل، و مقراً لرئاسة الدولة والحكومة و الكنيست و المحكمة العليا !.. و ضمت سلطات الإحتلال فى إجراءات تهويد المدينة، طابعها المعمارى و المرافق و التعليم و الثقافة و الاستيطان، والاعتداء على المقدسات الإسلامية و المسيحية و هدم العقارات و تهجير السكان العرب !

و الفكر الصهيونى بالنسبة للقدس، يتمثل واضحاً فى قول الإرهابى الراحل بيجين :
"لا وجود لدولة إسرائيل بدون القدس، و لا وجود للقدس بدون الهيكل " !

و قبيل مصرعه بنحو ثلاثة أشهر، قال رابين : " القدس التى على الأرض، هى ملك خاص للإسرائيليين، أما العرب فلهم القدس التى فى السماوات " !!

و النشرات الدعائية الخاصة بالمركز الإعلامى الإسرائيلى بالقدس، تزخر بفقرات تكشف حرص الإسرائيليين على تزييف التاريخ، كمكون رئيسى فى الفكر الصهيونى، فبعد سرقة الأرض.. يسرقون أيضاً التاريخ !.. تقول إحدى النشرات المسمومة : " القدس هى عاصمة إسرائيل، و فيها مقر الحكومة، و هى المركز الروحى و القومى للشعب اليهودى، منذ أن بناها الملك داود و جعلها عاصمة لملكته عام ١٠٠٠ق.م، و لم تكن القدس أبداً، باستثناء العهد القصير للمملكة الصليبية، عاصمة إلا لدولة يهودية، كان ذلك طوال

قرون عديدة فى العصور القديمة و مرة أخرى منذ عام ١٩٤٨م.. " !!

كان استيطان القدس من أهم ركائز الدعوة لدى زعماء الصهيونيين الذين كانوا يرقدون أمام بسطاء اليهود فى العالم باستمرار أحد المزاعم اليهودية التى تقول : " إن أقدامنا كانت تقف عند أبوابك يا قدس، يا قدس التى بقيت موحدة " .

و حين انتهت الحرب العربية – الإسرائيلية عام ١٩٤٨م تمكنت القوات الإسرائيلية من تحقيق نصف ذلك الحلم الصهيونى . فقد احتلت ٦٦,٢٪ من المساحة الكلية لمدينة القدس . و لكن البلدة القديمة و ما فيها من مقدسات ظلت بيد العرب .

ثم جاءت حرب ١٩٦٧م لتمكن القوات الإسرائيلية من إحكام قبضتها على الجزء المتبقى من المدينة . و فى ١٩٦٧/٦/٨م كان الحاخام شلومو غورين – حاخام جيش الدفاع الإسرائيلى آنذاك يقف على رأس ثلة من الجيش بالقرب من الحائط الغربى للحرم القدسى الشريف (حائط المبكى) و يقيم شعائر الصلاة اليهودية معلناً فى ختامها أن حلم الأجيال اليهودية قد تحقق . فالقدس لليهود و لن يتراجعوا عنها و هى عاصمتهم الأبدية .

و فعلاً جاءت الإجراءات الإسرائيلية فى مدينة القدس منذ ذلك الحين لتؤكد هذه المقولة.

ففى ١٩٦٧/٦/١١م أى بعد احتلال القدس كلها بأيام عقدت الحكومة الإسرائيلية اجتماعاً لبحث ضم القدس إلى إسرائيل و توالت اجتماعاتهم إلى أن تقدمت للكنيست بتاريخ ١٩٦٧/٦/٢٧م بمشروع قرار لضم القدس إلى إسرائيل .

ولقد وافق الكنيست فى اليوم نفسه على قرار الضم و جرى إلحاق القدس العربية بإسرائيل سياسياً و إدارياً بموجب الأمر رقم ٢٠٦٤ .

وفى اليوم التالى أصدرت الحكومة الإسرائيلية ما سمى أمر القانون و النظام رقم ١ لسنة ١٩٦٧م و أخضعت بموجبه منطقة تنظيم مدينة القدس للقوانين و النظم الإدارية الإسرائيلية.

وفى ١٩٨٠/٧/٣٠م، و بعد ثلاثة عشر عاماً من إجراءات الضم و التهويد، أقر الكنيست الإسرائيلية ما سمى القانون الأساسى للقدس الموحدة الذى نص على اعتبار مدينة القدس بشطريها عاصمة موحدة لإسرائيل و مقراً لرئاسة الدولة و الحكومة والكنيست و المحكمة العليا، و يدعو القانون إلى اتخاذ الإجراءات التى من شأنها تنفيذ نصوص هذا القانون .

وكانت السلطات الإسرائيلية قد شرعت منذ بداية الإحتلال تنفذ الإجراءات الرامية إلى تهويد المدينة و إحكام القبضة الصهيونية عليها . و يمكن إيجاز هذه الإجراءات على النحو التالى:

تهويد المرافق العامة و الخدمات . و قد تمثل ذلك فى :

١) حل مجلس أمانة القدس العربية و إلحاق موظفيها و عمالها ببلدية القدس المحتلة منذ عام ١٩٤٨م .

٢) تهويد القضاء بنقل مقر محكمة الاستئناف من القدس إلى رام الله، و فك ارتباط القضاء النظامى فى مدينة القدس عن الضفة الغربية، و إلحاق مواطنى القدس بالمحكمة الشرعية فى مدينة يافا المحتلة منذ عام ١٩٤٨م، و تطبيق القوانين الإسرائيلية الجزائية والمدنية و الضريبية على مواطنى القدس العربية و إخضاعهم للقضاء الإسرائيلى .

٣) تهويد مرافق الخدمات العامة بإلغاء الإدارات العربية و نقل قسم منها إلى خارج مدينة القدس، و ربط شبكتى المياه و الهواتف بالقدس العربية المحتلة منذ عام ١٩٤٨م، وإلحاق الدوائر العربية بالدوائر الإسرائيلية، و سن تشريع يفرض على أصحاب المهن العرب الالتحاق بالمؤسسات الإسرائيلية حتى يسمح لهم بمزاولة مهنهم .

٤) نقل عدد من الوزارات و الدوائر الرسمية الإسرائيلية إلى القدس العربية منها محكمة العدل العليا و وزارة العدل و مقر رئاسة الشرطة و مكتب الهستدروت و وزارة الإسكان و مكاتب المؤتمر الصهيونى و مقر رئاسة الوزراء .

٥) تهويد التعليم و الثقافة بإلغاء مناهج التعليم العربية فى المدارس الحكومية بمراحلها الثلاث و تطبيق منهاج التعليم الإسرائيلى، و الاستيلاء على متحف الآثار الفلسطينى، وحظر تداول مئات من الكتب الثقافية العربية و الإسلامية، و إطلاق الأسماء اليهودية على الشوارع و الساحات فى القدس العربية .

٦) تهويد الاقتصاد بعزل القدس جمركياً و اقتصادياً عن الضفة الغربية، و اخضاع المرافق الاقتصادية و التجارية العربية لأنظمة الضرائب الاسرائيلية، و لا سيما ضريبة القيمة المضافة، تمهيداً لتصفيتها، و الاستيلاء على شركة كهرباء القدس و تصفيتها باعتبارها المرفق الإقتصادى العربى الأكثر أهمية فى القدس .

تدمير المقدسات :

تمثل هذا النهج فى عدد من الإجراءات التى تمت ضد الأماكن المقدسة الإسلامية والمسيحية بهدف تدميرها و تشويه الطابع الحضارى لمدينة القدس و إزالة الأماكن المقدسة و القضاء على ما تمثله هذه الأماكن من ارتباطات إسلامية و مسيحية بالمدينة المقدسة . ويمكن إيراد بعض الأمثلة فى هذا المجال :

* الحفريات حول المسجد الأقصى المبارك و تحته للعثور على الهيكل الذى تدعى إسرائيل وجوده فى منطقة المسجد الأقصى . و قد ابتدأت الحفريات فى أواخر عام

١٩٦٧م و لا تزال مستمرة حتى الآن . و قد مرت هذه الحفريات بثمانى مراحل و أدت إلى هدم و تصديع الكثير من العقارات الإسلامية المجاورة للمسجد الأقصى .

* إحراق المسجد الأقصى الذى دبرته سلطات الاحتلال فى ١٩٦٩/٨/٢١م والمحاولات التى جرت لنسفه فى مطالع عام ١٩٨٠م على يد الحاخام مئير كاهانا.

* الاعتداءات على الأماكن المقدسة الإسلامية و المسيحية و محاولة إقامة الصلوات فى ساحة المسجد الأقصى، و سرقة بعض محتويات كنيسة القيامة، و استملاك الأراضى التابعة لبعض الأديرة المسيحية فى القدس، و الاعتداء على المقابر الإسلامية .

هدم المنازل و تهجير السكان :

بدأت السلطات الإسرائيلية الهدم و التهجير فور صدور قرار الضم فى حزيران ١٩٦٧م

فهدمت حى المغاربة و أجلت سكانه كلهم و أجلت قسماً كبيراً من سكان حى الشرف فى البلدة القديمة . و قد أسفرت هذه الإجراءات عن مصادرة ١١٦ دونما من أراضى الوقف الإسلامى فى البلدة القديمة عليها ٥٩٥ عقاراً وقفياً إسلامياً و مدرسة للبنات وزاوية أبى مدين الغوث و مسجدان، أى ما يزيد على ١٠٪ من مساحة البلدة القديمة . ونجم عن ذلك تهجير ٧,٤١٣ مواطناً عربياً من سكان البلدة القديمة، ثم شرعت السلطات الإسرائيلية فى عمليات مصادرة واسعة للأراضى خارج البلدة القديمة و فى نطاق حدود أمانة القدس ثم فى نطاق ما سمى القدس الكبرى .

الإجراءات الاستيطانية

الاستيطان فى البلدة القديمة :

أخذت السلطات الإسرائيلية فور الانتهاء من عمليات المصادرة و الهدم داخل البلدة القديمة تقيم أول حى سكنى يهودى فيها . و قد تم فيه حتى عام ١٩٨١م إقامة و ترميم ٤٦٨ وحدة سكنية يقدر عدد سكانها بحوالى ١,٨٠٠ نسمة، و بناء سوق تجارية و كنيسة للصلاة أقيمت كلها على أنقاض أربعة أحياء عربية هى حى الشرف و حى الباشورة و حى المغاربة و باب السلسلة .

وقد جاءت عمليات الاستيطان العاجلة داخل المدينة القديمة مصاحبة لإجراءات التهويد الأخرى و على رأسها توسيع ساحة حائط البراق على حساب العقارات الوقفية الإسلامية، و الشروع فى عمليات الحفر تحت الحائطين الغربى و الجنوبى للمسجد الأقصى، و ترحيل

الأسر العربية من المناطق المجاورة للحى اليهودى، و إصدار مختلف التعليمات و القوانين لتجريد العرب من أملاكهم، و وضع اليد على المزيد من الأراضى و العقارات فى البلدة القديمة و خارج الأسوار و فى نطاق حدود أمانة القدس لعام ١٩٦٧م .

الإستيطان فى حدود أمانة القدس لعام ١٩٦٧م :

أما المرحلة الثانية من مراحل استيطان المدينة المقدسة فقد بدأت خلال عام ١٩٦٨م بالشروع فى إقامة حزام من الأحياء السكنية اليهودية يحيط بالقدس من الناحيتين الشمالية و الجنوبية، و قد تم حتى الآن إقامة تسعة من هذه الأحياء أحاطت القدس العربية بجدران من القلاع الإسمنتية الصماء التى شوهت طابع المدينة الحضارى ومعالمها الجمالية، الأمر الذى حدا باليونسكو إلى تشكيل لجنة هندسية لدراسة هذه المسألة ومطالبة إسرائيل بالتوقف عن تشويه طابع المدينة الحضارى بهذه السلاسل من القلاع الأسمنتية .

و فيما يلى الأحياء السكنية التسعة التى تمت إقامتها حتى ١٩٨١م فى حدود أمانة القدس و على مشارف البلدة القديمة :

(١) حى رامات أشكول : بدئ بإقامته عام ١٩٦٨م على أراض صودرت من المواطنين العرب و تبلغ مساحتها ٦٠٠ دونم .و يقع فى منطقة الشيخ جراح شمالى غرب القدس ويضم ٢,٢٠٠ وحدة سكنية، و يقدر عدد سكان هذا الحى بحوالى ٧,٥٠٠ نسمة .

(٢) حى معلوت دفنا : و يعد امتداداً لحى رامات أشكول من الناحية الشمالية . و قد أقيم عام ١٩٦٨م على أرض فى الشيخ جراح تعود ملكيتها لعدد من الأسر العربية و وقف أمينة الخالدى و عارف العارف . و تقدر مساحة الأراضى بـ ٢٧٠ دونماً . و قد أقيم فى هذا الحى ٢,٤٠٠ وحدة سكنية . و يقدر عدد سكانه بحوالى ٤,٥٠٠ نسمة .

(٣) حى سانهدريا : و هذا الحى امتداد آخر لحى رامات أشكول . و قد بدئ بإنشائه عام ١٩٧٣م على أراض عربية مصادرة و أقيم فيه ١,٠٠٠ وحدة سكنية يقدر عدد سكانها بحوالى ٣,٢٠٠ نسمة .

(٤) حى جبعات همفتار : و هو أيضاً امتداد آخر لحى رامات أشكول من الناحية الشمالية الغربية، فقد أقيم فى منطقة موقع تل الذخيرة على أراض عربية مصادرة ومستكملة، و تم فيه إنشاء ٥٠٠ وحدة سكنية . و يقدر عدد سكانه بحوالى ١,٥٠٠ نسمة.

(٥) حى النبى يعقوب : و هو حى سكنى و نواة لمستعمرة، و قد بدئ بإقامته عام ١٩٧٣م على الطريق بين القدس و رام الله فى الأراضى التى تقع إلى الشمال الشرقى من حنينا . و قدرت مساحة الأراضى العربية التى صودرت لإقامته بحوالى ٣٠ ألف دونم. وقد

تم حتى إنشاء ٤,٠٠٠ وحدة سكنية، و العمل جار لإقامة ١,٠٠٠ وحدة سكنية أخرى يسكنها فى المستقبل ١٧ ألف نسمة . و يقدر عدد السكان اليهود فيه الآن بحوالى ١٢,٠٠٠ نسمة .

(٦) حى التلة الفرنسية، أو حى شابيرا : بدئه فى إنشائه هذا الحى عام ١٩٦٩م شرقى جبل المشرف (سوكبس) على طريق القدس - رام الله . و تبلغ مساحة الأراضى العربية التى صودرت لإقامته ١٥ ألف دونم تعود ملكيتها لمواطنين عرب و للدولة الأردنية و لدير اللاتين، و قد أنشئ فى هذا الحى ٥,٠٠٠ وحدة سكنية يزيد عدد سكانها على ١٢,٥٠٠ نسمة .

(٧) حى الجامعة العبرية : بدئ فى إقامته عام ١٩٦٩م على جبل المشرف (سوكبس) لتوسيع الجامعة العبرية القديمة و مشفاها، و قد أقيم فيه سكن للأساتذة و الطلاب ومكاتب جديدة و قاعة للمحاضرات و مشفى للجامعة . و تستوعب الأبنية الجديدة ٣١,٥٠٠ طالب و موظف جامعى . و يبلغ عدد الوحدات السكنية التى أقيمت فيه ١٠٩ وحدات . و قد أقيمت هذه الأبنية على أراض تقع ضمن المساحات العربية المصادرة على جبل المشرف (سوكبس) لإقامة حى شابيرا .

(٨) حى تل بيوت الشرقية : أقيم هذا الحى عام ١٩٧٢م على أراضى جبل المكبّر وصور باهر إلى الجنوب من مدينة القدس و تبلغ مساحات الأراضى العربية التى صودرت لإقامته ٢٠ ألف دونم تعود ملكية معظمها لأهالى صور باهر و جبل المكبر و القدس . و قد أقيم فيه حتى الآن ٢,٣٤٢ وحدة سكنية عدد سكانها ٧,٨٢٠ نسمة . و يبلغ مجموع الوحدات السكنية المقرر إنشاؤها خمسة آلاف وحدة تستوعب ١٥ ألف نسمة .

(٩) حى تل عناتوت : يقع شمالى شرق القدس على أراضى قريتى عنتا و شعفاط العربيتين . و قد أقيم عام ١٩٧٤م على أرض مصادرة مساحتها ٣,٦٥٠ دونما، و يبلغ عدد الوحدات السكنية فيه ٥٠٠ وحدة يقيم فيها ٢,٠٠٠ صهيونى .

مشروع القدس الكبرى :

لم تقف الأطماع الصهيونية فى مدينة القدس عند حدودها التى كانت قائمة فى حزيران ١٩٦٧م بل تعدتها إلى أن تضم المدينة، بعد إعلانها عاصمة موحدة لإسرائيل، ما يقارب ٣٠٪ من مساحة الضفة الغربية .

و كانت أول تفاصيل تنشر حول هذا الموضوع تلك التى نشرتها جريدة معاريف الإسرائيلية فى ١٩٦٩/٣/٢٦م تحت عنوان " القدس الكبرى عاصمة لإسرائيل " و جاء

فيها أن لجنة هندسية إسرائيلية بدأت منذ حزيران ١٩٦٧م تضع المخططات اللازمة لمشروع القدس الكبرى و انتهت من وضعها خلال عام ١٩٦٨م .

و فى آذار ١٩٧١م أعلن د. " ميرون بنفنستى " نائب رئيس بلدية القدس الإسرائيلى إنجاز مشروع مشابه عرف باسمه و فيه يقترح توسيع حدود بلدية القدس لتشمل المناطق الممتدة من مدينة رام الله شمالاً إلى بيت لحم جنوباً . و قد أطلق على هذا المشروع اسم "مشروع الأب "، و فى إطاره أقيمت حتى الآن ١٥ مستعمرة تشكل الحزام الإستيطانى الثانى حول مدينة القدس، و هو الحزام الذى يحيط بطوق الأحياء السكنية المجاورة التى أقيمت ضمن حدود أمانة القدس لعام ١٩٦٧م .

و فى ١٩٧٤/٢/٨م نشرت جريدة همشمار الإسرائيلية فى ملحقها تفاصيل مشروع آخر وضعه د. " رافل بنكلر " و قال إنه يشبه إلى حد كبير مشروع بنفنستى و لكنه يتجاوزه إلى طرح وجهات نظر سياسية و تصورات عامة لمستقبل المدينة السياسى . ويتضمن مشروع بنكلر النقاط التالية :

(١) إبقاء مدينة القدس موحدة تحت السيادة الإسرائيلية .

(٢) توسيع حدود المدينة و تقسيمها إلى ثمانية أحياء لكل حى منها مجلس بلدى فرعى و تخضع كلها لهيمنة المجلس البلدى المركزى الذى يضم ٥٥ عضواً بينهم ٣٨ عضواً من اليهود .

(٣) إعطاء الأحياء العربية نوعاً من الحكم الذاتى .

(٤) ضمان حرية العبادة و الوصول إلى الأماكن المقدسة لجميع الديانات .

(٥) تحديد نسبة السكان العرب بحيث لا تتجاوز ٢٥٪ من مجموع السكان ابتداء من عام ١٩٦٧م حتى عام ٢٠١٠م .

(٦) شمول التوسع فى المناطق العربية الممتدة شمالاً حتى مدينتى رام الله و البيرة، وشرقاً حتى أبو ديس و العيزرية، و غرباً حتى اللطرون، و جنوباً حتى بيت لحم .

و فى هذه الأثناء شكلت الحكومة الإسرائيلية لجنة لوضع مخطط لتوسيع القدس أطلق عليها اسم " لجنة جفنى " . و قد وضعت هذه اللجنة توصياتها التى نشرتها جريدة هارتس الإسرائيلية فى ١٩٧٥/١٠/١٤م و دعت فيها إلى إقامة ٢٨,٦٠٠ وحدة سكنية خلال السنوات الخمس ١٩٧٥ - ١٩٧٩م . و لكن اللجنة حصرت عمليات البناء فى إطار حدود أمانة القدس لعام ١٩٦٧م لإحكام طوق الاستيطان حول البلدة القديمة كخطوة أولى قبل التوسع الاستيطانى فى نطاق القدس الكبرى .

و فى ١٩٧٥/٩/٣٠م نشرت جريدة دافار الإسرائيلية خبراً نقلت فيه عن مسؤول

إسرائيلى كبير قوله إن الموافقة قد تمت على خريطة القدس الموسعة التى تمتد فيها حدود بلدية القدس ما بين الخان الأحمر شرقاً و اللطرون غرباً و دير دبوان و بيتين شمالاً وضواحى مدينة الخليل (مستعمرة كريات أربع) جنوباً . و يقضى هذا التوسيع بضم ٩ مدن و ٦٠ قرية عربية و ما يقارب ٣٠٪ من مجموع المساحة الكلية للضفة الغربية .

و كان هذا المشروع هو التوسيع النهائى لحدود مدينة القدس الكبرى . و هو بحد ذاته المشروع الذى تم تنفيذه على الطبيعة بإقامة ١٥ مستعمرة أخرى تشكل الحزام الثالث من الأحزمة الاستيطانية حول القدس . و يضم هذا الحزام المستعمرات التالية :

فى الشمال :

المستعمرات التى أقيمت حول مدينتى رام الله و البيرة، و تضم كوخاف هشاحر و عفرة و بيت أيل و كفار روش و نيفى تسوف و بيت أيل (ب) .

فى الجنوب :

المستعمرات التى أقيمت فى المنطقة الممتدة من شمال مدينة الخليل إلى مناطق بيت لحم و بيت ساحور، و تضم مستعمرات تكوارع و كفار عصيون و تكوارع (ب) و اليعازر (أ) و(ب) و افرات و مجدل عوز و روش تسوريم و آلون شيفون و متسبى جوبرين .

و لم يكن الهدف من إقامة هذه الأحزمة الاستيطانية الثلاثة حول مدينة القدس عزل المدينة نهائياً عن الضفة الغربية بسياجات من القلاع و المستوطنين فحسب بل كانت هناك أهداف أخرى منها :

– تجزئة الضفة الغربية و تقطيع أوصالها جغرافياً و ديمغرافياً، و القضاء على الوجود العربى الكثيف حولها (٢٥٠ ألف نسمة) و الذى يشكل رافداً يغذى الوجود العربى فيها باستمرار .

– إحداث خلخلة سكانية فى وسط الضفة الغربية تمهيداً لتمزيقها إلى منطقتين معزولتين تماماً و محاصرتين بالاستيطان اليهودى و هما منطقة الخليل جنوباً و منطقة نابلس شمالاً.

– ضم مساحات واسعة من أراضى الضفة الغربية تراوح ما بين ٤٠٠ و ٥٠٠ كم مربع بالإضافة إلى المساحات التى جرى إلحاقها بالقدس وفقاً للمخططات الهيكلية التى كان آخرها إضافة ٦٣ كم مربع على حساب الضفة الغربية لآخر مخطط هيكلى أقرته بلدية القدس فى تموز ١٩٨٠م .

– جعل مدينة القدس الكبرى العاصمة التى تتركز فيها كل عوامل جذب و استقطاب النشاطات الاستثمارية و السياحية و الصناعية و الزراعية لليهود من جميع أنحاء العالم .

فالمساحات الشاسعة من الأراضى التى تقع فى نطاق القدس الكبرى ستمكن المخططين اليهود من توفير المناخات اللازمة للاستثمار و التوطن اليهوديين فى هذه المنطقة .

و تنص الخطط الإسكانية التى رافقت مشروع القدس الكبرى على جعل سكانها فى عام ٢٠٠٠م قرابة المليون نسمة، ٧٥ منهم يهود، أى ألا يزيد عدد العرب المسموح لهم أن يعيشوا فى نطاق المشروع على ٢٥٠ ألف نسمة فى حين أن عددهم حالياً (فى هذا النطاق) يتجاوز ٣٥٠ ألف نسمة، و يعنى هذا أن خطة القدس الكبرى ترمى إلى تهجير حوالى ١٨٠ ألف عربى إذا وضع فى الحساب التكاثر المتوقع للعرب خلال هذه المدة .

إن خطة القدس الكبرى كما هو واضح لا تستهدف التهويد النهائى لمدينة القدس وتدمير طابعها الحضارى و تحويل العرب فى إطارها إلى أقلية هزيلة فحسب بل تستهدف الاستمرار فى احتلال الضفة الغربية نهائياً و خلق حقائق بشرية و جغرافية جديدة حول مدينة القدس و فى قلب الضفة الغربية .

و قد بلغ عدد المستعمرات التى أقيمت حتى الآن فى نطاق المرحلة الأولى من مراحل القدس الكبرى ١٥ مستعمرة، علماً بأن ما أقيم حتى العام ١٩٨١م فى نطاق المرحلة الثانية و الأخيرة من خطة القدس الكبرى هو ١٥ مستعمرة أيضاً عدا الأحياء السكنية العشرة التى أقيمت فى البلدة القديمة و فى حدود أمانة القدس لعام ١٩٦٧م، و بذلك يكون عدد الأحياء السكنية و المستعمرات الجديدة التى أقيمت فى إطار القدس الكبرى ٤٠ مستعمرة و حياً سكنياً.

أما المستعمرات الخمس عشرة التى أقيمت فى نطاق المرحلة الأولى من مراحل القدس الكبرى فهى عطروت و جيلو هار جيلو و روش و جبعون (ب) و نيفى حورون و معاليه أدوميم و معاليه أدوميم (ب) و معاليه أدوميم (ج) و راموت و بيت حورون و جبعا حداشا ومخميس و تلة زئيف و جلميش .

الزحف التدريجى بالمخططات الهيكلية

و مما يؤكد أن سلطات الاحتلال ماضية فى إخراج مشروع القدس الكبرى إلى حيز الوجود على الصعيد التنظيمى - فى حين تم تنفيذ المشروع على صعيد الاستيطان بصورة أولية - ذلك الزحف التدريجى لحدود بلدية القدس على حساب الأراضى العربية المجاورة .

ففى تموز ١٩٨٠م صادقت بلدية القدس المحتلة على المخطط الهيكلى الجديد لمدينة القدس كما أقرته اللجنة اللوائية للتنظيم و البناء فى بلدية القدس . و سيحل هذا المخطط

الهيكلى الجديد محل المخطط الهيكلى القديم لمدينة القدس لعام ١٩٥٥م .

كانت مساحة القدس بشطريها حسب مخطط عام ١٩٤٧م (٣٨ كم مربع) . إلا أن إسرائيل قامت بتوسيع هذا المخطط عام ١٩٥٥م بإضافة ٧ كم مربع جديدة إلى القسم المحتل منذ ١٩٤٨م فى حين ظلت مساحة القدس العربية ١٣ كم مربع . و هى المساحة التى كانت عليها حدود أمانة القدس العربية عام ١٩٦٧م .

أما المخطط الهيكلى الجديد الذى أقر عشية إعلان قانون ضم القدس (١٩٨٠/٧/٣٠م) فيقضى بإضافة ٥٠ كم مربعاً إلى المدينة من الأراضى العربية المحتلة بعد عام ١٩٦٧م . ويتضح من تفاصيل هذا المخطط أن المساحة الإجمالية لمدينة القدس ستكون ١٠٨ كم مربعاً يخصص منها ٤١ كم مربعاً للسكن و ٣٨ كم مربعاً للحدائق و الساحات العامة و١١ كم مربعاً للمناطق المفتوحة و ٦,٣ كم مربع للمؤسسات العامة و ٤,٦ كم مربع للتجارة و الصناعة .

و سيفتح هذا المخطط الطريق أمام مصادرة مساحات جديدة من الأراضى العربية شمال مدينة القدس لإقامة ١٢ ألف وحدة سكنية جديدة فيصبح عدد الوحدات السكنية فى حدود هذا المخطط الهيكلى حتى نهاية عام ٢٠٠٠م حوالى ١٨٠ ألف وحدة .

و بلغ مجموع ما صودر من الأراضى فى القدس و حولها ٣٣,٥٥٦ دونما أقيمت فيها حوالى ٢٢ ألف وحدة سكنية، و العمل جار لإقامة ٣٣ ألف وحدة سكنية أخرى !

كامب دافيد الثانية.. و مصير القدس

من نص محضر اجتماع الرئيس كلينتون مع الوفدين الفلسطينى والإسرائيلى فى كامب ديفيد الثانية "بعد التحسينات" فى ٢٠ ديسمبر ٢٠٠٠، يتضح أن كلينتون كتب بالإنجليزية ما كتبه إيهود باراك بالعبرية. ولا فرق بين الموقف الأمريكى والإسرائيلى!

كانت "قضية القدس" هى الأكثر حساسية ولم يقدم الرئيس كلينتون سوى إعادة صياغة ركيكة لفكرة ظالمة.. حيث أعاد فكرة "إيهود باراك" بالتفرقة بين السيادة على السماء والسيادة فوق الأرض!.. بالرغم من أن قرارات الأمم المتحدة بشأن القدس، ليس فيها أى غموض يبيح الاجتهاد.. فالقدس أرض عربية احتلتها العصابات الصهيونية بالحرب، والعالم كله لا يعترف بالقدس عاصمة لإسرائيل.. وأهم موقف فى المجتمع الدولى كان صوت الفاتيكان القوى، صوت لا يعترف بالقدس الشرقية ولا حتى القدس الغربية عاصمة لإسرائيل، بابا الفاتيكان يوحنا بولس الثانى الراحل أكد "أن القدس يجب أن تتمتع بوضع خاص وضمانات دولية، وأن الوضع الخاص والضمانات الدولية كما يراها

الكرسى البابوى هى وحدها القادرة على حماية الأجزاء الأكثر قدسية فى المدينة المقدسة وضمان حرية المعتقدات وممارسة الشعائر الدينية لجميع المؤمنين فى المنطقة والعالم أجمع الذين يتطلعون إلى القدس كملتقى للسلام والعيش المشترك".

ثم كان ما صرح به كلينتون فى حفل بالبيت الأبيض – عقب محادثات كامب دافيد الثانية – ونشرته جريدة "أوتاوا سيتزن" الكندية وتناقلته وكالات الأنباء.. قال: "لقد قلت لياسر عرفات: ثق بى أنا لست يهودياً واقترحت عليه أن يرفع المسجد الأقصى من مكانه ليتمكن اليهود من الوصول إلى بقايا هيكل سليمان الموجودة أسفله، ثم قلت له وسيصبح الموقع مقصد السياح الأكثر مردوداً فى التاريخ"! ... فى تحليل هذا التصرف نجد أنفسنا أمام رئيس أمريكى ليس يهودياً مقتنع بمزاعم الصهاينة عن وجود هيكل سليمان أسفل بناء المسجد الأقصى وبشعار الصهيونية الخطير "إعادة بناء الهيكل" الذى رفعته حين احتلت بريطانيا فلسطين ودخل "اللنبى" القدس، وهذا الرجل تجرأ أن يطرح على رئيس منظمة التحرير الفلسطينية نقل الحرم القدسى ثالث الحرمين الشريفين من مكانه بهدف تمكين الصهاينة من تثبيت مزاعمهم التى لم يقل بها أحد سواهم.. وهو يسوق فى محاولة الإقناع المردود الهائل الذى سيأتى من السياح، والمردود المقصود "مادى" يقاس بالدولار الذى هو المعيار الأساسى للنجاح فى الحياة الأمريكية!

لم يكن ياسر عرفات فى مزاج مناسب للتعرض لعملية لى ذراع رئاسى يقوم به بيل كلينتون الذى حاول أن يكسر الحاجز ويطرح على عرفات أفكاراً حول كيفية معالجة المسألة الشائكة «مصير القدس». كان عرفات يخط بقلمه فى دفتره فقام كلينتون وهو ينظر إليه من فوق نظارته بطرح مسألة "جبل الهيكل" الموقع الذى مساحته خمسة وثلاثين فداناً ويحتوى على مقدسات للمسلمين واليهود، واقترح كلينتون أن يعطى الفلسطينيين "رعاية" Curtody ما يسمونه الحرم الشريف What theycall the Haram el sharif بينما سوف تبقى السيادة فى أيدى الإسرائيليين While Soverienty woud ramain in the hands of the Israelis.

وضع عرفات قلمه ونظر إلى كلينتون محذراً بأن هذه المجادلات تفجيرية وسوف تشعل نيراناً هائلة فى المنطقة وتقذف بها فى عصر جديد من الصراع الدينى، وقد تجرأ باراك أمام ما طرحه كلينتون أن يقترح بدوره بناء كنيس يهودى صغير فى الزاوية الشمالية الشرقية من المكان القديم أى الحرم فهذا ثمن بسيط على الفلسطينيين أن يدفعوه!

فى تحليل تصرف كلينتون هذا نجد أنفسنا أمام رئيس أمريكى يتبنى الموقف الإسرائيلى بفرض السيادة الإسرائيلية على الحرم القدسى بالمسجد الأقصى وقبة

الصخرة المشرفة وآثار إسلامية أخرى بزعم أنه جبل الهيكل. وهو يعرض على الفلسطينيين أن يكون لهم تحت هذه السيادة الإسرائيلية أمر "حضانة" الحرم ورعايته وهو يدرك تماماً كما ندرك معنى "السيادة الإسرائيلية" وقد خبر شعبنا هذا الاحتلال الصهيوني العنصري منذ نكبة عام ١٩٤٨ مروراً بنكبة عام ١٩٦٧، وها هو الحصار الجاثم على مدننا وقرانا اليوم وها هي المعابر وما يجري فيها تقدم أمثلة أخرى على هذه السيادة، وعلى المفهوم الإسرائيلي للحكم الذاتي!

ما نستخلصه من هذا الأنموذج، هو أن الرئيس كلينتون ضرب عرض الحائط بقرارات الشرعية الدولية بشأن القدس وبقرار ٢٤٢ الذي يفرض الانسحاب الإسرائيلي من كل القدس الشرقية المحتلة عام ١٩٦٧، وأنه يسعى لفرض السيادة الإسرائيلية عليها وعلى جميع المقدسات المسيحية والإسلامية!

شارون.. راعياً للهيكل!

وإذا كان الإرهابي "شارون".. جنرال الحرب والمذابح، قد عبر خلال حملته الانتخابية لرئاسة الوزارة: عن عدوانيته البغيضة بإشعال أوار الحرب في المنطقة، وكسر إرادة الشعب الفلسطيني والتهديد بإعادة احتلال سيناء.. فإن جانباً من تطرفه بدا واضحاً في تلك التحركات الخفية التي تمت بالتنسيق مع كبار الحاخامات اليهود والتي استهدفت هدم المسجد الأقصى وإقامة "الهيكل المقدس الثالث لليهود" مكانه!

ثم كانت الانتفاضة الفلسطينية عندما دنس بأقدامه الحرم القدسي الشريف وسط حراسة ثلاثة آلاف من جيش الحرب الإسرائيلي!

في تلك الأيام، تمت لقاءات مهمة لشارون مع "شموئيل رينوفيتش" حاخام حائط المبكى ووفد من الحاخامات اليهود المتطرفين، حيث حصل هؤلاء الحاخامات على موافقة شارون الصريحة لتنفيذ عمليات إرهابية لهدم المسجد الأقصى وإقامة الهيكل الثالث المقدس، وكذلك تنفيذ عمليات كبرى ضد الفلسطينيين!

وفي ضوء ذلك عقد "المجلس الديني الإسرائيلي" وفي حضور ٢٠ حاخاماً يمثلون قيادة المجلس اجتماعاً اتخذوا خلاله قراراً مهماً يقضي بإعادة بناء الهيكل المقدس الثالث في غضون سنة واحدة من تاريخ اتخاذ هذا القرار في ٩ من فبراير ٢٠٠١، وعلى الفور استدعى الحاخام "شموئيل" نحو أربعمائة شاب يهودي متطرف أوكلت إليهم مهمة تنفيذ سلسلة من العمليات الإرهابية ضد الفلسطينيين، خاصة في منطقة الحرم القدسي الشريف.

ويستمد الحاخامات اليهود قوتهم من شارون، الذي وعدهم بأن تشهد فترة حكمه إعادة بناء الهيكل المقدس الثالث حتى يتذكره الشعب اليهودي، دوماً بهذا الإنجاز العظيم.

ولهذا الغرض بدأت بعض المؤسسات الرسمية مثل وزارة الدفاع فى تدريب المتطرفين اليهود على القيام بعمليات إرهابية ضد الفلسطينيين، الأمر الذى يعنى أن هؤلاء المتطرفين سيلقون دعماً حكومياً هائلاً!!

ويذكر فى هذا الصدد أن مجلس الحاخامات اليهودى، والذى يترأسه الحاخام الأكبر "دورون" قد نجح - فى اللحظات الأولى التى أعقبت فوز شارون - فى الحصول على توقيعه على أخطر وثيقة سياسية للحاخامات والتى تؤكد على:

- السيادة اليهودية المطلقة على ساحة الحرم القدسى، وأنه ليس للفلسطينيين أو غيرهم من أية أطراف الاحتجاج بأية ذرائع تاريخية أو دينية أو سياسية.

- أن هذه السيادة المطلقة ليست من الاعتبارات الأمنية الإسرائيلية العليا فقط ولكن من صميم كيان الدولة الإسرائيلية، وأن التخلى عن ساحة الحرم القدسى يماثل تماماً ويفوق فى الأهمية التخلى عن أراضى دولة إسرائيل المستقرة غير المتنازع عليها، ويلاحظ إضافة هذه العبارة تستهدف التأكيد على أن ساحة الحرم القدسى مثلها مثل الأراضى الواقعة فى تل أبيب، وليست أراضى الضفة أو قطاع غزة المتنازع عليها مع الفلسطينيين، وذلك للتأكيد على الأهمية القصوى لساحة الحرم القدسى.

- إهدار دم أى إسرائيلى، مهما كانت درجته أو مواصفاته يعمل على نقل السيادة على الحرم القدسى إلى الفلسطينيين، لأن ذلك لا يمثل خيانة لدولة إسرائيل فحسب، بل خيانة لله ولكفاح الشعب اليهودى، ولأرواح الأجداد والآباء التى ترفرف دوماً على جبل الهيكل.

- اعتبار أية وثيقة، أو بيان، أو مقترحات، أو أفكار تم التشاور أو الاتفاق أو الاتصال بشأنها مع الفلسطينيين فى السنوات الماضية لاغية، ولا أساس لها فى المستقبل حول ما يسمى جبل الهيكل!!

- أن كل الأعمال التى من شأنها تقريب جبل الهيكل إلى اليهود هى أعمال مجيدة تستحق التقدير والثناء، لأن مرتكبيها سيمجدهم الرب فى السماء!

- أن الإرث اليهودى فى بيت المقدس يؤكد أن الهيكل هو من أقدس المقدسات للشعب اليهودى، وأن إبراهيم عليه السلام أرسل من الرب لتأكيد قدسية هذا المكان للشعب اليهودى، ذلك لأن النبى إبراهيم اختار هذا المكان ليتقرب إلى الله بابنه "يستحاق" وأن النبى داود أدرك ذلك بوحى من الله فقام بتأكيد هذا المكان للسيادة اليهودية، حتى أن النبى سليمان عندما سمع هذه التوصيات والترنيمات لداود حفظ هذا المكان بتشييد هذا المكان!

- أنه إذا كان هناك فتاوى دينية صدرت قبل ذلك حول عدم دخول اليهود ساحة الحرم

القدسى، فإن هذه الفتاوى صدرت لظروف معينة، ولأغراض كانت تستهدف إحداث قدر من الاستقرار والأمن، إلا أن هذه الفتاوى لم تشر فى أى وقت إلى أن ذلك ينتقص من الحق الدينى لإسرائيل على هذا المكان المقدس، وأنه لا يمكن الادعاء بذلك فى أية حقبة تاريخية مستقبلية، وأن هذا الحق الدينى لم يمنحه أحد من البشر لإسرائيل، وإنما منحه الله، وأن ما يمنحه الله لا يمكن أن يمنعه أحد من البشر، وأن الله منح ذلك شعب إسرائيل، وخصهم بهذه النعمة الإلهية من أجل الحفاظ عليها، وأن أى تهاون فيها يعنى ضياع حقوق اليهود التاريخية، كما أن هذه الفتاوى الدينية لا يمكن أن تنتقص من حق السيادة اليهودية المطلقة على هذه الأماكن اليهودية المنشأ والتطور والأصل!.. كما أنه لا يجوز أن تكون هناك أية قرارات سياسية، أو ذات أغراض يمكن أن تمنع حق اليهود فى ارتياد ساحة الحرم القدسى.

– ضرورة تقديم الدعم اللازم.. المالى والفنى والبشرى لدعم فكرة إقامة الهيكل المقدس الثالث.

وقائمة المخططين لهذا العمل تضم مجموعة الحاخامات والشخصيات اليهودية المتطرفة وأبرزهم:

- البروفيسور "هيكل فايس" المسئول عن الجوانب العملية فى تنفيذ المخطط.

- الحاخام فيحان أريديل، والحاخام إسرائيل موشيه المسئولان عن الجانب الدينى فى العمليات الإرهابية القادمة، والمسئولان عن مشاركة أكبر عدد ممكن من الشباب اليهودى فى هذه الحركات.

- الإرهابى هاتسيون مازولا قائد حركة مملكة إسرائيل الكبرى، والذى يستحوذ على خرائط مزعومة ينسبها إلى النبى سليمان، ووصل إلى أن اليهود هم أصحاب تلك الأرض، ودوره فى المخطط هو قيادة مجموعة من المستوطنين الذين سيفدون للقدس من الجانب الغربى.

- الحاخام شابيرا موردى، هو المنظر الفكرى، وصاحب الرأى النهائى فى اغتيال العناصر الفلسطينية المستهدفة.

- الحاخام داود كيتس، وهو المسئول عن تأمين المستوطنين من ناحية الجنوب.. وتضم قائمة المخططين كذلك بعض اليهوديات اللائى أطلقن على أنفسهن "نساء جبل الهيكل" حيث وهبن أنفسهن لجبل الهيكل حتى الموت، وسيدافعن عنه بدمائهن، وترأس هذه الحركة اليهودية "أبيفرر" وهى واحدة من المتطرفات اليهوديات، اللائى سيوكل إليهن القيام ببعض العمليات ضد الفلسطينيين، خاصة أنهن أعددن قوائم كاملة لعناصر فلسطينية مستهدفة

بالاغتيال عبر سلسلة من العمليات الإرهابية الكبرى.

وترى تلك العناصر ضرورة استغلال الوقت لسرعة هدم بيت المقدس وإقامة الهيكل المقدس الثالث، وأن ذلك قبيل نزول المسيح المنتظر، على أن يكون أرييل شارون هو راعى إقامة هذا الهيكل، وعلى أن يدعى اليهود فى جميع أنحاء العالم لإقامة كيانهم الدينى الذى يعبر عنهم!!

وتجدر الإشارة إلى أن "إيهود أولمرت" رئيس حكومة دولة الإرهاب الحالى، كان يشغل منصب "رئيس بلدية القدس" لسنوات طويلة.. سعى خلالها وبكل جهده لمحو الملامح العربية لمدينة القدس.. وتتعدد وتتطور أبعاد المؤامرة الصهيونية لتهويد المدينة وتحت مسميات: "مشروع القدس الكبرى".. و "المنطقة الخضراء".. و "توحيد المدينة المقدسة".. و "الجدار العازل".. و "غلاف القدس".. تكاد تضيع القدس العربية.. وللأسف الشديد لا نملك حتى الآن سوى الشجب والاستنكار، علماً بأن هناك لجنة على مستوى رفيع تسمى "لجنة القدس" منبثقة عن منظمة المؤتمر الإسلامى التى تمثل أكبر تجمع للدول الإسلامية، فماذا قدمت أو ستقدم هذه اللجنة لإنقاذ القدس الشريف؟!

إن القدس حق تاريخى وجغرافى للعرب وللمسلمين شاءت إسرائيل أم أبت، ولكن للأسف الشديد.. لا ندافع عن هذا الحق سوى بالأقلام والميكروفونات والمؤتمرات وهذا ما يسعد إسرائيل. فقد تركت لنا الصراخ والبكاء والعويل والفرقة والشتات – وراحت تفعل ما يحلو لها فى الأرض المقدسة، حتى باتت "قدس" ما قبل ٦٧ غير "قدس" عام ٢٠٠٠ وإذا استمر الحال كما هو عليه فالأجيال القادمة من أبنائنا ستخجل من الحديث عن تاريخ أجدادها وستصب على قبورهم اللعنات لما فعلوه فى موطن أولى القبلتين وثالث الحرمين!



المراجع والمصادر العربية

١- ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، دار الكتب العلمية- بيروت- ١٩٨٧ .

٢- ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة "تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" المطبعة الأميرية ببولاق- القاهرة - ١٩٣٤ .

٣- ابن الجوزى: فضائل القدس، تحقيق وتقديم: جبرائيل سليمان جبور، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت.

٤- ابن شداد: النوادر السلطانية والمحاسب اليوسفية- القاهرة - ١٩٦٤ .

٥- ابن عساكر: تاريخ دمشق الكبير، تهذيب وترتيب: عبدالقادر بدران، دار المسيرة- بيروت- ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

٦- ابن فضل الله العمرى: مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار، تحقيق وتقديم(أيمن فؤاد سيد) المعهد العلمى الفرنسى- القاهرة - ١٩٨٥ .

٧- ابن كثير الدمشقى: البداية والنهاية فى التاريخ، دار الكتب - القاهرة- ١٣٥٨هـ

٨- ابن واصل: مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب، تحقيق (جمال الدين الشيال) القاهرة- ١٩٥٧م - ١٩٦١م.

٩- أبو شامة: أزهار الروضتين فى أخبار الدولتين،(تحقيق محمد حلمى أحمد) - القاهرة.1962 - 1956 ,

١٠- البلاذرى: فتوح البلدان- القاهرة ١٩٥٩ .

١١- دانيال الراهب (الحاج الروسى): وصف الأرض المقدسة فى فلسطين، ترجمة: سعيد البيشاوى، داود أبو هدبة، دار الشروق- عمان -الأردن ٢٠٠٣ .

١٢- رشاد الإمام : مدينة القدس فى العصر الوسيط - تونس - ١٩٧٦

١٣- الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ليدن، ١٨٨١ - ١٨٨٣ .

١٤- العماد الكاتب : الفتح القسى من الفتح القدسى- القاهرة - ١٩٦٥م

١٥- مجير الدين الحنبلى: الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل- القاهرة - ١٩٦٨ .

١٦- المقدسى البشارى: أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم- ليدن- ١٩٠٩ .

١٧- المقريزى: السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: (محمد مصطفى زيادة، سعيد عبدالفتاح

عاشور) دار الكتب، القاهرة ١٩٣٤ - ١٩٧٤ .
١٨- ناصر خسرو: سفر نامه، ترجمة: يحيى الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة-١٩٩٣ .
١٩- أبو صالح الألفى: الفن الإسلامى - أصوله، فلسفته، مدارسه - القاهرة- ١٩٦٩ .
٢٠- أحمد سوسة: العرب واليهود فى التاريخ- دمشق- ١٩٧٥ .
٢١- حسين نصار: أدب الرحلة، الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان، ١٩٩١ .
٢٢- روحى الخطيب: الحفريات الإسرائيلية حول المسجد الأقصى المبارك ومسجد الصخرة المشرفة- عمان- الأردن ١٩٨١ .
٢٣- سعيد عاشور: مصر والشام فى عصر الأيوبيين والمماليك- بيروت- ١٩٧٢ .
٢٤- شفيق رشيدان: فلسطين - تاريخاً وعبرة ومصيراً، بيروت ١٩٦١ .
٢٥- عارف العارف : تاريخ القدس - القاهرة - ١٩٥١ .
٢٦- عارف العارف: المفصل فى تاريخ القدس،-القدس- ١٩٦٦ .
٢٧- عبد الأمير دكسن: الخلافة الأموية- بغداد- ١٩٧٣ .
٢٨- عواد مجيد الأعظمى: معالم التراث العربى والإسلامى- بغداد- ١٩٧٥ .
٢٩- فؤاد حسنين على: فلسطين العربية، معهد البحوث والدراسات العربية- القاهرة- ١٩٧٣ .
٣٠- قسطنطين خمار: موسوعة فلسطين الجغرافية- بيروت- ١٩٦٩ .
٣١- محمد كرد على: خطط الشام- بيروت- ١٩٧١ .
٣٢- محمود العابدى: الآثار الإسلامية فى فلسطين والأردن- عمان - ١٩٧٣ .
٣٣- مصطفى مراد الدباغ: الموجز فى تاريخ الدول العربية وعهودها فى بلادنا فلسطين- بيروت- ١٩٨٠ .
٣٤- الموسوعة الفلسطينية: مركز الأبحاث والدراسات الفلسطينية د . ت .
٣٥- نعمة اسماعيل: فنون الشرق الأوسط فى العصور الإسلامية- القاهرة- ١٩٧٤
٣٦- وزارة الخارجية الأردنية: القدس عربياً وإسلامياً - عمان- ١٩٨٠ .

Bibliography

1- Albright, W.F.: The Archaeology of Palestine, Pelican, 1960.

2- Asali, K.J., ed. Jerusalem in History (Brooklyn: Interlink Publishing Group, Olive Branch Press, 1990).

3- Briand, J.: Guide de Terre Sainte, Jerusalem, 1979.

4- Briggs, M.S.: Muhammadan Architecture in Egypt and Palestine, Oxford, 1924.

5- Burgoyne, Michael Hamilton. Mamluk Jerusalem: An Architectural Study (Essey: World of Islam Festival Trust, 1987).

6- Creswell, K.A.C. Early Muslim Architecture, 2 vols. (London: Oxford University Press, 1932, 1940; rev. ed. Vol. 1 in 2 vols., 1969).

7- Elad, Amikam, Medieval Jerusalem and Islamic Worship (Leiden: E.J. Brill Publishers, 1995).

8- Encyclopedia of Islam. 2nd ed. (Leiden: E.J. Brill Publishers, 1954-1960).

9- Grabar, Oleg. The Formation of Islamic Art (New Haven: Yale University Press, 1974; rev. ed. 1987).

10- Grubbe, E. and others: Architecture of the Islamic World.

11- Hoade, E.: Guide to the Holly Land, Jerusalem, 1979.

12- Hodgson, Marshall G.S. The Venture of Islam. Vol. 1, The Classical Age of Islam (University of Chieago Press, 1975).

13- Kenyon, Kathleen M. Digging up Jerusalem (London: Ernest Benn, Ltd., 1974).

14- Le Strange, Guy, trans. Palestine Under the Moslems: A Description of Syria and the Holy Land from A.D. 650 to 1500, Works of the Mediaeval Geographers (Boston: Houghton, Mifflin and Company,

1890; Reprint. Beirut: Khayats Oriental Reprints, no. 14, 1965.

15- Maycrson, Ph.: The first muslims Attack on South Palestine, A.D. 633-634, New York, 1964.

16- Meinardus, O.: The Copts in Jerusalem, Cairo, 1950.

17- Raby, Julian, and Jeremy Johns, eds. Bayt al-Maqdis, Abd al-Malik's Jerusalem I (New York: Oxford University Press, 1993).

18- Rosen-Ayalon, Myriam. The Early Islamic Monuments of al-Haram al-Sharif. Monographs of the Institute of Archeology, The Hebrew University of Jerusalem, vol. 28 (Jerusalem, 1989).

19- Runciman, S.: A History of the Croisades, Cambridge, 1957.

20- Setton, K.: A History of the Croisades, Philadelphia, 1958.

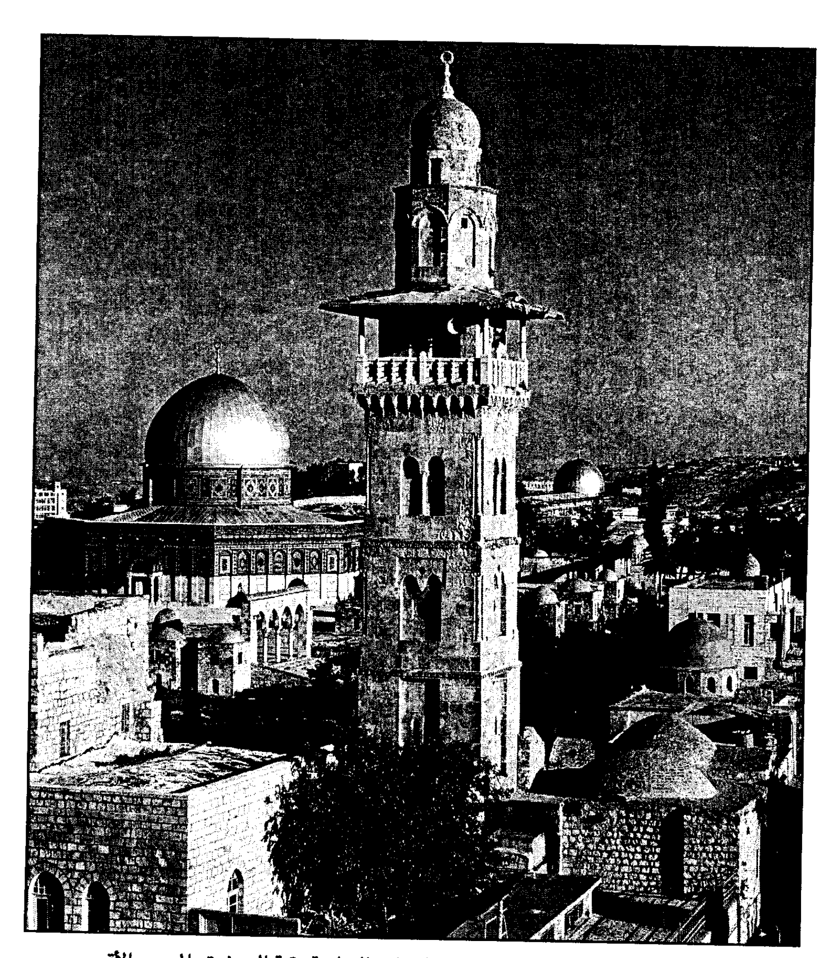
21- Stevenson, W.D.: The Crusaders in the East, Beirut, 1968.

22- Van Berchem, Marguerite Gautier, and Solange Ory. Muslim Jerusalem in the Work of Max van Berchem (Geneva: Fondation Max van Berchem, 1982).

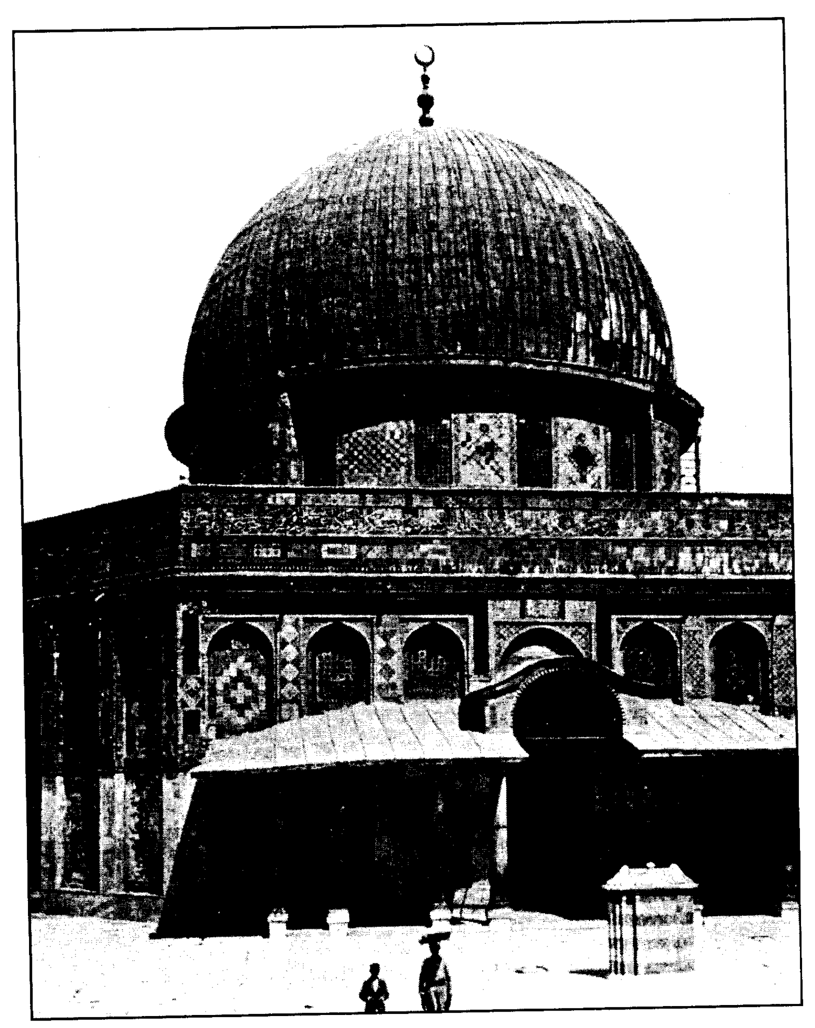
23- Wilkinson, John, Jerusalem Pilgrims Before the Crusades (Warminster, 1977).

ملحق الصور

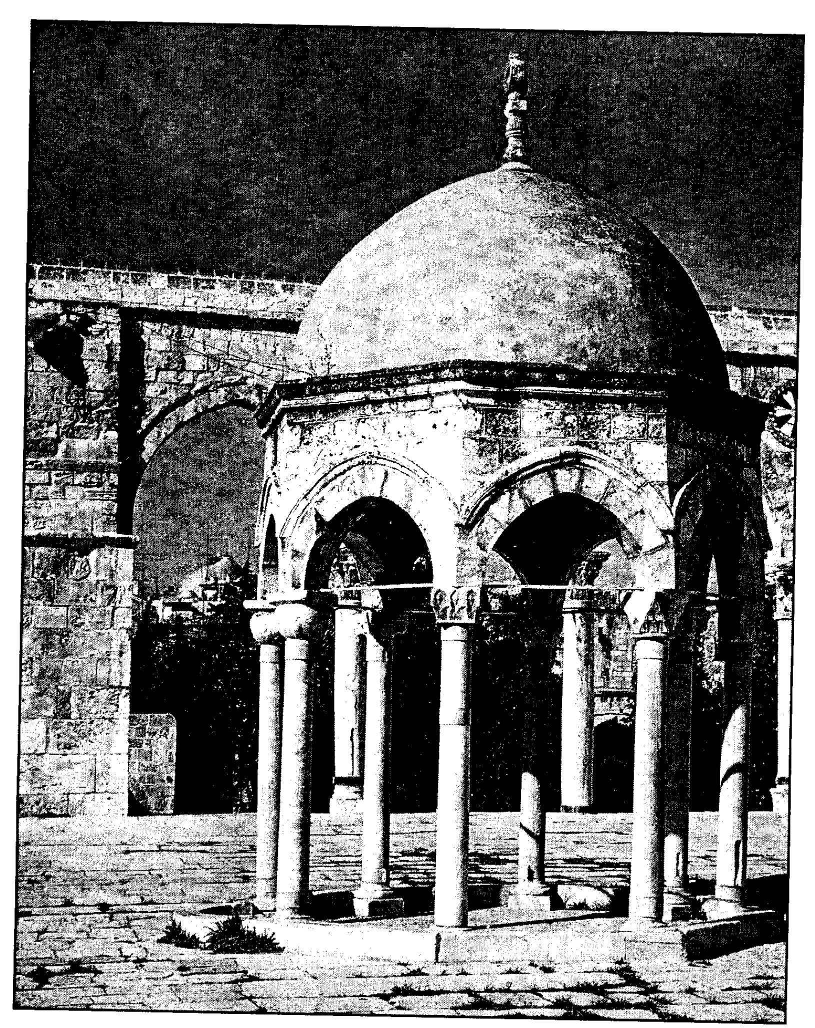




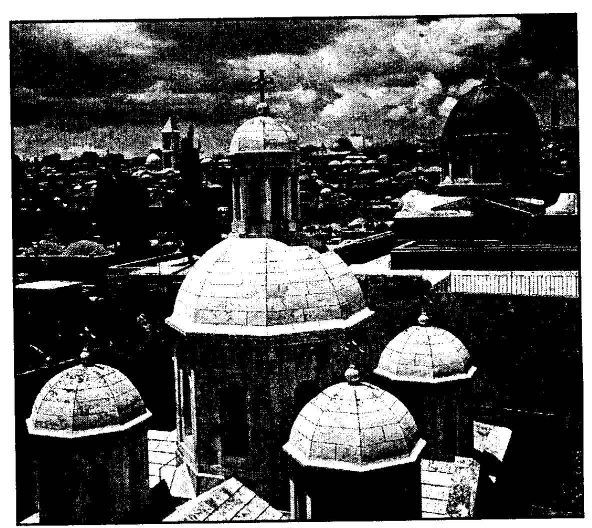
منظر عام لمجموعة الحرم الشريف يصتدرها منارة الغوانمة وقبة الصخرة والمسجد الأقصى



مسجد قبة الصخرة



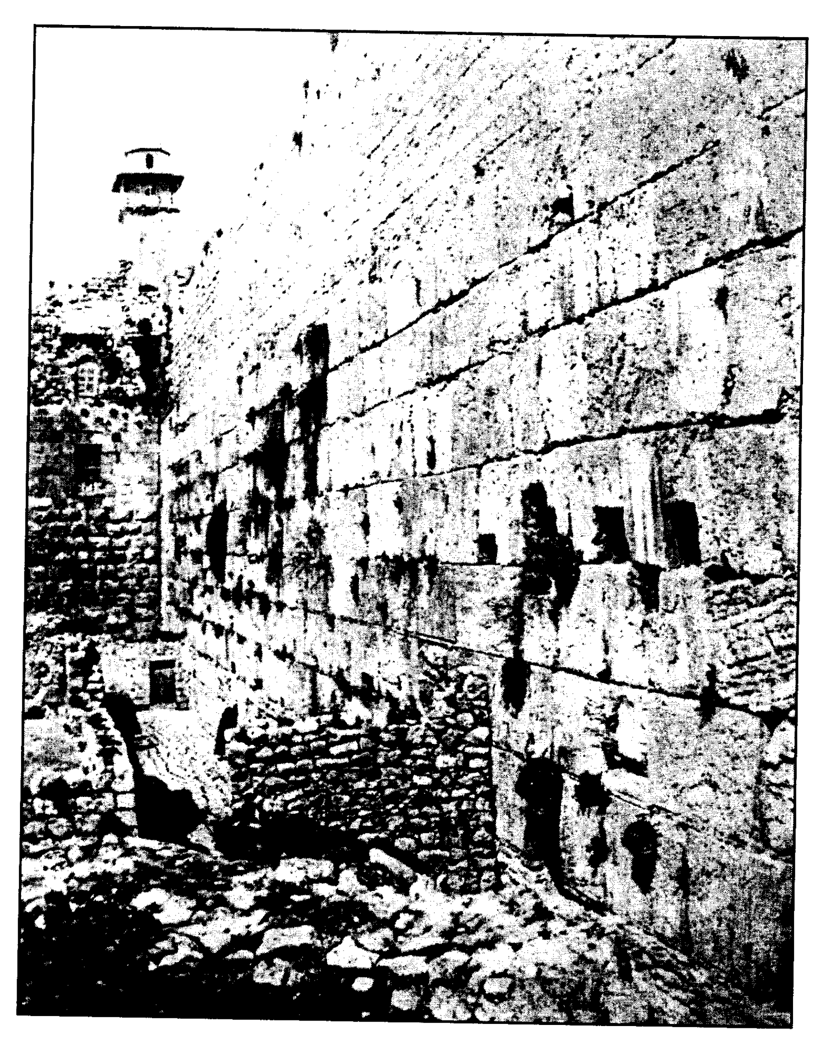
قبة المعراج داخل الحرم القدسى الشريف



قباب دير الفرنسيسكان، على الطراز البيزنطى، ثم قبة كنيسة «هوذا الرجل»
وفى الخلفية دير راهبات أخوان صهيون الكاثوليك.



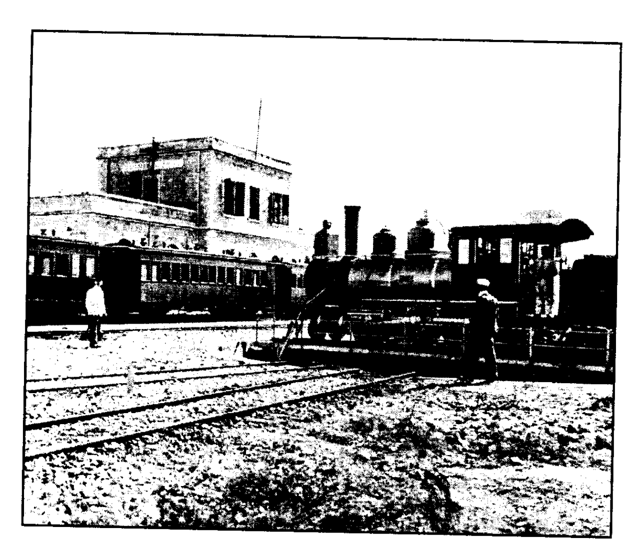
الكنيسة الأنجليكية، شيدت عام ١٨٤٩



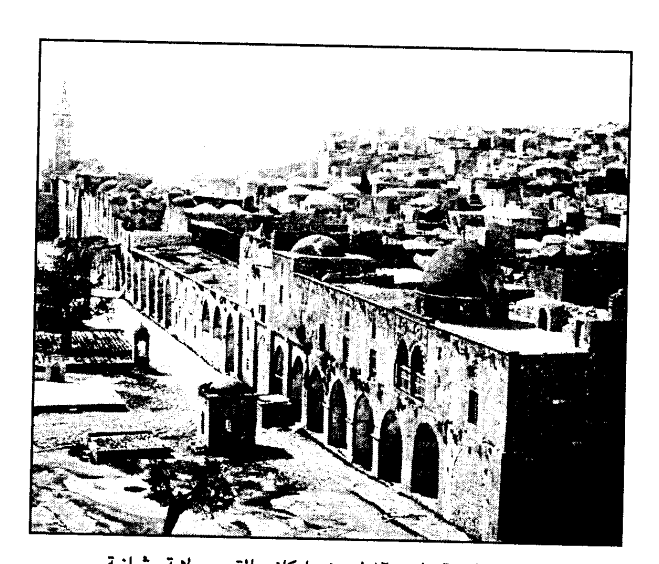
حائط البراق (يعرف عند اليهود بحائط المبكى) عام ١٨٧٦



باب الخليل عام ١٨٨٠



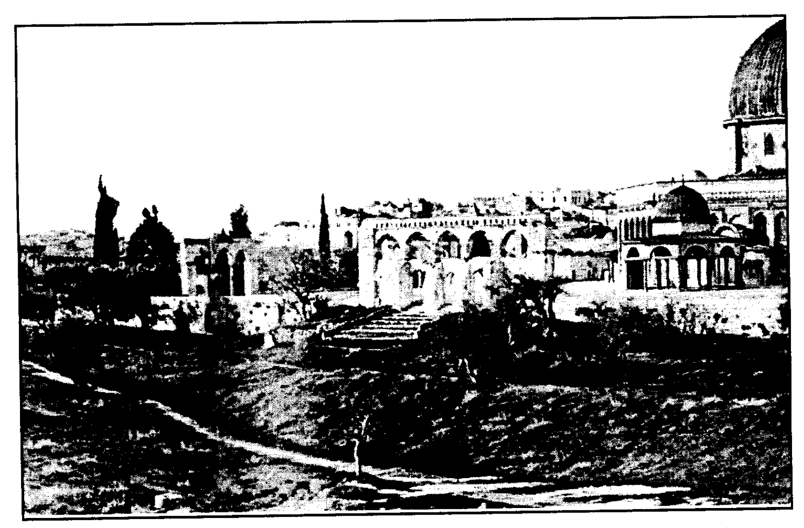
محطة السكك الحديدية بالقدس عام ١٨٩٨



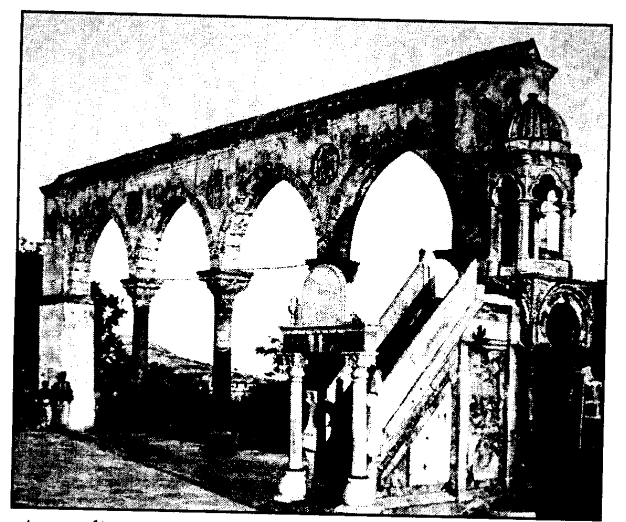
دار الحكومة عام ١٨٦٠، عندما كانت القدس ولاية عثمانية



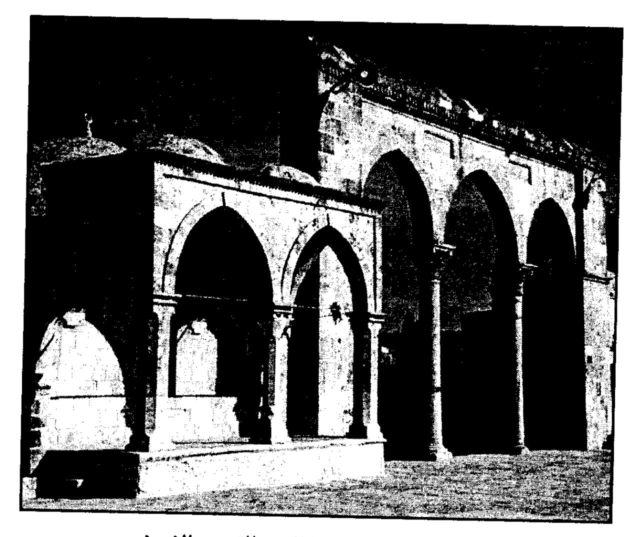
مشهد داخل مسجد قبة الصخرة عام ١٨٧٠



أقدم صورة للمسجد الأقصى وجانب من قبة الصخرة وساحة الحرم القدسي عام ١٨٧٥



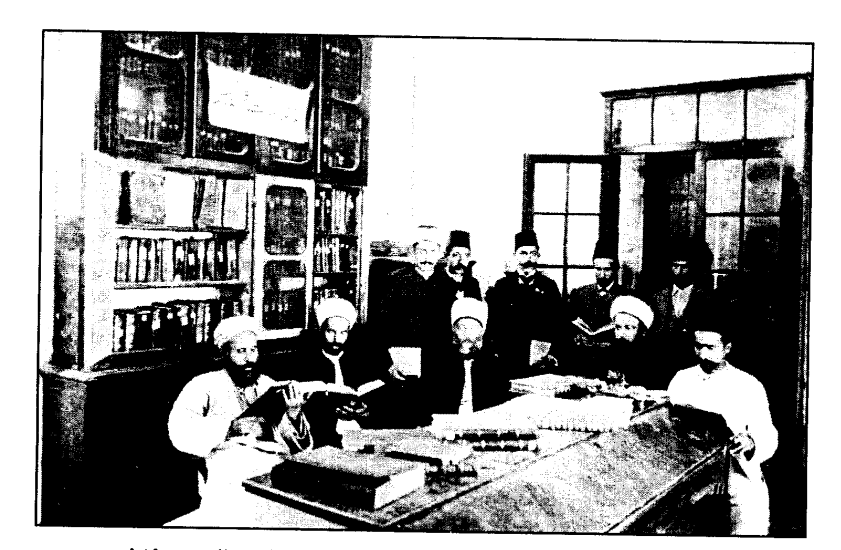
منبر القاضى برهان الدين (ت٧٩٠هـ/١٣٨٨م) شيد من الرخام الأبيض تجاه البوابة الجنوبية لقبة الصخرة، ويصلى فى هذا المكان صلاة العيدين والاستسقاء، عام ١٨٨١



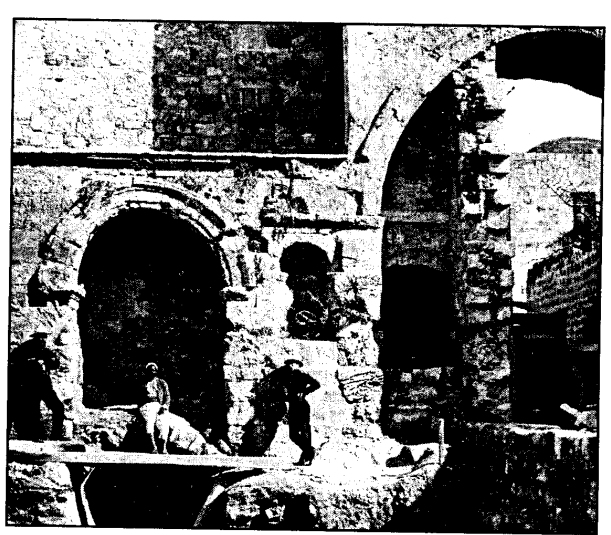
الواجهة الجنوبية لساحة الحرم القدسى الشريف



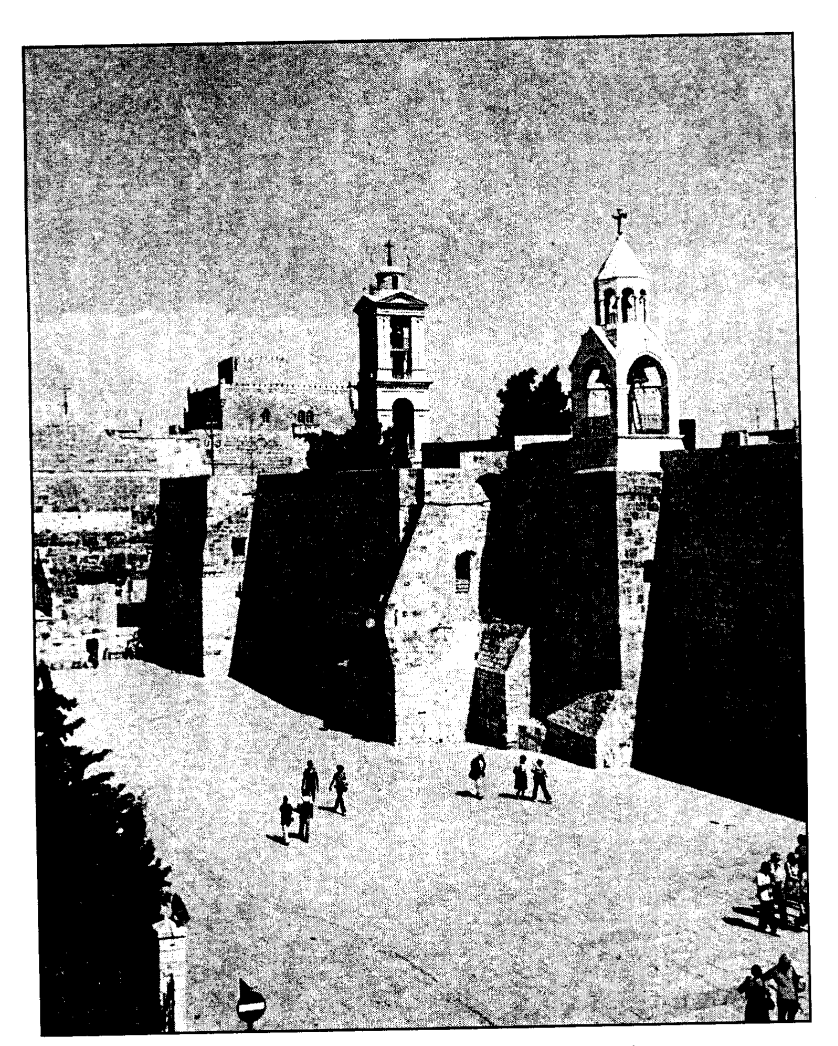
الدرج المؤدى إلى القبر المقدس عام ١٨٨١



علماء القدس داخل المكتبة الخالدية، التى أطلق عليها «دار الكتب» القدس ١٨٩٠



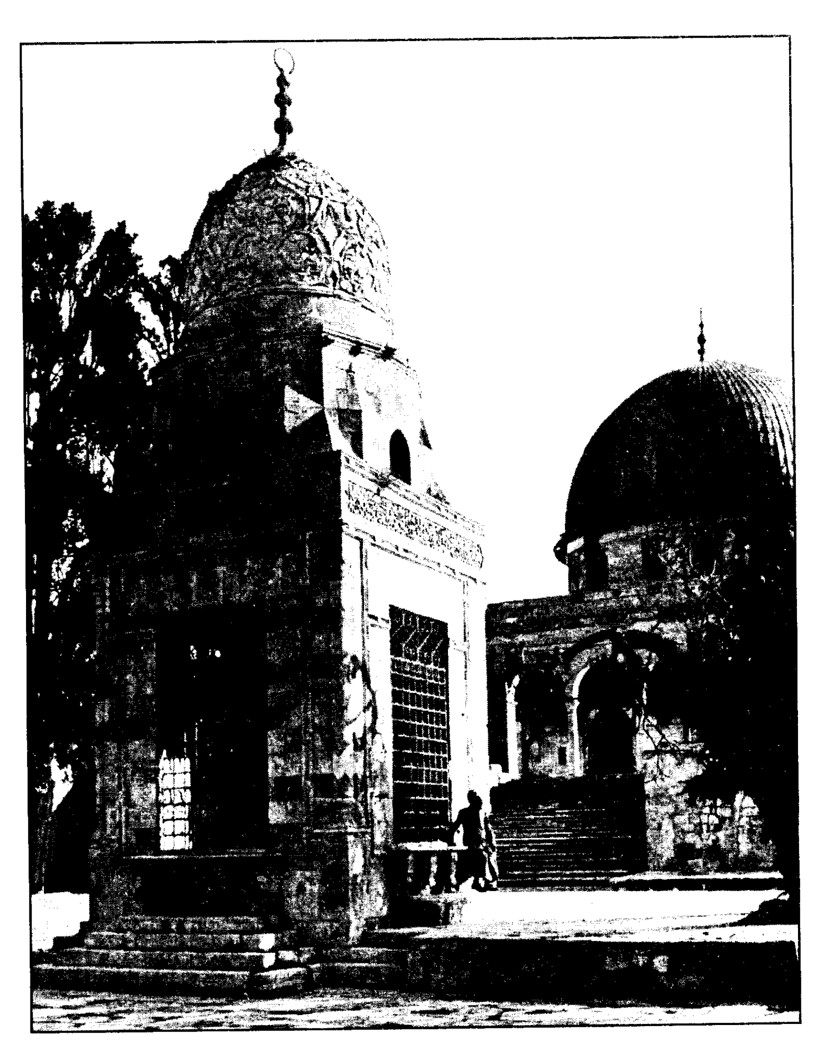
أقدم صورة عام ١٨٦٤ لقوس «هوذا الرجل» ويرجع للقرن ١٢م، وقد أقيم تخليدا لذكرى وضع إكليل الشوك على رأس السيد المسيح، ويمثل المرحة الثانية من طريق الآلام المقدس



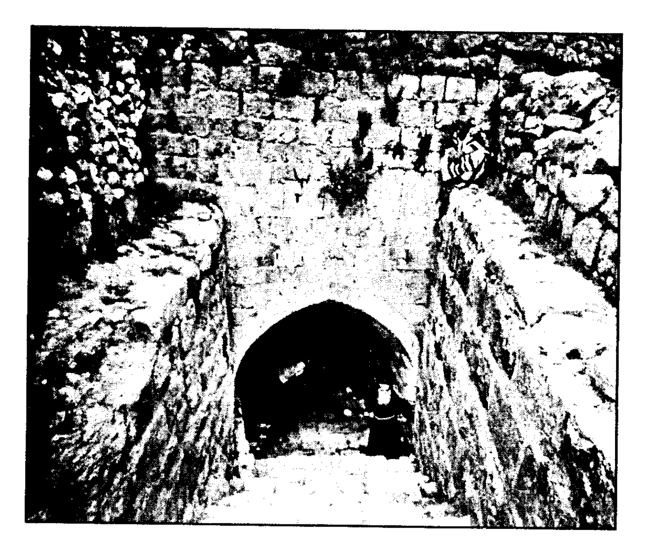
كنيسة المهد بيت لحم، من أهم المزارات السياحية المقدسة



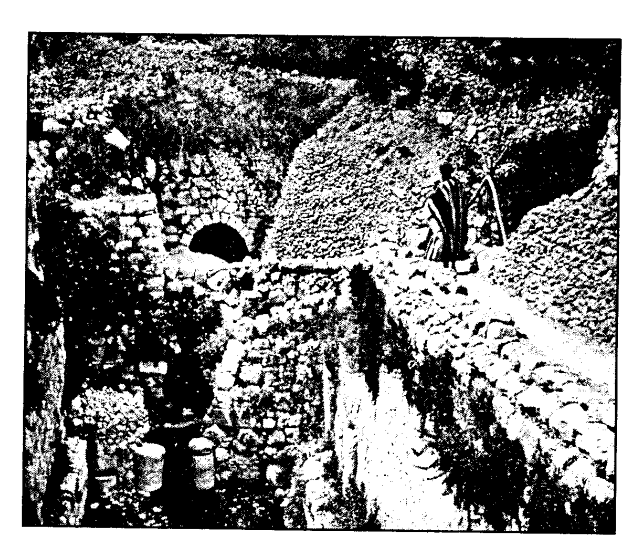
بائعة فاكهة مقدسية عام ١٩٠٠



سبيل السلطان الأشرف قايتباى وقبة المسجد الأقصى عام ١٩٠٠



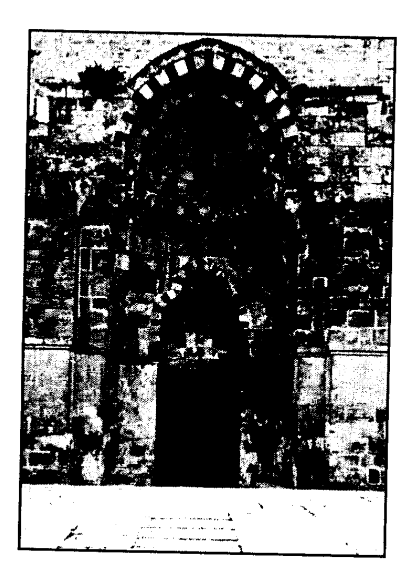
المدخل إلى نبع العذراء عام ١٩٠٠

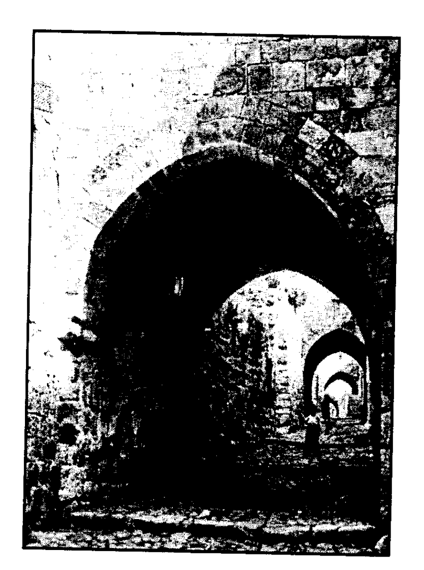


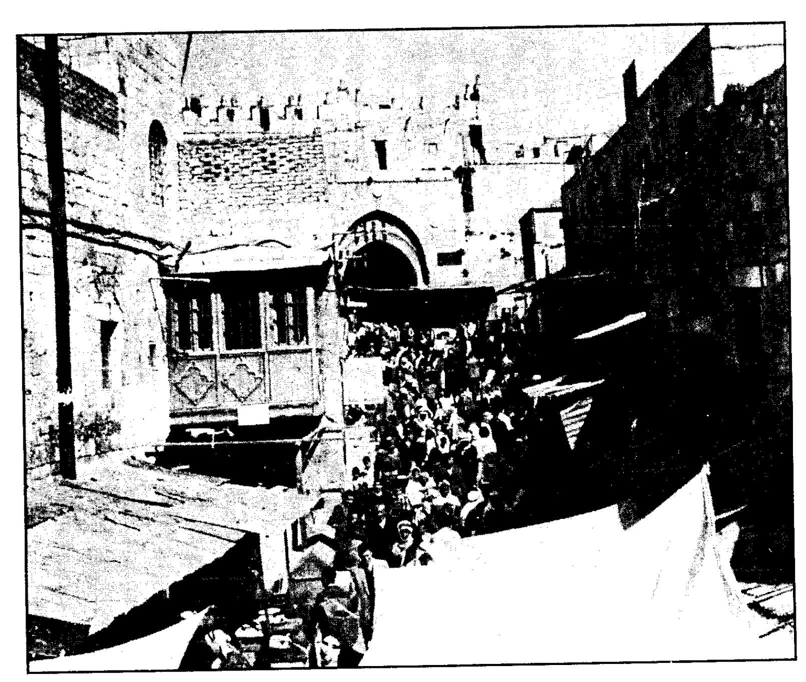
عين سلوان عام ١٩٠٠



بالقرب من باب الخليل «باب يافا» عام ١٩٠٠

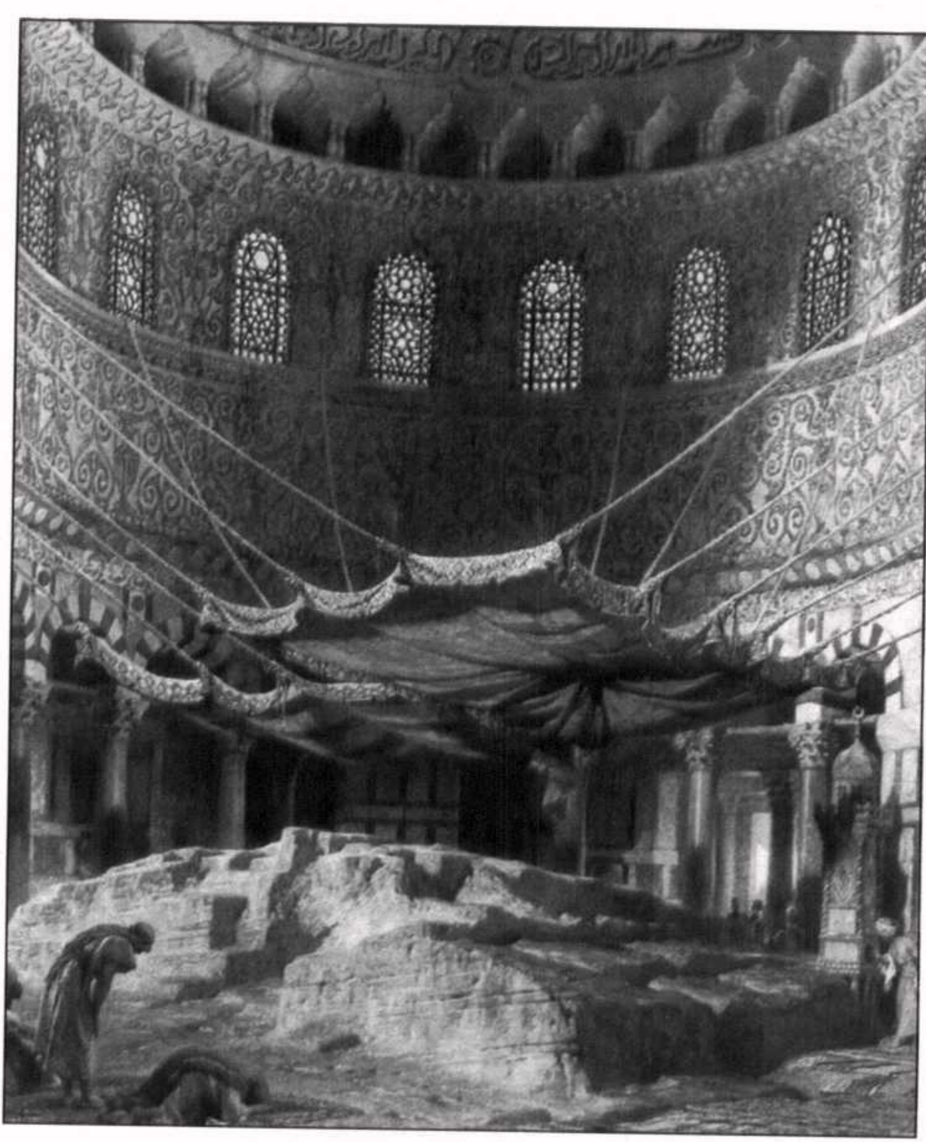

باب القطانين عام ١٩٠٠


شوارع القدس العتيقة عام ١٩٠٠

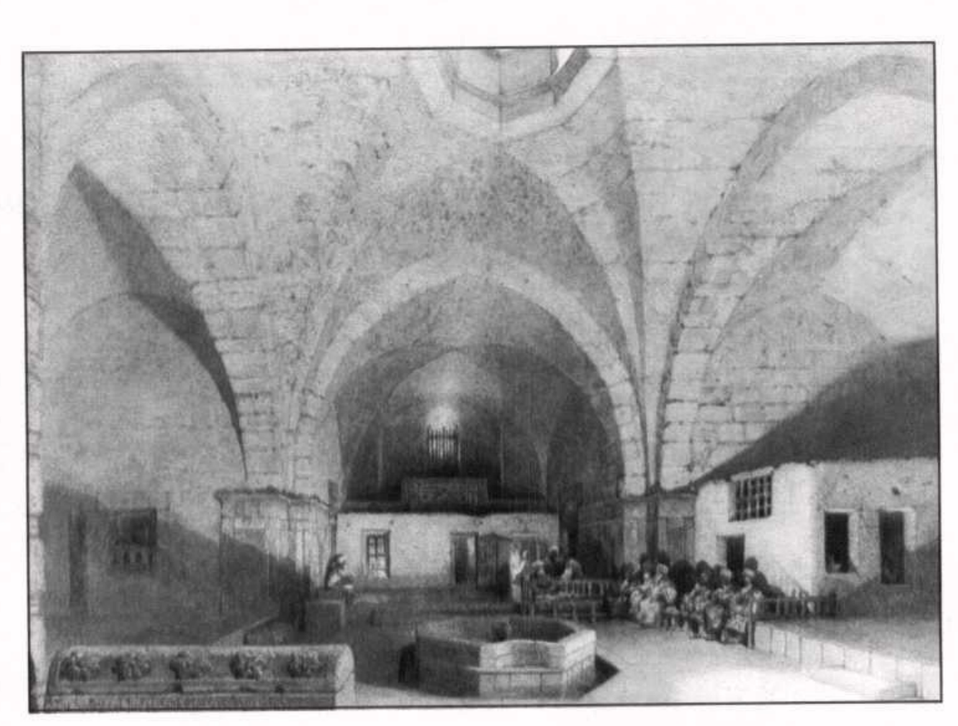


الشارع المؤدي إلى باب العمود عام ١٩٣٦

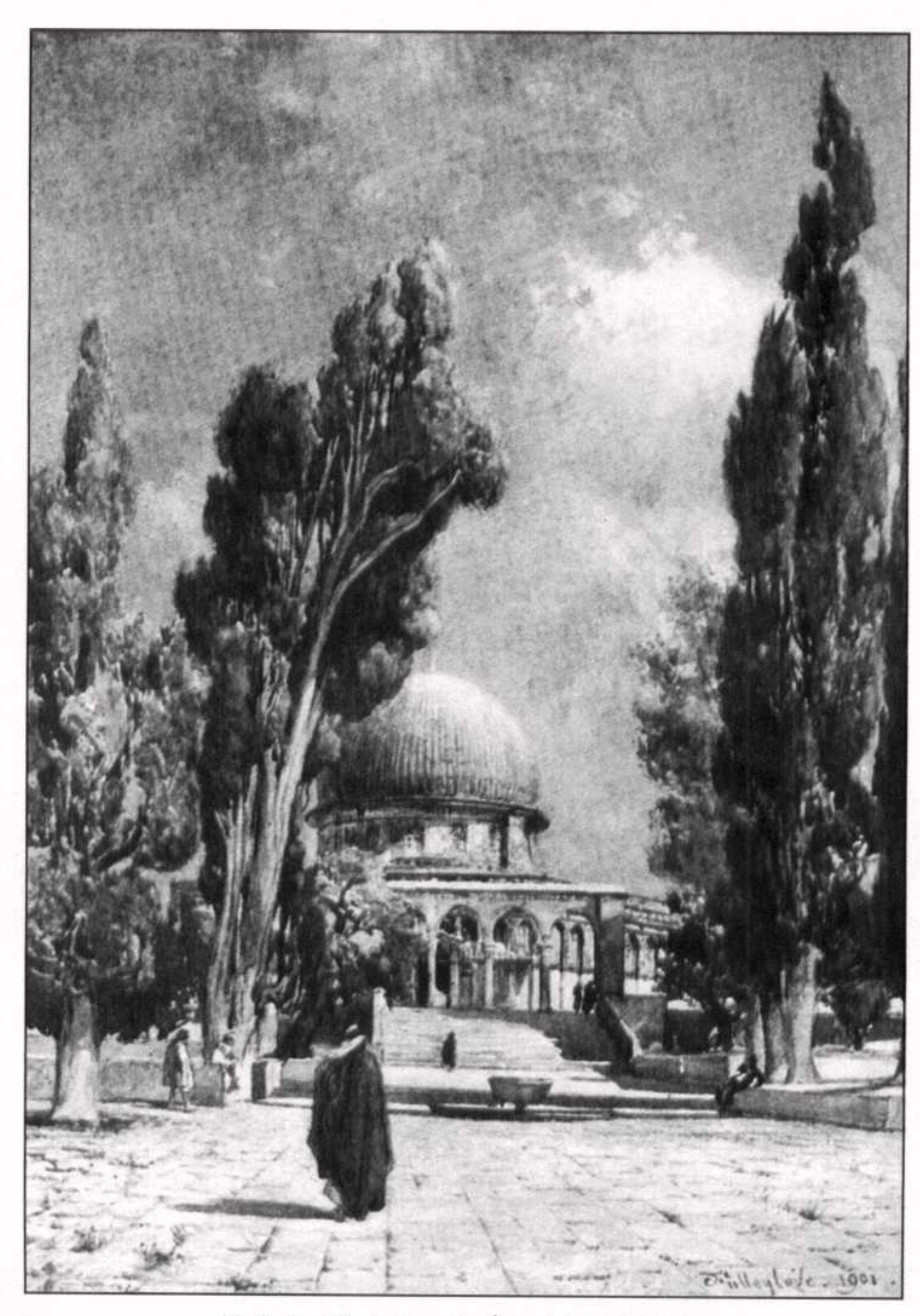
الصور الملونة



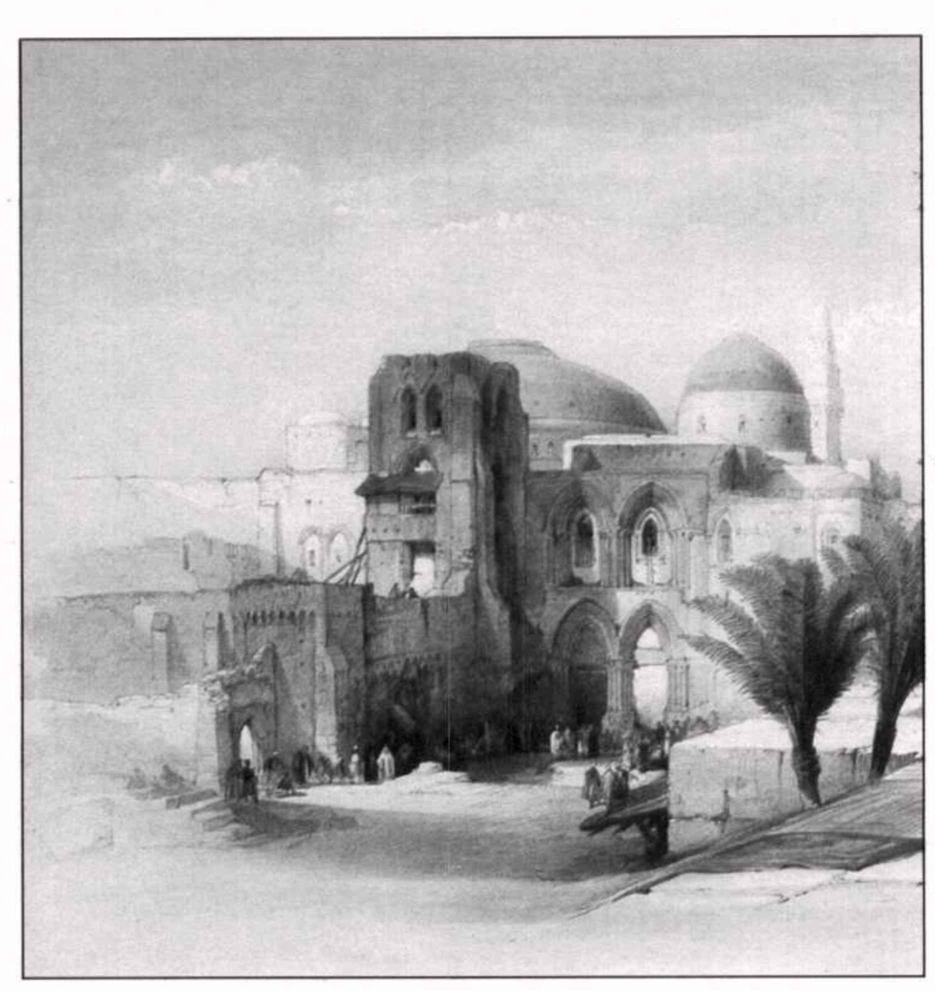
الصخرة المقدسة، منظر تحت قبة مسجد الصخرة، من أعمال كارل هاج عام ١٨٦٧



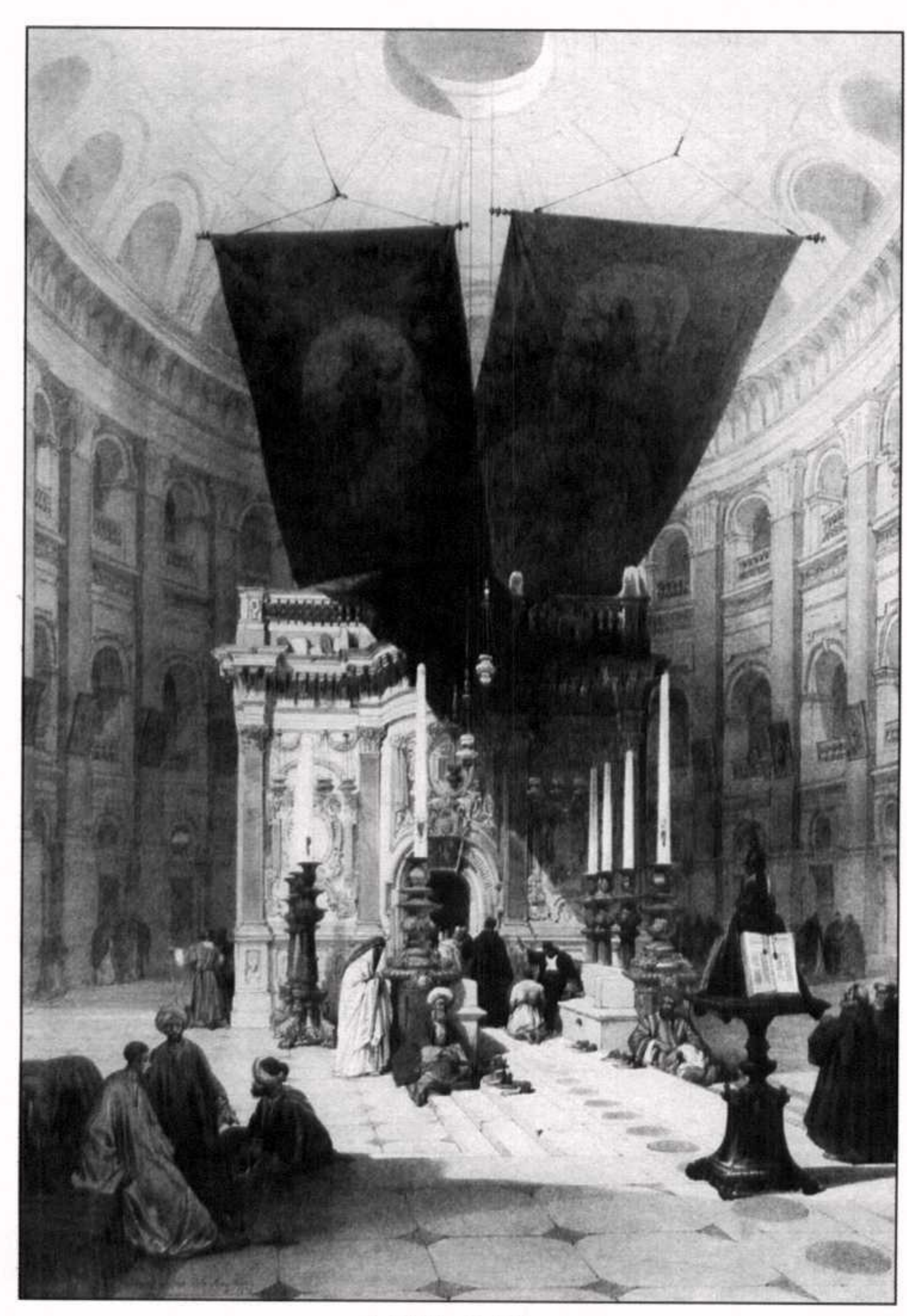
داخل المحكمة الشرعية بالقدس، من أعمال كارل هاج عام ١٨٥٩



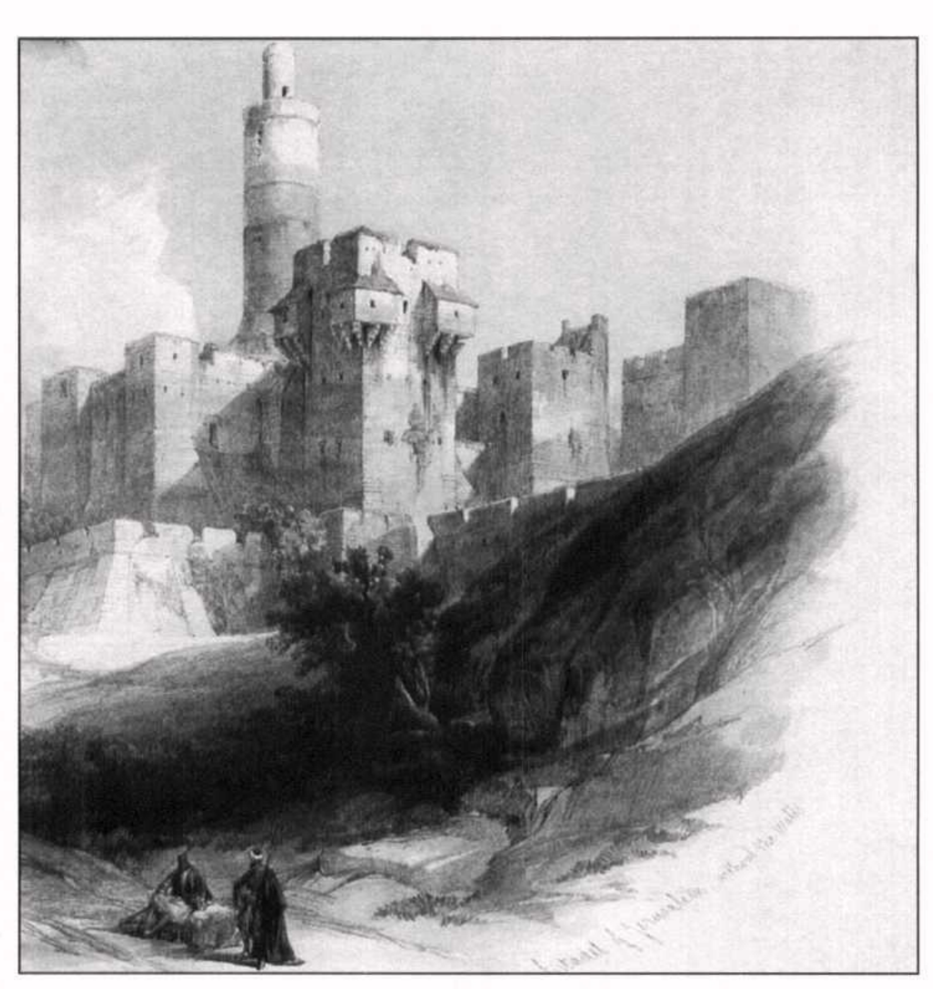
ساحة قبة الصخرة، من أعمال جون فولي لاف عام ١٩٠١



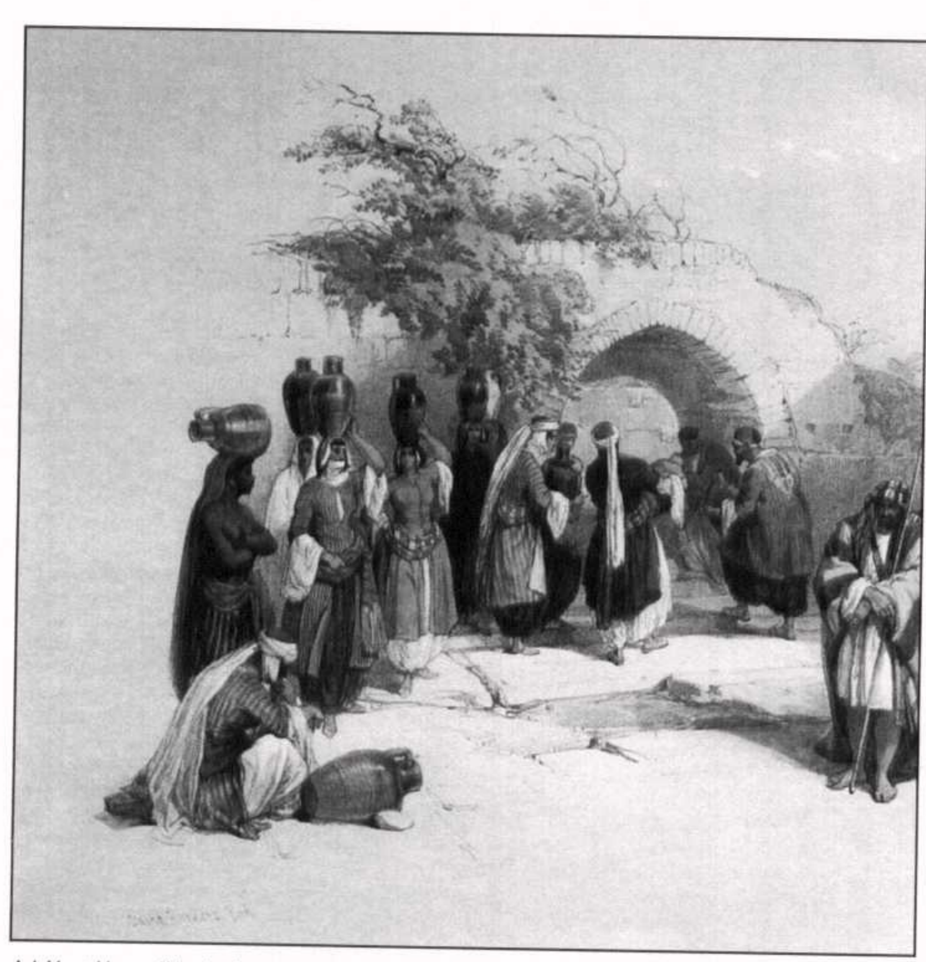
واجهة كنيسة القيامة، من أعمال ديفيد روبرتس عام ١٨٣٤



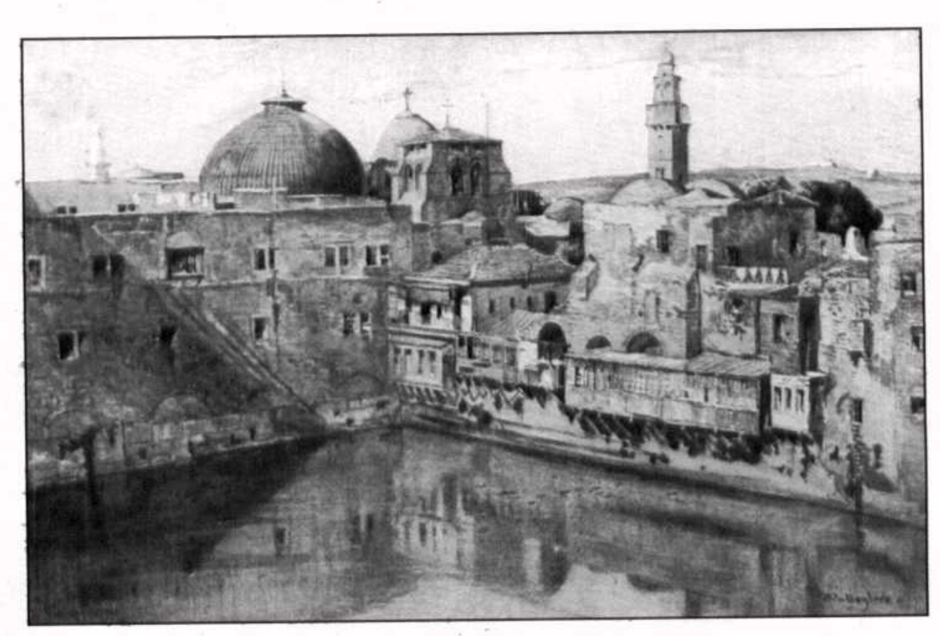
داخل كنيسة القيامة



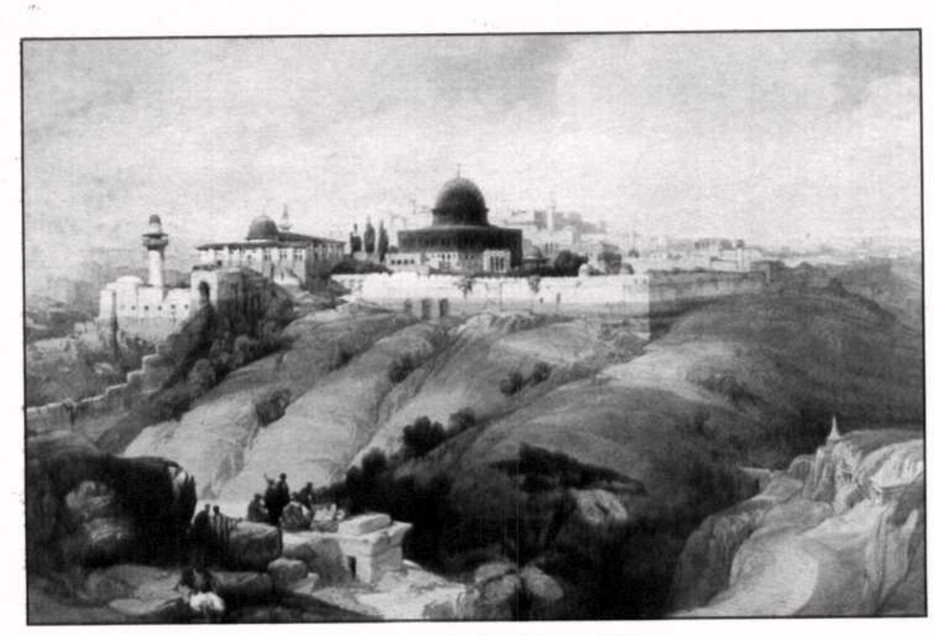
برج داوود من أعمال ديفيد روبرتس عام ١٨٣٤



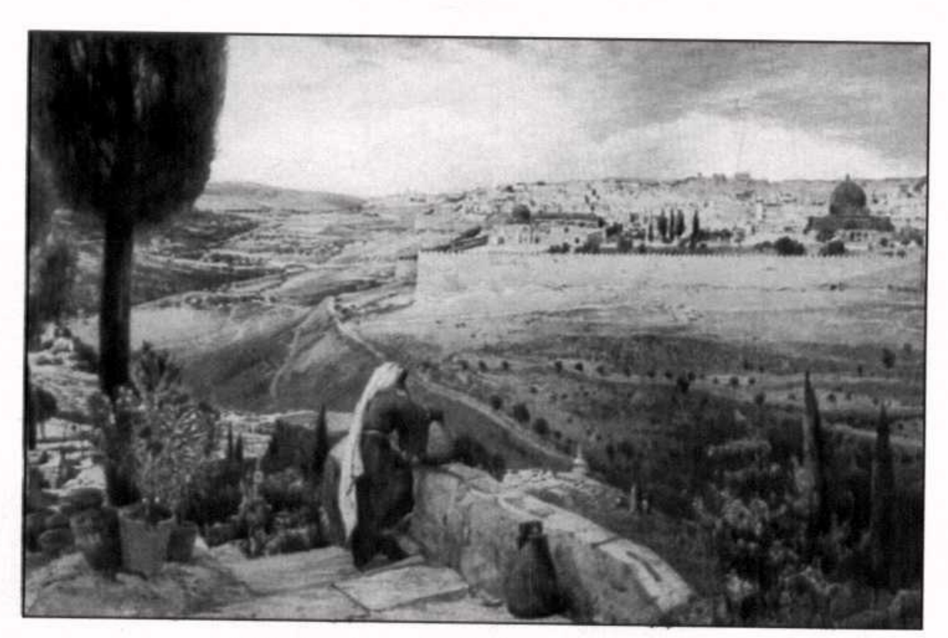
مجموعة من المقدسيين يملأون جرارهم من نبع العذراء، ويلاحظ التزاحم للحصول على الماء من المنبع المبارك



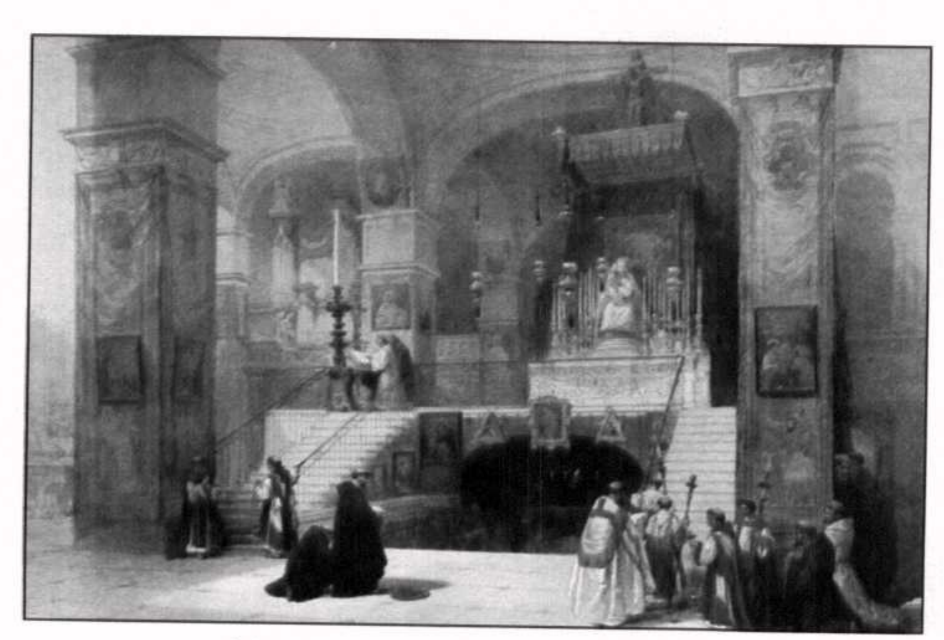
نبع حزقيا



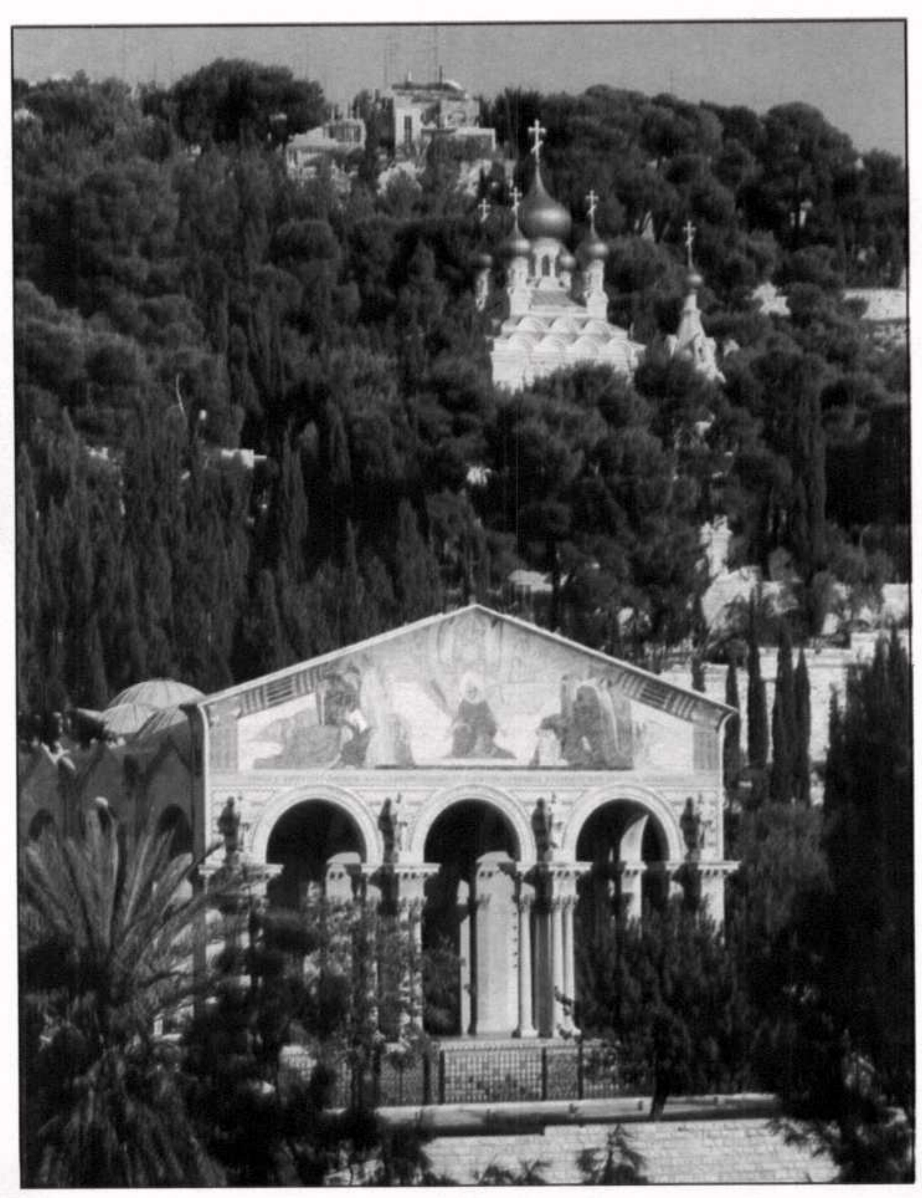
قبة الصخرة (من أعمال ديفيد روبرتس)



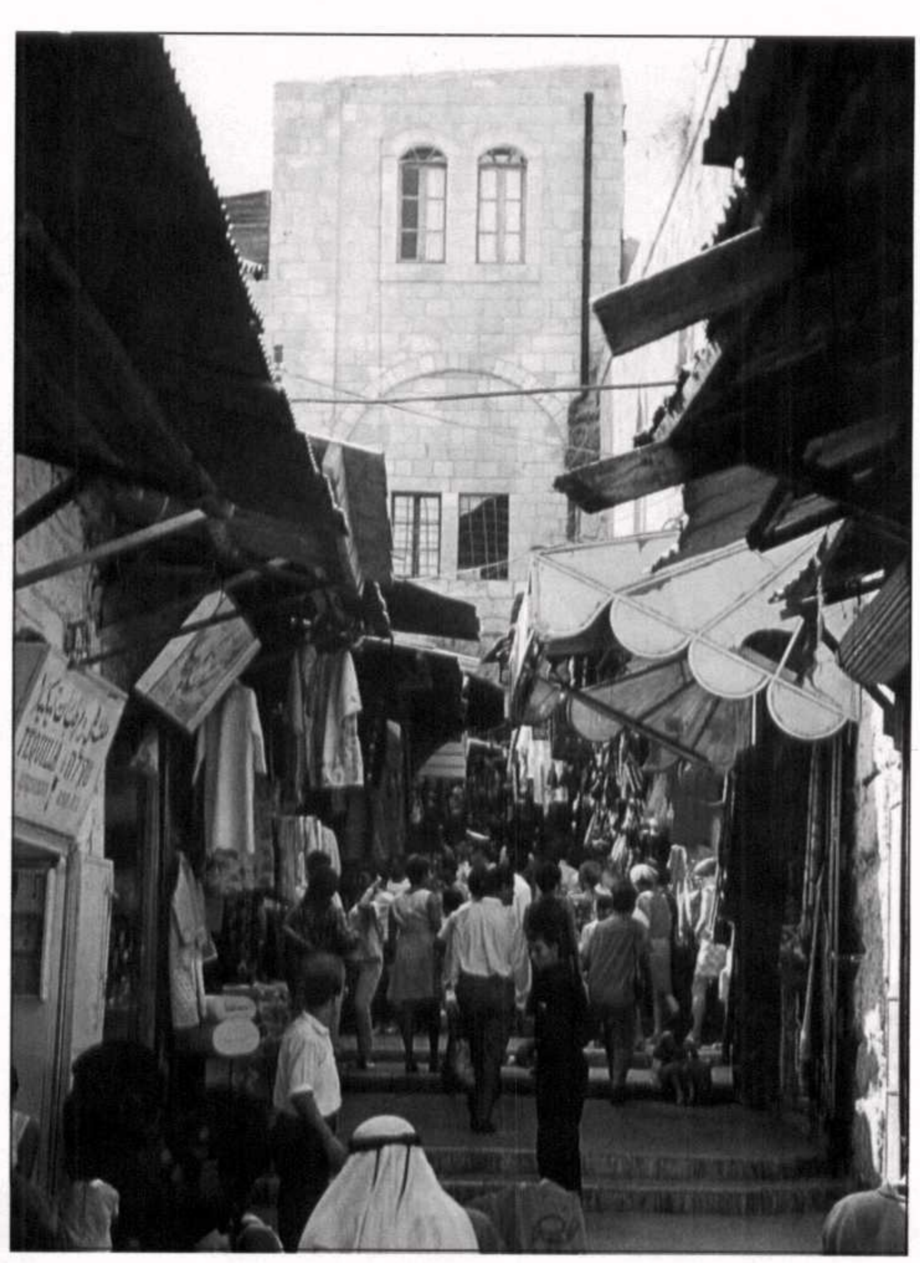
مشهد عام للقدس، من أعمال ديفيد روبرتس عام ١٨٣٤



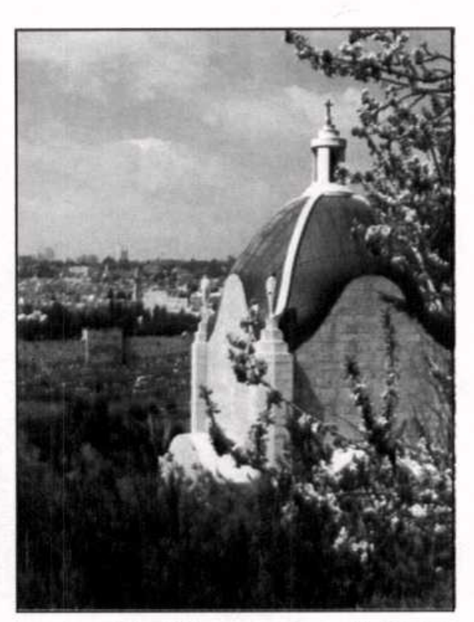
داخل كنيسة المهد، من أعمال ديفيد روبرتس عام ١٨٣٤



كنيسة «كل الأمم» وتظهر فى الخلفية كنيسة «مارى ماجدولين» أو مريم المجدلية للمسيحيين الأرثوذكس



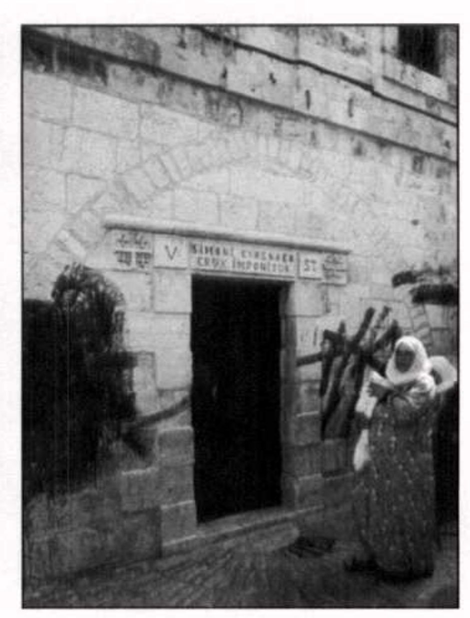
مشهد من سوق القطانين، أقدم أسواق القدس



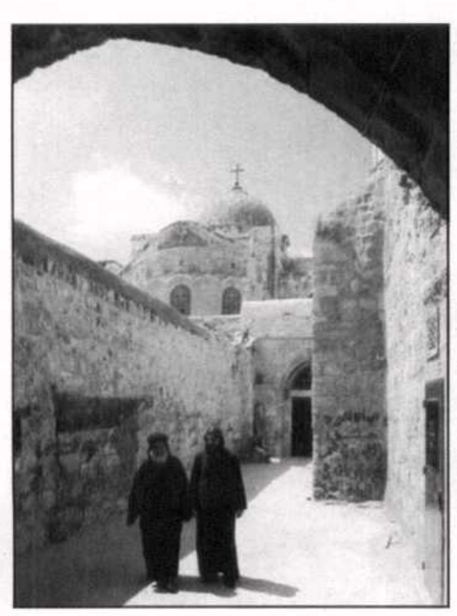
قبة بكاء المسيح، شيدت فوق المكان الذى دعا فيه السيد المسيح الرب بخراب أورشليم (القدس)



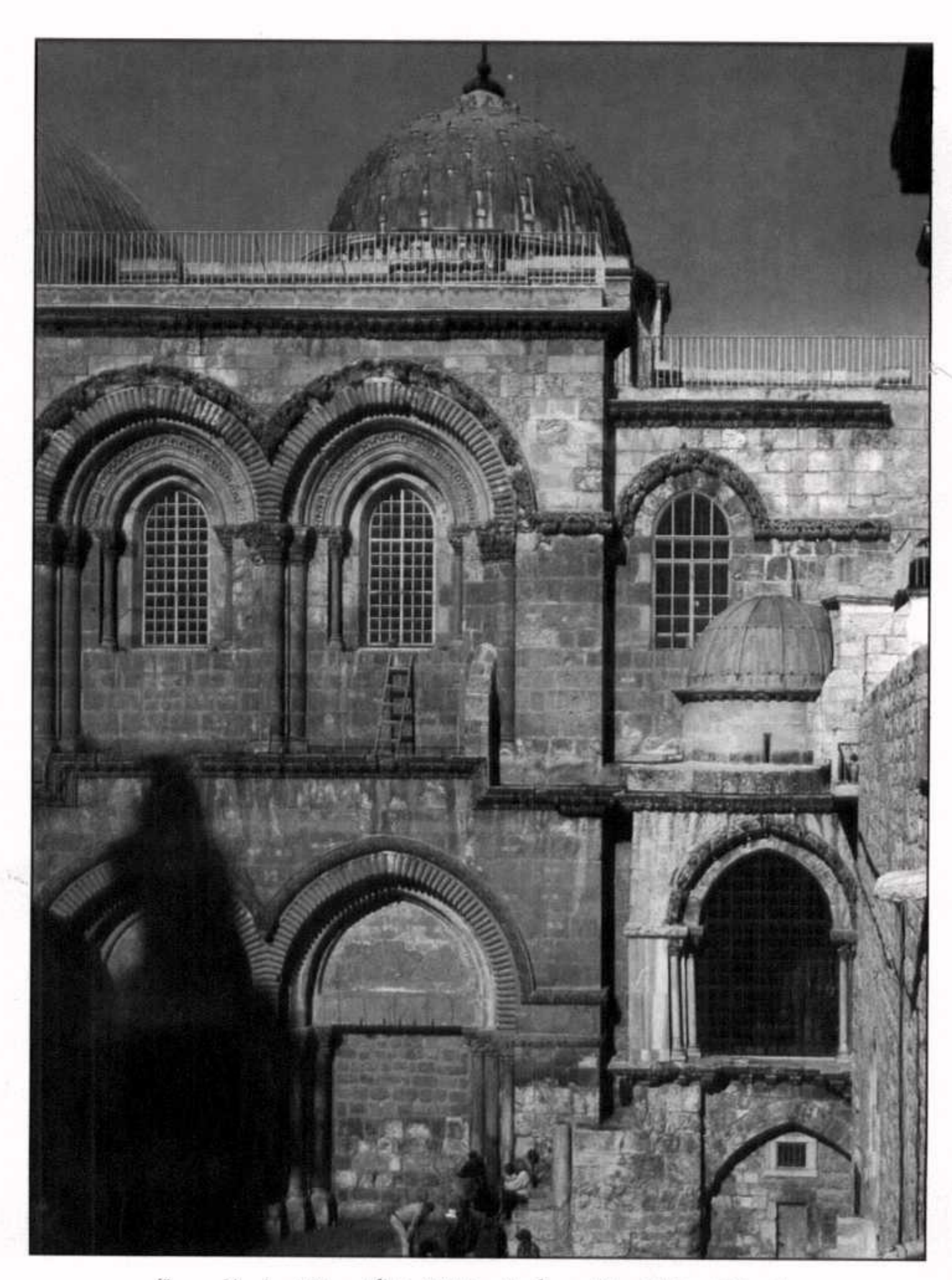
الكنيسة التى تضم قبر العذراء، وتعتبر من أهم المزارات المسيحية



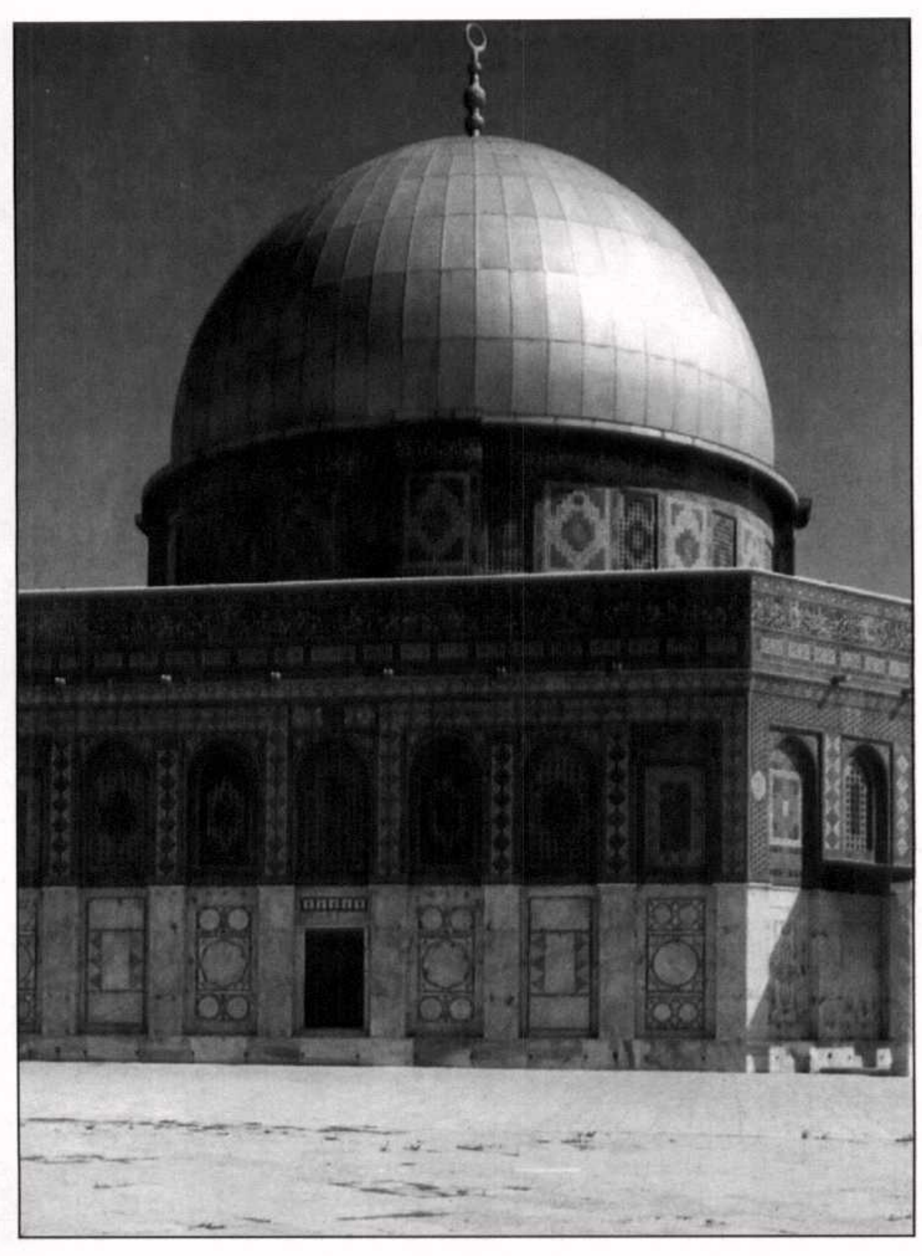
موضع حمل سمعان القيروانى لصليب المسيح صاعداً وراءه إلى تل الجلجلة



المرحلة التايعة من طريق الالام، حيث سقط السيد المسيح بالصليب للمرة الثالثة



واجهة كنيسة القبر المقدس، أو كنيسة القيامة (أقدس المقدسات المسيحية)



صورة حديثة لمسجد قبة الصخرة